محمد بن أحمد السديري

أبطال من الصحراء

الجزء الأول

الدار الوطنية السعودية للنشر والتوزيع
الرياض . ص . ب ٣٧٢٤






بسم الله الرحمن الرحيم



الإهداء



لك يا فيصل ، يا من تحرص على إحياء مآثر العرب ومفاخرهم ..
يا من قُلْتُ فيكَ ما هُوَ من بعضِ خُلُقِك : —



أنْت الْعديْم اِلى بِعاد معاديكْ

في هَدّتكْ تشبعْ طيورٍ ترجّاك

وانْت الّذي تسْهرْ عدُوّكْ مساريْك

وانْت الذي تتْعبْ بدرْبِكْ سباياك

حاضرْكْ يشْهدْ لكْ بما قالْماضيْك

وماضِيْك تاريْخٍ يْصورّْ سجاياك

عزّ اللهْ إنا عارفيْنٍ مرامِيْك

حِمْرٍ بِعُدْوانِكْ مضارِيْبْ يِمناك

على الفضِيلَةْ سامِكَ العرْشِ هاديْك

وعن الرذيْلــةِ مِقْفيات مِطاياك

إضرِب على الْكايِدْ ولا نِيْبْ نَاهِيْك

وسجِّلْ عظِيْماتَ العظايِمْ بِدنْياك

لكَ أهْدي هذا الكتاب ..

المؤلف



مقـــدمة

بقلم : عَبْد الله بن خمَيسْ



من الخصائص التي عرف بها العرب ، ان تجتمع الفروسية ، والشاعرية في شخص واحــد ، وربما بلغا به درجة النبوغ في كليهما .. فامرؤ القيس بن حُجْر ، وعنترة بن شداد ، والمهلهل ، وعبد الله بن رواحة ، وابن الاطنابة ، وخالد بن جعفر ، والبارودي .. وغيرهم كثيرون .. عدوا في صميم شعراء العرب ، وفي الرعيل الأول من فرسانهم .. وابو زيد الهلالي وذياب بن غانم ، وتركي بن سعود ، وعبيد بن رشيد ، وتركي بن حميد ، وراكان بن حثلين ، وشليويح العطاوي .. وغيرهم ممن أتى عدوان الهربيد في قصيدة له على ذكر اربعين منهم ، لقصة طريفة ، عدد فيها الشعراء الشعبيين الفرسان .. هؤلاء وأُولئك وغيرهم ، ممن هم على شاكلتهم .. تركوا للأدب العربي ثروة من الشعر الجزل ، والبيان الأصيل .. كما تركوا في تاريخ الفروسية

العربية ، مكانة لا تنسى ، ومجداً لا يدانى ..

وهذا الجانب من تاريخنا وأدبنا ، لا يزال قفراً من الرواد ، متأبداً من الأنيس .. واذا طرقه الشاعر محمد السديري في هذا المؤلف .. فانما طرقه طبّ به ، خبير بدروبه ، عالم بمجاهله ..

فهو من صميم البيئة التي يكتب عنها ، وليس بمتكلف معرفة ما يكتب ، ولا باحث عن عادة ، ولا مستشكل تقليد ، ولا متردد في فهم لهجة .. جل ما يكتب يتناوله على رؤوس الثمام ، ويستقيه عفو الخاطر ، ومؤاتاة التلقي .. وكم رأينا شادياً افلح في تصوير بيئته ، ونجح في دراستها ، وأعطى الصورة المثلى عنها .. بينما اخفق عملاق ، درج الى غير عشه ، وطار في غير مطاره .. وقديماً قيل : قتل أرضًا عالمها ، وقتلت ارض جاهلها .. ويكفي هذا مرشحاً لتناول هذا الموضوع .. كيف والمؤلف قد تواشجت في طبعه جوانب اهلته ليكون راوية فكان .. عشق مجالس السمر ، ومنادمة الرجال ، وقصص البطولات ، ومغامرات الشباب .. منذ عهد الطفولة ، فكانت هجّيراه وهوايته .. كونها في طبعه تأثير البيئة ، وتوجيه النشأة ، وعامل الزمن .. فوجدت مكاناً للنموّ ، طبعاً أصيلا ، وخاطراً سريعاً ، وحافظة قوية ، وبياناً مؤدياً .. وضمن لها النمو والنضج ، ظروف واكبتها في ظل ولاية أو قيادة ، تؤلف سمط الرجال ، وتستجمع المنتديات ، وتستهوي الرواد والقصاد ، ليجدوا في رحاب ابي زيد ، كفا نديا ، ومطعما

شهيا ، وسوقاً يروج فيها جزل البيان ، وناضج الرواية ..

فاستجمعت رواية المؤلف عناصر النضج ، وعوامل الابداع .. ولا اقول ان الاسلوب الذي كتب به المؤلف كتابه هذا ، هو الاسلوب الذي يستهويك به ، حينما يتحدث اليك ... رغم انني اشعر انه كتبه بلغة سهلة ، سلسلة ، قريبة الى الذهن ، طيعة للفهم ..

ولكن للمؤلف اسلوباً في الحديث ، ينتزع الاعجاب ويشد السامع اليه بكل جوارحه ، ويحمله على المتابعة مهما امتدت الرواية .. وطال الحديث ..

ولقد ادركنا رجالا من هذا الطراز ، وبخل الزمن ان يأتي بمثلهم ، كانوا زينة المجالس ، وانس السمار ، ومتعة النفوس .. فطواهم البلى ، وطوى معهم أدباً وتاريخاً وحكماً .. اذكر من بينهم محمد بن ماضي ، ومحمد بن بليهد ، وعساف العساف ، وسليمان العبيد الرشيد .. وغيرهم ..

ولا ننس ان المؤلف شاعر شعبي مجيد ، اكثر منه راوية ، فالشعر ابرز جانب في شخصيته ، واليق وصف يمكن ان يطلق عليه .. ولعل الرواية منبثقة عن شاعريته الأصيلة ، وفنه الرفيع ..

بشعره جاذبية خاصة ، تلامس مكامن الاعجاب ، وتداعب خلجات النفس ، وتحرك سواكن العاطفة .. وتحس نحوه بتأثر يعييك ادراك مصدره .. يصف فيبدع

ويمدح فيجيد ، ويطلق الحكمة فتصبح مثلا .. ولكن اذا تغزل انساك غزله سائر شعره ، وقلت انه شاعر غزل وكفى .. ودعني اقتطف معك طاقة من ورده ، لنتحسس فيها مكامن الجمال ، ونتحرى مواطن الابداع :

يقول متغزلا :

عَيْني لها عنْ لذةِ النوم سَامُوْح
تِسْهر وعنْها النُّوْم تبعِدْ شبُوْحه
كِنّه يداوِيْها المداويْ بِذِرْنُوحْ
وِدْمُوعْ نونَ العيْن دايِمْ يفوُحِه
على عَشِيرٍ شوْفته تِنْعِشَ الروْح
تَعلقتْ بِالحُبّ رُوْحي بِرُوْحه
تشْهَد دُمُوْعَ العيْنْ مِني على النّوْح
وتشْهدْ عَلى ونَّاتْ قَلْبي جُرْوحِه
أَصْبِرْ وانا مَالي مِنْ الصَّبْـــر مصْلوْح
والْعِيْ ملاعي الْوُرْق ، وانوح نوْحِه

ومن قصيدة أخرى يقول :

أنا تَايِه فيْ حُبْ مَلْهُوْفةَ الْحَشَا
غَدَا الجِسْمْ مِنْ فرْقَى الجمِيْل نحيلْ

ما صَابْ قيْس بحِبْ ليْلى أصابني

عَلى مِتْرَفٍ مَا بيْ حِذَاهْ بديْـــل

أَخيله مخايلة العَرَبْ بلارقِ الحَيا

وأَنَا لَه علَى عشرِ السِّنِيْنْ عَمِيْــل

هَمَّهْ يِدَاعِبني بِنُوْمي ويِقْظتي

وَارْجي متَى غِصْنِه عَلَيّ يِمِيل

ويمضي معتزا بنفسه :

قلْبٍ عَلَى الشِّدّاتْ مَا ارْتَجْ خافقِه

إِلَى صَابْ مَرْغُوْب الفُواد جِفِيْــل

أَحِبْ منْ يَصْبِرْ علِي كلْ شِدَّة

إِلى شافْ مِنْ خَطب الأُمُوْرْ جِليْلْ

كِرِيم وَلا يرخِي مِن البُخْل حاجبِه

جُوْدِهِ إلى شَحَّ البِخِيْل يخيْــل

ومن قصيدة أخرى في شكوى الزمان والحال :

بِالْهُوْنْ يا عَذَّالْ قَلْبِي وَلايِمــه

دعْ الهَم بِفُوَّادي يصاليْ هَضَايِمِه

أَسْهَرْ وَعيْني ما يَهْملجْ نِظِيْرَها
وَقَلْبْك خَلٍّ الهَمْ والعَيْن نايْمه

إنْ هَاجت أفْكاري عليّ وَتَزَايَدَت
تصَوَّرْ بعيْني ساعة الحشر قايمَه

هَمٌ يفارِقني وهَمٌ يزورني
وهَمٌ يُزَايمني وهَمٌ أزايمِه

أسلِّي فؤادي بِالْهمُوْمْ وغايَتِي
إلى مَرْقَبٍ قَلْبي يحِبّه ورايمِه

الذِّلْ يُوْرِيْكَ الْهوان وَتَنْتَمي
إلى أمّة في مرْتَعِ الذُّلْ هايْمه

وبُعْدِكْ عنَ الأنْذَالْ فيه المعزَّه
في مَهْمهٍ صيْد المَهَا في خَرايْمِه

هذه الجوانب رشحت محمد السديري ، لاخراج مؤلفه هذا . عن هؤلاء الفرسان ، الشعراء ، الخمسة ، فجاء هذا المؤلف ، لا دراسة تتناول تحليلا لحياة هؤلاء الفرسان ، فحسب ، وانما هو تاريخ حافل ، لمجموعة من قبائل الجزيرة ، في حقبة عفى عليها الزمن ، واصبحت عرضة للنسيان .. فهو يتحدث عن قبيلة عنزة ، بطونها وافخاذها ، ومشائخها وفرسانها ، ومرابعها ومناهلها .. ويتحدث عن علاقات

بطونها بعضها ببعض ، سلماً وحرباً ، وصداقة وعداوة ، ويتحدث عن علاقتها بالقبائل الأخرى المجاورة لها ، شمَّر ، وحرب ، ومُطير ، وبني صخر .. وما بينهم من حروب وثارات ، لهذه تارة ، ولتلك أخرى .. وعن نظامهم القبلي ومعاملاتهم في السلم والحرب .. ويتحدث عن قبيلة قحطان وبالذات عن الخنافر ، فخذ شالح بن هدلان ، وعن حروبها مع عُتَيبة وعن شجاعة الفديع بن هدلان . وابن اخيه ذيب . وعن مهاجمة الملك عبد العزيز لظعينة شالح . واستطاعة ذيب ان يقاوم المهاجمين بمفرده . ويخلص ظعينة والده .. نستطيع من خلال هذه المعلومات . والأحداث .. ان نكون عناصر دسمة . لتاريخ مفصل . عن هذه القبائل ..

وكما أن هذا المؤلف تاريخ . فهو أيضاً أدب . يتلاقى فيه وجد العاشق وهيامه . بلوعة المحزون وذوب عبرته . في رثاء باك . وتأوه مر .. بحماسة الفارس . تنطق بصهيل الخيل . وقعقعة السلاح . وسواد النقع .. بالفخر . بالوصف . بالحنين إلى الأهل والوطن . بالمدح . بالقدح .. تنقلك مسيرة الكتاب وقصصه الى الوان من الشعر . وافانين من الأدب . وضروب من الأغراض ..

ويزيد ضروب شعره استقراء ، واستهواء . ان الكثير منها ظل محصوراً في نطاق ضيق ، لا يتجاوز محيط القبيلة . ولم تتناقله الرواة . وتستقبله المسامع .. رغم جودته ونضجه .. ليكون هذا الكتاب الاداة الأولى في سيرورتها وانتشارها ..

ولنكن مع نماذج خفيفة منها تدلنا على ما يحويه الكتاب من اشعار طريفة ..

يتغزل عقاب العواجي في محبوبته (نوت) فيقول :

يا وَنّي باقْصَى الضَّماير سنَدْها
لارْقبْتْ مشذوْب المراقيْبْ تـــزْدَادْ

على الَّذيْ مثْناةْ قلْبي عَقدْهـــا
حِبّهْ بمكْنُونَ الحَشا يُسْنِدْ اسْناد

الِّيْ كِما الفِنْجالِ غزَّةْ نهْدهـــا
وَالثَّوْب عنْ رُوْسَ الثَّمَر غادِ أَبْجادْ

رِيمِيَّة مـــا ترْتع ِ إلاَّ وَخدَهـــا
تقطِفْ زِماليْقَ الخِزامَى بالأَجْرَاد

وفي محبوبته يقول :

وَاكبْدِي اللِّيْ كنَّها حمُوْ لالِي
بالقيْظ والاَّ حامِيِ الجَمْـــرِ ناله

مِنْ واحْدِ يتْعَبْ عَلى شدْه بالِي
لَوْ ما عَنتْ رجْلي فقلْبي عَنا لَه

عيْنهِ تشـادى قلْتةٍ بالظّـلالِي
فِيْ صفْحٍ لَوْحٍ مَا تنُوْله حِباله
وقْذِيلـتِه يلْعَبْ بِهـا الهُمّلاَلِي
بدَفّ الظّلِيْم ويتْعب إلّي حبالـه
الّي بِمَيْدَانِ المودّهْ مشي لِي
يِرْخِصْ كلامِهْ وينْغالى حلاله

وفي الفخر - وهو اكثر اشعار الكتاب - يقول شاعر شمر (رشيد بن طوعان) ، مفتخراً بقبيلة شمّر ، بعد انتصارهم على قبيلة عنزة في وقعة (ظفرة) :

يَا وِزْنةٍ غرًّا نشتْ لَهْ رِفارِيف
هلّتْ على (ظفْرَه) وِطَرْها انهشامِي
زُبينْدِيِّها رُوْسَ المهـارَ المَزاغيْف
وعِشْبَهْ قُـرُوْن وسيّحيْنَ الـودامِي
تِضْرخْ بِها حِذب السُّيُوْفَ المَهادِيْف
وتفْتخْ بهـا بِقْع النُّسُورَ الاثامِي

الى ان قال :

أنا اشْهد إنَّ قلُوْبهمْ صِمْغ يا خلِيْف
وردوْا حِياضَ المَوْتِ وِرْد الظَّوامِي
وْدَيَارِنَا حِنَّالِنَا بَهْ تِصَارِيْف
سَلْمىَ وُرمَّانٍ وَاجَا وَالغَصَام

ويفتخر ابن فرهود ، احد شيوخ حرب ، ويتوعد قبيلة عنزة ، لأنهم اغاروا على ابل لحرب ، واخذوها ، وابن فرهود لم يك حاضراً .. فيقول :

يا مِجْوَلَ الغيْبَاتْ يقْضى بهِنْ دِيْـــن
غِيْبَةْ جنَبها يوْم جاها الزَّوالِي
يَا عقَابْ لا تقْفي بثارَ الشعالِيْن
إنْكِسْ لِدارِكْ يَا كريمَ السّبالِي
نِجِيْ علِي قِبٌّ سُوَاةَ الشِّيَاهِيْـــنْ
سُوٌّ عَلَى اللّي ينْـــزِلُوْن الجِبَالِي
نِبِيْ نطارِدْ شاربِيّن الغَلاَوِيْن
ونَاخِذْ عَوضْ (شَمْلاَ) بكارٍ جِلاَلِي

ومن رثاء لشالح بن هدلان في ابنه ذيب :

يَا رَبْعَنَا يَاللّي عَلَى الفِطّر الشّيّب
عزّ اللهْ إنّهْ ضَاعْ مِنكُم ودَاعَـه

رِحْتُوا عَلَى الطّوْعَاتْ مِثْلَ العَيَاسِيْب
وجِيْتُوا وخلّيْتُوا لقلْبي بضاعه

تِكَدرنْ لي صافِيَاتَ الْمِشَارِيبْ
وبِالْعُوْنْ شِفْتَ الذُّلْ عِقْبَ الشّجاعه

يا ذيْبْ أنَا بُوْصِيْك لاَ تـأْكلِ الذّيْب
كِمْ لِيْلةٍ عشاكْ عِقْبَ المجاعـه

كَمْ لَيْلةٍ عَشّاكْ حِرْشَ الْعرَاقِيْب
وكَمْ شِيْخٍ قُوْمٍ كزتـهِ لَكْ ذِرَاعِه

يضْحكْ لِيَا صكّت عَلْيه المَغَالِيْب
ويَلكِدْ عَلَى جمْعِ العدُو باندفَاعه

وبيْتِه لِجيْرانهْ يِشَيّدْ عَلِي الطّيْب
وللضّيْفْ يبْنى في طِوِيْل الرّفاعه

مِنْ عِقْبَ ذِيْب ، الخيْلِ عرْجٍ مَهَالِيْب
ياهْلَ الرّمَكْ ما عَاد فِيْهِن طِماعَه

ومن مراثي سعدون العواجي لابنيه عقاب وحجاب :

يَاوَنَّةٍ وَنَّيْتهــا تِسِعْ ونَّــاتْ
مِعْ تِسْعَ مَعْ تِسْعِيْن معْ عَشْر الــوُفِي

علَى سيُوفٍ بِالْمَلاقَى مهِمَّاتْ
سِيْفِيْن أَغْلَى مَا غدا مِنْ سيُوفي

أَحْشمْ بِحِشْمَتِهِنْ ولُوْ هِنْ بِعَيدَات
وأَنامْ لَــو انَّ الضَّــواري تِحُوفِي

خَلِّيْتِنِي يَا عْقَابْ ما بهْ مراوات
عِيالِكْ صِغارٍ والدَّهرْ به جنُوْف

مِنْ عِقْبكُمْ ما نبْكِي الْحيْ لَوْ مَاتْ
ولاَني عَلى الدَّنيَا كِثِيْرَ الحِسُوف

يا طُوْلْ مَا جرِّيْتْ بالصِّدرْ وَنَّات
على فِراقْ مَعَطِّرِيْنَ السِّيُــوف

مرْحُومْ يَا نطاحْ وجْهَ المغِيْرات
إنْ جَنْ كراديْسْ السَّبايا صفُوْف

فالخيْل تِقْفي مِــنْ فِعُولِهِ مِعِيْفات
تَاطَا شَخانِيْبَ الرَّضم مــا تشُوْف

وفي الشكوى يقول محدا المبداني :

يالله يالْمَعْبُوذْ يا خيْرْ معْبُـــوذْ
يَا مظْهر ذَا النُّوْنْ منْ بَطِنْ حُوتِه
ترْحَمْ غَرِيْب دُوْنَه البَابْ مرْدُوْد
تُوَازنَتْ عِنْده حياتــهِ ومَوْتِه
أَطْلِبْكْ تَرْزقْنَا بِيِسْرِكْ عنْ الكُودْ
هذَا زَمانٍ شيَّبَتْــي وقُوْتِــه
أَشُوْف أَنَا بِالنَّاس حاسِدْ وَمحْسُودْ
وَلقِيْت لي نَاسٍ تِضيِّعْ سِمُوتِه

في الكتاب اشعار جمة من هذا الطراز ، تتناول اغراضا شتى ، في عرض شيق ، وبيان موثر ..

وكما يحفل هذا الكتاب بالتاريخ والأدب .. فهو ايضاً غني بمفاخر العرب ، وآثارهم ، بالشجاعة بالكرم ، بحماية الجار ، بالذب عن الديار ، باجارة الخائف ، بالاستجابة لنداء المستصرخ ، باطلاق كلمة الحق ، بالصدق ، بالشيم .. بكل معاني الرجولة والشمم ..

وبالجملة فبه يتجسد الخلق العربي ، ويعود بذاكرة القارىء الى ما كان يفعله العرب الأقدمون ، مماحفظته لنا الكتب ، ودونه لنا الرواة ..

وانني لعلي ثقة ان هذه التجربة ، سوف تلاقي من القارىء العربي ، ما تستحقه من اقبال واحتفال ، ليكونا دافعاً للمؤلف إلى المضي في متابعة بحثه ، واكمال سلسلته ..

ولا شك أنه ببحثه هذا ، قد اضاف الى المكتبة العربية سفراً نفيساً ، هي في اشد الحاجة الى مثله .. فله منا عاطر الشكر ووافر التقدير ..

الرياض في ٢٥-٦-١٣٩٨هـ عبد الله بن خميس

مقدمة المؤلف





بالّلي جرى وضَّحتْ وأبلَغتْ وأفضَيْت   بالمقدِمينَ أهلِ الضنا والسّلايلِ
عزَّ اللهْ إنــّي لِلْحقِيقــهْ تحرَّيتْ   عنْ قُوْلْ بعضِ النّاسْ عدْلٍ ومايِل
على فعايِلْ مِــنْ ذَكرتِهِ تَقصَّيْت   ويشْهَدْ على ما قُلْتْ زِينْ المِثايِل
قُوْلٍ بِلاَ فِعْلٍ صدَىً عِقْب تصْوِيْت   وَقُوْلٍ بِفِعْلٍ هُوْ خِيارَ الدَّلاَيِل



تاريخ بلادنا الأدبي ، كتاريخها السياسي ، والاجتماعي ، والقبلي ، والروحي .. لم تكتب بعد الكتابة الصحيحة ، المستوعبة ، وما قرأنا عن ذاتنا ، ولم تقرأ الامم عنا ، الا الماما ت ، لا تعطي صورة متكاملة ، ولا تكون فكرة صحيحة .. فكثير من الآثار ، والأخبار ، والأشعار ، والوقائع . . لا تزال رهن صدور الرجال ، يتصيدها الباحث من هنا وهنالك ، ويلاقي ما يلاقي من جمع متفرقاتها ، والربط بين احداثها ، ومواءمة ازمانها ، والمقارنة بين اقوال الرواة عنها .. وكثيراً ما يعتورها الخطأ ، ويضيع معالمها النسيان .. واذا انقرض الجيل الذي صدوره اوعية لها ، ولم يبق الا جيلنا الذي عاش حياة هانئة هادئة ، يسودها الأمن . ويحوطها خفض العيش، وتقعد بأهلها قصر الهمم عن استيعاب تاريخهم .. فمعناه فقدان جوانب أثيرة من تاريخنا ، وفصم

حلقات من سلسلة ماضينا ، يطلبه الآخرون فلا يجدونه ، ويتصيدون بعض معالمه فتدون ملفقة مهزوزة ..

وليت شعري اهي القدرة الثقافية لم يتكامل بعد نضجها ، ولم تؤت أكلها لتعنى بما يعنيها ؟! او أنها ثقافة ينقصهـا التجميع ، والتنظيم ، والتهذيب ..لتتلاقى في شكل جمعيات ، وروابط ، ومنتديات .. يعنى كل جانب منها بجوانب ، ويتخصص كل قبيل بمنهج ؟!

أو أن المثقف لدينا قعدت به همته ، ونام عن واجبه ، ولم تكن له بسلفه الذين أدوا ضريبة الثقافة ، وبذلوا واجب العلم .. لم تكن له بهم اسوة ، ولا قدوة ؟!

سيان كان هذا ، أو ذاك ، أو ذلك .. فهو عجز لا نبرئ انفسنا من جريرته ، ولا نعفيها من ملامته !!

وحينما أتصدى أنا وأمثالي للتأليف ، ونحن ـ وان توفرت لدينا مادته ـ ، فلا ندعي لانفسنا توفر أداته التي نكتبه بها .. ولكنها الغيرة على تراث يهدده العدم ، ومجد ينوشه النسيان ، وتاريخ لم يكتب ، وكنوز لم تطلب .. فلنا فيها فضل الحفظ والتدوين ، وللغيارى بعدنا فضل التنميق ، والتدقيق ..

على انني في مؤلفي هذا قد تناولت جانباً من جوانب ، وأعطيت قطراً من بحر ، وأتيت بما اعلمه ، وتركت ما ليس لي به علم ، وكل ذلك في مهيع واحد ، هو تاريخ أدبنا آخذاً جانباً منه متمثلا في قصص ابطال خمسة .. جعلتهم

أولى حلقات لسلسلة ابطال آخرين ، تبرز فيهم خصلتان ، هما الفروسية ، والشاعرية .. وما اكثرهم ، طواهم تاريخ لم يكتب ، وحقب انتهت ادوارها ، واندرست معالمها ..

وما اخترت هؤلاء الابطال الخمسة أبدأ بهم هذه السلسلة ، لأنني بدأت بالأهم على المهم ، أو لأن غيرهم دونهم بطولة وشاعرية .. لا ، ولكنّ دراستهم تواجدت لديَّ قبل غيرِها ، ورواة اخبارهم حظيت بهم قريبا مني ..

وما أردت ان أوثر بدراستي قبيلة دون قبيلة ، ولا جهة دون جهة ، حينما ترى – قارئي الكريم – ان اربعة من هؤلاء الخمسة من قبيلة واحدة ، هي قبيلة عنزة ، ومن جهة واحدة هي شمالي المملكة .. ولكن اسباب البحث هي وحدها التي تحكمت في الوضع ، وهيأت الفرصة .. فأعيذك من ظن يفضي الى الاثم ، ومن تفكير مادته الخيال .

وحينما ترى في دراسة هؤلاء الابطال مواقفهم البطولية ، وأيامهم المشهودة ضدَّ القبائل الأخرى ، ونكايتهم بهم .. فما أتيت بها معرضاً ، ولا غامزاً ، وما أردت أن امدح هذه على حساب النيل من الأخرى .. ولكنني اكتب تاريخ ابطال ، يقتضيني الواجب استيعابه ، ويطلب مني التاريخ تدوينه ، وما أراك تعفيني من المسؤولية ، حينما اغمط بطلا حقه ، وأهمل جانباً من تاريخه ، لأن ذلك لا يرضى قبيلة أخرى ..

وسوف ترى عند دراسة ابطال آخرين ، من قبائل أخرى ، كيف أورد بطولاتهم ضد قبائل ابطالنا الخمسة هؤلاء ..

فالقضية قضية كتابة تاريخ لكل قبيلة وعليها ، والناس عبر الحقب والقرون ، غالب ومغلوب ، وموتور وواتر ..

والحمد لله الذي نقلنا من تلك الاحن ، والحزازات ، والأحقاد ، والثارات .. الى امة واحدة ، اصبحوا بنعمة الله اخوانا .

وما اثارة العنعنات ، والقبليات ، والاقليميات .. الاضرب من الجهل ، ومس من الخبل .. تأبى هذه الامة المتحدة ، المؤتلفة ، البانية ، ان يدخل كيانها ، او يتخلل صفوفها .

وربما وقعت عينك في هذا الكتاب ، على بيت من الشعر أو أكثر ، رويته لشاعر ، وانت ترى انه لشاعر آخر .. وربما جاءت رواية من الشعر او اكثر في هذا الكتاب ، على نحو ما أوردته ، وانت ترى ان الرواية الصحيحة غير ذلك . او جاءت رواية او قصة مخالفة لما تحفظه عنها .. كل ذلك ربما صادفك وانت تقرأ هذا الكتاب .. وربما يصادفك غيره ..

ولكي لا تتعجل بتخطئتي ، يجب ان تعلم ان ادباً ، وتاريخاً ، ظل مستودعه صدور الرواة ، قروناً متعاقبة لا بد ان يطرأ عليه ما يطرأ ، من زيادة ، ونقصان ،

ومبالغة في الرواية ، وتباين في الأداء ، وتأثر بالعاطفة ، وتعصب للقبيلة ، وتحامل على الأخرى .. وهكـذا وقع في ادبنا العربي الفصيح ، بل وقع في السنة المطهرة ، لولا الغيارى من علماء المسلمين ، الذين كانوا صيارفة في النقد ، وحذاقاً في تمييز الأصيل من الدخيل ، والخالص من المزغول ..

من هذا ندرك ان الأدب الذي يعتمد على الحافظة ، عرضة للخطأ ، مظنة للتحريف ..

فمثلا لو رويت قصة من القصص ، في منتدى ، وطلبت من أفراد هذا المنتدى ، ان يعيد كل فرد روايتها ، لوجدت تبايناً في الرواية ، واختلافاً في الاداء .. فكيف بما تنوقل عبر القرون ، وذهب أهله في عالم الفناء ..

انني لم ادخر وسعاً في تصحيح الرواية ، وتحقيقها ، وفي المقارنة بين اقوال الرواة ، والأخذ بما هو اقرب الى الصحة ، وادنى الى المعقول : وما آليت جهدا في التحفظ ، حينما يروي راوية عن قومه ، لعلمي ان العرق دساس ، وان العاطفة أخاذة .. فما رويته في كتابي هذا لا الوم نفسي بعد ما بذلت في تهذيبه ، وبالغت في تحقيقه .. وجل من تنزه عن النقص ، وتعالى عن الخطأ ..

ولقد قلت آنفاً ان ما حملني على هذا التأليف ، هو الغيرة على تراثنا المهمل .. ولا انسى انه يدخل تحت ذلك غرض سام اردته ، وهو ان يفتح ناشئتنا أعينه على نماذج من سلفه ، مثلوا العروبة في اجلى مظاهرها ، شجاعة وكرماً ، وخلقاً

وشهامة ، وذباً عن الديار ، ومحافظة على الجوار ، وحماية للذمار ..

ان في هذه النماذج لقدوة ، واننا لفي زمن ضمر فيه الخلق العربي ، ومرضت اصالته ، ولانت قناته ، وخدش حده .. فوجد به الاعداء مغمزاً ، وجرهم ضعف جانبه للطمع في تحطيمه .. فما أحوجنا الى استثارة الهمم ، وتحريك المشاعر .. ولعل في ابراز المجد الغابر ، على نحو ما جاء في هذا المؤلف ، ضرباً من التوعية ، ووسيلة من التحريك .. ادلى فيها بدلوي ، وما غير الخير أردت .. والله المستعان .

محمد بن احمد السديري

الكتاب



- ـــ سعدون العواجي
- ـــ ساجر الرفدي
- شالح بن هدلان
- ـــ مِحْدَى الهبداني
- ـــ خلف الأذن

تنبيه : الصور التي وضعت لهؤلاء مستوحاة مما عرف من أوصافهم



سعدون العواجي

سعدون العواجي – نسبه – رئاسته – فروسيته – شاعريته – إبناه عقاب وحجاب – نشأتهما بسورية – تنازع الزعامة بين سعدون وابن عمه شامخ – تغلب شامخ عليه – استنجاده بابنيه بالشعر – مجيء ابنيه واستخلاص الزعامة من شامخ – حرب العواجية مع شمر – مساجلات شعراء الطرفين – غرام عقاب العواجي بابنة عمه (نوت) – شعره بها – حروب العواجية مع قبيلة حرب – الشعر بينهما – مصرع عقاب وحجاب على أيدي شمر – حزن سعدون العواجي على ابنيه – رثاؤه الباكي – شعراء شمر يرددون الفخر – سعدون يربي أحفاده ويعدهم لأخذ الثأر – الأحفاد يتبارون في الشعر لأخذ الثأر – ابن عقاب يثأر ويقتل هايس القعيط – غنيم الربضا وابن طوعان لدى عبد الله بن رشيد – آل بريك شمر من قبيلة الدواسر ..



سعدون العواجي



الشيخ سعدون العواجي هو شيخ عموم قبيلة (ولد سليمان) التي هي من أفخاذ قبيلة عنزة الكبيرة ، له شأن بين قبائله ، ورئاسته لهذه القبيلة عريقة ، مطاعاً بين افراد القبيلة ، شجاعاً ومشهوراً بفروسيته ، وشاعراً مجيدا ، اشعاره حماسية .. وكثيرة الفخر وكان محترماً حتى عند أعدائه ، وله ابناء كثيرون ، ولكن لم يشتهر منهم سوى ابنيه عقاب ، وحجاب ، وهما شقيقان .. اما بقية ابنائه فلم يشتهروا . وشهرة عقاب قد زادت على شهرة ابيه ، وكان من الابطال القلائل بنجد .

ولكن قبل أن يبرز ابناه وقبل أن يبلغا سن الرجولة ، حصل بين الشيخ سعدون ، وبين زوجته ـ والدة عقاب ، وحجاب ـ خلاف أدى الى طلاقها ، وذهبت الى اهلها في بلاد سورية ، ومعها ابناها ، وهي من قبيلة الفدعان من عنزة ، الموجودين في سورية ، وكان اخوال الشابين ـ عقاب وحجاب ـ مشهورين بين افراد قبيلة الفدعان ، وقد تربيا في اخوالهما احسن تربية ، وبعد ان بلغا سن الوجولة

(خيلوهما[1]) وأصبحا فارسين ، يضرب بهما المثل ، رغم أنهما بعيدان عن والدهما، وقد التف حولهما بعض من جماعتهما ، (ولد سليمان) من النازحين الى سوريه مع قبيلة الفدعان ، واصبح عقاب وحجاب يترأسان قسماً من عشائرهما في سوريه ، اما الشيخ سعدون والدهما فقد بقي شيخاً لجماعته (ولد سليمان) في نجد ، الى ان برز شخص من ابناء عمه يسمى شامخ العواجي ، وأخذ ينازع سعدون الزعامة ، ويعرقل نفوذه على قبيلة (ولد سليمان) ، واخيراً استفحل امره ، الى ان خفر ذمام سعدون مراراً وتكراراً مستهتراً بأوامر الشيخ ، وأخذ يتحداه في كل مناسبة ، ويقلل من قيمته عند القبيلة ، ويضع العراقيل في وجهه ، واخيراً أخذ مكان سعدون ، وتزعم القبيلة ، وأخذ يعامل الشيخ سعدون معاملة سيئة ، وقد وصل به الامر الى ان حقره ، وحظر عليه ان يورد ابله على اي منهل ترده قبائل (ولد سليمان) قبل ان ترد ابل شامخ وابل كل القبيلة ، ولم يجد الشيخ سعدون من قبيلة (ولد سليمان[2]) أي نصير ، أو سند يدفع عنه الضيم ، وبقي بينهم محتقراً ، يتجرع ويلات الذل .. وقد قال اشعاراً بهذا كثيرة ، سأورد منها البعض ..

---

(١) جعلوا لكل واحد منهما فرساً يركبها ويقاتل عليها ..

(٢) ولد سليمان احد فخوذ أربعة هم الفدعان والسبعة والسلقا وولد سليمان .. يرجعون الى احد بطون ثلاثة من عنزة وهو ضنى عُبيد أما البطنان الآخران فهما وائل ومسالم .

وهو الذي استقيته من رجال عنزة الطاعنين بالسن ، وهذه من بعض اشعاره :

أَللهْ مِنْ هَم بِكبْدي سَعرْها
دلّى يمِلْ القَلْبْ مَل الشّوَاتي

وِمْن خَانَةِ الدُّنْيا سَرِيْع دُوَرْها
لوْ أقبلَنْ سِنِينَهـا مِقْفيَـاتي

ومِنْ عِقْب ماني مِقْفيٍ عنْ نَحرها
الْيُوْمْ بينْ الْقيْنْ هُـوَّ وَالْحِـذاتي

ومِنْ عِقبْ مَا نِلبْسْ غرايبْ شَهرها
مِنْ فُوْقْ قِبٍّ عِندَنا مِكْرماتي

يُوْم انَّ خَيالْ النَّدَم مَا قِصرها
عَمَّنْ جذَت بهِ نفهقِ الاوّلاتي

واليُوْم طَيَّبْنا علِي الشِّيْل مِرْهَا
يَا حَيْف ما نسْتَاهِل الْمِغسراتي

حلاَّلْ عِقْداتٍ كِبارٍ عبرْهَا
وخالِق نجُوْم بالسَّما سَاهِراتي

ما مالٍ إلاَّ فارغ مِنْ زِبَرْهَا
ولاَ حيّ إلاَّ مِقْتفِيْه المِمـاتي

يَا رازِقِ اللِّي[1] ما بِعِشّهِ ذَخَرْها
طِيورِ الهَوى في قِدْرتِك عَايْشاتي
تْفرْج لِمنْ عْينه تزَايَدْ سهَرْها
الْطِف بنَا يا عالمِ الخَافياتي
يَاللِّي خَلَقَت أَقْفَارها مَعْ بَحْرِها
يَا منْ بِحُكْمِكَ تَجْري الْكاينَاتي
أَوْجَسْتْ مِنْ حَرّ اللَّيالي سَعَرهَا
وذكَرْت طِيْب أيَّامِنَا الْفَايِتاتي
وَنَشَدْتْ وِيْنْ اللِّي يَنثِّرْ حَمرْها
وقِمْت اتذَكَّرْ وِين حِرْوَة شِفَاتي
اللِّي إلى جَا الخيْل خَبَّتْ كِدرْها
صُوْتِهِ ذعَارْ الْقِرَّحَ الصَّافِنــاتي
عِقَابَ السَّبايَا كَانْ جَاهَا ذَعَرْها
عَوْقَ الْعَدِيمْ ومْشَبع الْحايِماتي

لقد تألم بهذه القصيدة ، وذكر الدنيا وميلاتها ، وتذكر ركوبه للجياد ، وانه يرجع على الخيل الكاره ، ويهزم

---

(١) اللي — الذي .

السابقات من خيل الأعداء ، وينقذ من تخلفت به جواده من رفاقه ، انه لا يستحق المعسرات ، لأنه اصبح العوز به ضاراً ، حتى انه لا يستطيع ان يجد ما يحمل عليه امتعته ، ثم رجع الى ربه ، وطلب منه الفرج ، وقال هو الذي سبحانه يرزق الطير باوكارها ، وهو الذي بأمره تجري الكائنات ، ثم تذكر ابنه عقاباً ، واشاد به ، وأخذ يسأل عنه وقال : من الذي ينثر الأحمر؟ ، يقصد دماء الابطال . اين الذي يرعب الخيل ، ويكدر صفوها ؟ ، أين الذي من زأرته تنفر الصافنات ، ويدخل الرعب في قلوبها ، وقلوب فرسانها ؟. انه عقاب الخيل ، ومشبع الطير من لحومهم .

ثم اردف بهذه القصيدة الأخرى ، بين فيها انه قد عزم على الرحيل ، ليفارق شامخاً وغطرسته ، وعندما لاحظه بعض الذين يعطفون عليه ، يجمع امتعته ، ويحملها على رواحله اخذوا يلومونه وحاولوا ان يثنوا عزمه ، ولكنه اصر على الرحيل ، وقال في قصيدته : ان شامخاً لا ينصاع للحق ، لذلك فهو سيبتعد عنه ، ويعالج آلامه بالفراق ، لأن في البعد سلوى له —

قَالوْا تـحوْرِفْ قلْتْ يَا ّلرْبع نَجَّاع

وقالُوا تِقيمْ وقلْتْ يَا لرّبْعْ ما قِيْم

قَالوْا عَلامك قِلْتْ مِنْ قلَّ الافْزاعْ

صيْحَةْ خَلاَ ما عِنْدي الاَّ الْهَذارِيمْ

والى بغَيْتَ الحقْ مِنْ شامخٍ ضَاعْ

يَطرِّمْ عَليّ دَايِخَ الرَّاسْ تَطْــرِيْم

يبْعِد عن القَالاتْ طَقَّــه بالاصباعْ

مِنْ قِلةِ اللِّى يضْربه بِاللَّهَازِيْم

لِيَا صَارْ مَا تُوفى عَمِيلكِ من الصّاع

مَا يِنْقِعِدْ لَكْ عِنْدْ حِصْنِ النِّوَاهيْم

شِبْرٍ مِن الْبيْدا يِعوَّضك الافْزَاعْ

وسُوْد الليالِيْ يبِعْدِّنَّكَ عن الضَّيْم

ولكن هذا لم يكن به حل لأمره . فهو اذا ابتعد عن قبيلة (ولد سليمان) سيكون لاجئاً عند احدى القبائل. وهذا يرى ان فيه نقصاً عليه بعد العز الرفيع . الذي كان عائشاً فيه ، واذا انفرد وحده في فيافي نجد فسوف يكون لقمة سائغة لبعض الغزاة من الصعاليك ، وهو لا يستطيع وحده حماية نفسه ، ولذلك فقد رجع بعد أن رحل مرغما ، بهذه الظروف زاد شامخ بطغيانه . وتجبره على سعدون . الرجل الطيب . الوقور الشجاع . جرى هذا كله عــلى سعدون. وابناه عقاب وحجاب عند اخوالهما بالأراضي السورية. ولهما (مخصصات) عند الدولة العثمانية . مثل بقية مشائخ عنزة ، الموجودين بسورية . والمواصلات كانت بينهم



عقاب بن سعدون العواجي



مقطوعة ، واخيراً لفت نظر سعدون شخص من الذين يعطفون عليه ، أن يكتب لأولاده ، ويشكو إليهم ، ويخبرهم باعتداء شامخ على جميع سلطاته ، وخفر ذمامه ، وإهانته بين قبائل نجد .. فكتب سعدون لابنيه هذه القصيدة :

يا رَاكبٍ مِنْ عِنْدنَا فُوْقْ مِهْذاب
مَامُونْ قَطَّاع الفَيافي إلى انْوِيْت
عِنْدَ الفضْيَلة عِدّ يُوْمِينْ بِحسَابْ
أَوَّلْ قِراهُمْ قَوْلْ يا ضَيْفْ حِيِّيتْ
حِرٍّ صغير وتَوَّما شقّ لَهْ نَـابْ
وعِقْبَ الْقِرا ودّعْ رِجالٍ لهُمْ صِيْت
ولِيا رَكَبْتَه ضربه خل[1] الاجْناب
وانْحرْ لِنَجْمِ الْجدي وإنْ كانَ مَدّيْت
واسْلَمْ وسلِّمْ لِيْ عَلى عِقَاب وِحجِـابْ
سلِّمْ على مَضْنونْ عِيْني إلى الْفِيْت
بالْحَالْ خِصْ عقاب فكَّاك الانْشَابْ
ينْجِيْك كانْ انِّكْ عنْ الحَقّ عِدّيْت

(١) النْخَلّ ، الطريق في الرمل .

قِلْ لهْ تَرىْ (شامِخ) شِمَخ عِقِبْ ما شَاب

ويَاعْقَابْ وَالله ذَلَّلْوني وَذَلَّيْت

ويَاعقَابْ حَدُّونِيْ عَلى غَيْر ما طَاب

وقَالوا تَوَدَّرْ مِنْ ورَى الما ، وَتعدَّيْت

مِنْ عقْبْ مَاني سِتْرهُمْ عِنْدَ الاجْناب

ولِيَابَلَتْهُمْ قَالة مَا تَتَقَّيْت

ما دَامْ شَامِخ مالِك جرد الأَرقابْ

لوْ زِيَّنْ الْفِنْجالِ لِي ما تقَهْوِيت

يَا عْقَابْ حَطٍّ بثُومَة الْقَلْبْ مِخْلاَب

مِنْ العَامْ في نُوْم الْعَرَبْ مَا تَهَنَّيْت

الْجفنْ عنْ نَوْمِ الملا فِيْهِ نَتَّاب

وعِدّ الطَّعامْ مِدوَّس بهِ حلاتيْت

عِقْبَ المَعَزة صِرْتْ يا عقَابْ مِرْعَاب[1]

والنَّاس حيِّين وأَنَا عِقْبُكُمْ مَيتْ

مِنَ الضِّيم يا عقابْ السِّرَب عارِضي شَاب

واذْوِيْت مِنْ كِثْر العَنَا واسْتَخفِّيت

---

(١) مرعاب ، ذو رعب .



حجاب بن سعدون العواجي



فاتَنْ ثلاث سنِيْن والنَّوْم ما طَابْ
وَشَكْوَاي مِنْ صدْرِي عِبار وتناهيْت
الْبيْت ما يبْنَى بَلا عِمْد واطْنـــاب
متي يِجِينَا عقَابْ يَبْني لنَا الْبيْت
مَالي جِدَا[1] إلاَّ عَضَّةِ الْبِهِمْ بِالنَّاب
وراعِيْت كِثْر الحِيْف بالْعيْن واغْضَيْت
ارْجِي بِشِيْرِ الْخِيْر مَعْ كِلْ هَبَّاب
ومِتِي يِجُونا اخْوان (نِمشَة) علَى الصِّيْت

ولا بد ان القارىء لاحظ مرارة شكوى سعدون لابنيه ، وحرارة الذلة ، وكيف انه اصبح مهاناً بعيشه بين قومه ، ذليلا حسيراً عاجزاً عن كل شيء ، بعد ما كان يحمي حماه ويقوم بنائبات القبيلة ، وقد شكى لاولاده وبين كل ما يلاقيه من شامخ ، من تعسفات ، ثم اثنى على عقاب ، وناداه ليجلي الضيم عنه، ويفرج كربته ، واخيراً قال انه يرجو البشير الذي يبشره بمقدم ابنيه مع الرياح المنطلقة ، وتساءل متى يصل أخوا ابنته نمشة اللذان كان لها صيت .

وبعد ان وصلت هذه القصيدة لابنيه عقاب وحجاب ،

(١) جدا ، مالي حيلة .

ثارت ثائرة عقاب ، وأمر أخاه ان يهيئ نفسه للرحيل من بلاد سورية ، ويترك مقرراته التي استحصل عليها من دولة الأتراك هنـاك ، ما دام أن والدهـما قد لحق به الأمر ثم قال عقاب هذه الأبيات مناجياً صديقه عيداً ، وكان عيد هذا يمتلك فرساً ليست من الخيل الأصائل ، وأشار عليه عقابٌ بالقصيدة ان يبيعها ، لأنهم ذاهبون لنجد ، وليس في نجد الا الخيل العتاق ، والرماح والطعن ، وخشى على صديقه عيد ان يخوض معمعة على جواده الهجين ، ويكون ضحية بالميدان ، أو ينهزم ، ثم يعد من الجبناء ، وقال : يا صديقي عيد سأهدي اليك أول جواد أصيل آخذها غنيمة في أول معركة نخوضها بنجد :

يَا عِيْد جَلِّبْ مهْرِتكْ عَفْنةِ الذِّيْل
لاَ عَادَ ما تكْسِبْ حِذا[1] قُول خَيَّال

رِخْنَا لِنَجْدِ ولا بِنَجْدِ مَحَاصِيـــل
نِطْعَنْ ونُطْعَنْ فُوْقْ عَجْلاَت الازْوَالِ

إنْ طِعْتني يا عِيْدْ بَدِّلْ بها كِيْــل[2]
وَدَوِّرْ لَها مِنْ غَايَةَ السُّوْقْ دَلاَّل

---

(١) حِذا ، سوى.

(٢) بدل بها كيل : اكتل بثمنها .

إنْ نِرْتْ[1] قَالوا عِيْد عَيَّل هَل الخَيْل
وإنْ هِشْتْ قَالَوْا رِدْ مِنْهُم بِخَيَّال

قال الفارس عقاب هذه الأبيات ، فأطاعه صديقه عيد ، وباع الفرس ، واشترى لأولاده زاداً ، ورحل عقاب واخوه وصديقهم عيد ومعهم بعض الخدم ، وترك جماعته الذين من (ولد سليمان) بسورية ، ومشى بظعينته الى نجد وقد استغرقت رحلته ثلاثين يوماً ، وصل بعدها بالقرب من منهل يسمى (الحبزا) من ديار قبيلة (ولد سليمان) وقد باتوا على مقربة منها ، بعد ان تأكدوا ان ابل قبائل (ولد سليمان) واردة على هذا المنهل ، في الليلة المذكورة وبعد طلوع الفجر الأول ، قام عقاب وتأبط سيفه ، وأمر أخاه ومن معه ان يتبعوه بظعينتهم ، ثم مشى على قدميه متجهاً الى العرب الذين على (الحبزا) مختفياً ، وأخـذ يبحث عن بيت والده سعدون ، وكان قد استوصف من الناس ما يدله عـلى بيت أبيه وقد قيل له .. إن شامخاً امر على ابيه بأن لا يرفع بيته بين بيوت القبيلة ، إذ لالاّ له وكذلك أمر راعي ابلـه قليلة العدد ، ان لا ترد على الماء الا بعد ان ترد ابل الحي باكملها ، وعندما وصل بيت والده قبل طلوع الشمس ، وقبل أن يرد احد على البئر ، وجد والده نائماً ، وكذلك راعي ابل والده نائماً

---

(١) نرت : شردت ، عيَّلْ هل الخيل : قاد هزيمتهم . والهوش الفتنة . وردّ منهم بخيال : أسر منهم فارس .

بين الابل ، فـأيقظ الراعي ، وقال له قم أورد ابلك على الماء ، فقال له الراعي : لا استطيع يا عماه ، لان الشيخ شامخاً سيضربني ، وقد امرني ان لا ارد المـاء الا بعد ان تزد القبيلة ، فنهره عقاب بشدة ، وحاول الراعي ان يعتذر لانه لا يعرفه ، فأكد عليه ، وقال له: اورد ابلك وانا معك ، ولا تخف ، ومشى الراعي قسراً بالابل الى البئر ، واختفى عقاب بين الابل ، وعندما وصلوا قرب البئر ، شاهد شامخ ان راعي ابل سعدون قد ورد الماء ، عاصياً لامره فثارت ثائرته ، ونادى الراعي ، وتهدده ، فقال عقاب للراعي بصوت لا يسمعه شامخ : امض لسبيلك ولا تجبه ، وعند ذلك اشتد غضب شامخ ، وأخذ عصاه ، واقبل من بيته يعدو ، ليشبع الراعي ضرباً كعادته ، وعندما قرب شامخ منه ، خرج عليه عقاب من بين الابل ، كأنه الأسد ، مجرداً سيفه ، ووثب على شامخ ليقتله ، وعندما رآه شامخ ، عرف ان هذا عقاب ، الذي خبر اوصافه ، وتأكد من من شاربيه اللذين يلامسان اذنيه ، فصعق شامخ ، وعرف انه لا يستطيع الدفاع عن نفسه ، ولا يتمكن من الهرب الى بيته ،ففضل ان يرمي نفسه بالبئر القريبة منه ، وفعلا رمى نفسه ، وأطل عليه عقاب ، وأدلى عليه الرشا ، وقال اخرج ، فقال : هذا هو قبري ، لا يمكن ان اخرج الا ان تعفو عني ، فقال عقاب : ان جبنك الذي رأيته سيجعلني اعفو عن قتلك مشروطاً ذلك بعفو الشيخ سعـدون اي ابيـه فترك عقـاب راعي الابل يسقيها ، وامر من حوله

ان يخرجوا شامخاً الجبان الذي اختار ان يرمي نفسه بالبئر ، ورجع عقاب بعد ان رأى أخاه حجابا ً قد وصل بالظعينة ، فأومأ اليه نحو بيت والده ، وامرهم ان يبنوا البيت الكبير ، وان يرفعوا عماده ، وبعد ان سلموا على والدهم ، تهلل وجهه بشراً ، وسر برؤية ابنائه ، وبعد ان بنى البيت اثثوا مجلسه بأحسن الأثاث ، وهيئوا مقعداً وثيراً لوالدهم من احسن المفروشات التي كانت تنسج بسورية آنذاك ، وطلبوا من والدهم أن يجلس عليه ، ثم أمر عقاب صديقه عيدا ، ان يركب احدى الخيل ، ويبلغ القبيلة بأن يحضروا للسلام على الشيخ وولديه عقاب وحجاب ، فراح صديقهم مسرعاً وبلغ القبيلة بعد طلوع الشمس فجاءت قبائل (ولد سليمان) وسلموا على سعدون وابنيه وتمت البيعة لسعدون من جديد ، وقد اعجبوا بعقاب وحجاب ، وكان اعجابهم بالشيخ عقاب عظيماً جداً ، حيث تأكدوا من رؤية الرجل الذي سارت بأخبار شجاعته الركبان ، من بلاد سورية ، وقد تم التحول بهذه الطريقة البسيطة ، واشاد ابنا سعدون مجد والدهما من جديد ، وراح شامخ نسياً منسيا ، وقد عفا عنه الشيخ سعدون ، لأنه رآه لا يستحق أن يجازيه على افعاله ، لما ظهر من جبنه ، لقد رفع عقاب وحجاب والدهما الى القمة ، واخذ الشيخ سعدون يصول ويجول في بلاده ، لا يخشى احداً من القبائل ، وزاد به الأمر ان أجلى بعض قبائل شمر عن بلادهم .. ولا شك ان هذا بسواعد ابنائه ، خاصة ابنه عقاب ، الفارس الشجاع .

وذات يوم بلغ سعدون ان اراضي (بيضا نثيل) مخصبة ، وهذه يملكها مسلط التمياط ، شيخ قبيلة التومان من شمر ، فالتفت سعدون الى ولديه عقاب وحجاب ، وقال لهما : انني احب ان ارحل الى (بيضا نثيل) وآخذها عنوة من مسلط التمياط وجماعته ، فأجاب ابناه بالسمع والطاعة ، وقالوا عليك ان تأمر ، ونحن سنأخذها قسراً ، فأمر سعدون العرب بالرحيل ، لأخذ (بيضا نثيل) من التمياط ، وقال سعدون : سأرسل له هذه القصيدة ان يترك (بيضا نثيل) بدون حرب ، لأنه يحب ان يدلل ابله بها ، لأنها مخصبة ، وهذه هي القصيدة :

يَا رَاكِبَ اللِّيْ مَا لَهَجْهَا الْجِنْينَا
مَا هِيْ وَحَدْهَا ثَامِنَةْ لَه ثِمَانَا

فِجّ النحُوْزْ مَحَجِّلاَتِ اليِدْينَـا
مِنْ سَاسْ عَيْراتٍ وابُوْهُمْ عِمَانَا

يَلْفِنْ لِمِصْلَطْ تِرِثة الْغَانِمِيْنَـا
قلْ ارْحَلُوا عَنْ جَوِّكُمْ صَارْمَانَا

نبْي نَدلَّه مِقْرِعاتَ الْحَنيْنَـا
أَذْوَاذْ مِنْ رِعْي الْمَخَافَةَ سِمَانا

مَاهُمْ بِوَرْثْ اجْدُوْدِنا المِقْدِمِيْنا

كَسْب بالايْدي مِنْ حَلايِبْ عِدَانَا[1]

نفِكِّهِنْ مِنْ لَأَبةٍ مِعْتِدِيْنــا

ومِنْ دُوْنَهِنْ عُوْد الْعُرَيْني عَصَانــا

يَرْعَنْ بِظِلّ عِقَابْ مِرْوي السِّنِيْنا

اللِّي ليــا صَارَتْ عَلَيْنــا حَمَانَا

وَقُوْلوا تَرانَا يِمُّهُمْ مِقْبِلِيْنا

ويَقْصرْ عَنِ الطُّوْلاَتْ كَانه بَغانَا[2]

عَدُوِّنَــا نِجِيْه لومَا يِجِيْنــا

ونِضْفي عَلى عَدُوِّنَا مِنْ خطَانَاَ

ونرْكَبْ عَلَى اللِّي كِنَّهِنْ الشَّنِيْنا

خَيْلِ الصَّحابه ما اعترَضْهِن حِصانا[3]

والْمَوْت عِنْد اقْطِيِّهِنْ وإن حِدِيْنا

وَياسِرْعْ رَدْ وِجيْهِهِنْ مَعْ قِفانــا

---

(١) حلايب عدانـــا . الابل التي كان يحلبها اعداؤنا اخذناها قهراً منهم .

(٢) كانه بغانا . ان كان ارادنا .

(٣) كنهن الشنينا . ضامرات كأنهن الشنان من شدة الضمر . وما اعترضهن حصان . أي ما خولط نسبهن بل كلهن محفوظ النسب .

وفعلا اخذوا (بيضا نثيل) من (مصلط التمياط) ، واتسعت حدود سعدون العواجي هو وقبيلته ، الى ان بلغت من (خيبر) الى قرب جبال طي وشمالا (تيماء) والنفود .

ومع كون عقاب اشتهر بالشجاعة والفتك ، فقد هام بغرام احدى بنات الحي وتسمى (نوت) هذه الفتاة كانت اجمل فتاة بين قبائل عنزة ، ويضرب المثل بجمالها ، وقد قال عقاب فيها الاشعار الكثيرة ، وقد بحثت عن اشعاره بمحبوبته (نوت) ولكني لم اظفر الا بأربع قصائد ، ادونها للقارىء تباعاً وهي كما يلي :

يَا وَنَّتي ، بـاقصي الضَّمايِرْ سَنَدْها
لارْقَبتْ مَشْذُوب الْمَراقيْب تَزْدَادْ

وَنَّةْ عَجُــوزٍ مَات عَنْها وَلَدْهــا
رَمْلي ضَعِيْفَة مَالَها غَيْــرَهَ أَوْلاَد

عَلَى الَّذيْ مَثْنَاة قلبي عَقَدْها
حِبَّه بِمَكْنُونَ الحَشا يَسْنِدْ اسْنَادْ

وعُرُوْقْ قَلْبي يَبسْتَهنْ بِيَدْها
صَارَنْ كمَا شَنٍّ على الدَّارْ بيَّــاد

إنْ ابْعَدَتْ عَيْني يِجِيْها رِمَدْهــا
ودمُوعْهَا تِسْقي قَنَاطِيْشَ الاذْوَاد

وإنْ قَرَّبَتْ كَبْدي بِجِيْها لِدَذْهَا
مَرٍّ هَنُوْغ ومَرّ مَا تَقْبَلْ الـزَّاد

إلِّي كِمَا الفِنْجالِ غَزَّة نهَذْهـا
والثُّوبْ عَن رُوْس الثَّمر غادٍ ابَجَاد

ذكَرْت رَبِّي يُوْم قَضّتْ جعَذْها
خَلاَّقَها رَب لَه النَّاسِ سِجَّاد

رِيحِيَّةٍ مَا ترتَع الاَّ وَحَدْها
تقْطِف زَمَالِيْق الْخُزامَى بالاجْـراد

ثم قال قصيدته الثانية شاكياً غرامه بـِ (نوت) وشاكياً لواعجه وما يقاسيه بحبها وهذه هي :

وَا كَبْدي اللِّي كِن بَهْ حَموْ لالَي
بالقَيْظْ وَالأَحامي الجمَرْ ، نَالَه

تِفُوْح فَوْحِ مبَهرّاتْ الّدلالِي
جَزْلٍ حطَبْها رَ كّدَه ثُمّ شَالَه

والعَيْنْ جابَت دَمْعِهَا بانتلاَلي
يِشْدي هَمَالِيْل الْمَطَر مِنْ خَيَا لَـه

مِنْ واحِدٍ يِتْعَبْ على شدِهْ بالى
لَو مَـا عَنَت رِجْلي فَقَلْبي عنالَه
عَيْنِه تِشادِي قلْتهٍ بالظَّلالِى
في حَدّ لُوْحٍ ما تُنُولِه حبالِه
وْقذيلِتْه يلْعَبْ بِها الْهُمَّلالِي
بِدفْ الظَّلِيْم ويتْعبْ اللِّي حبالَـه
اللِّي بميدان المَوَدَّة مشي لي
يَرْخص كلامه ويتغالى حَلالِه
أَنا أَشْهَد إِنَّه بالْهَوى همّ حَالي
ويبّس عرُوق الجِسم واذْوى خَيالَه
عِنْدي غَـلاه مِرخِّصٍ كـلْ غَالي
طِفْلٍ مِعذِّبْني بِـزايدِ دلاَلـه

واما قصيدته الثالثة فقد شكى فراق محبوبته ، وكان اهلها رحلوا بها بعيداً عنه ، وحالت بينه وبينها الفيافي الشاسعة ، ولا يستطيع ان يصل اليها ، وأخذ يصف ما بينهما من البعد ، ويشكو الى اخيه حجاب في آخر القصيدة :

مِنْ دُوْن خِلِّي حالِ (عِرنان) و(كباذْ)

(وحلْوان) مرْفُوعَ الحِجى حَالْ دُوْنَـه

شَدَّوْا وخَلوني على الدَّارْ رَكَّـاذْ

واقْفَتْ مَع الجَرْعا تَبـاري ظعُونه

وَالدمعْ مِنْ عِيْني عَلى خدِّي ابْدَاد

مِثْل الْغَشِيْن إليا انْتِشَرْ مِن زُونِه

فَرْقى لِطيْف الرَّوْحْ ياخْجَابْ لاعَاذْ

عِقْبَه ضَميْري يَابِسَات شِنوْنِه

يَاخْجَابْ كانْ انِّكْ عنِ الْحَالْ نَشَّاذْ

خلِّي بقلبيْ جَايرَاتٍ طعُوْنـه

اللِّي ذِبَحْني بالْهَوى يابْنَ الاجْوَاد

طِفْلٍ قرُونهِ مَا غَطَاهِنْ زِبُونه

طِفل لشرَّاذْ الْمَهَا صَارْ قَـوَّاد[1]

يِحيْر عَقْلي في تُواصِيف لُوْنـه

---

(١) قوّاد ، يعني قائد سرب الظباء وهي أجملهن وأبرزهن .

حِبَّهْ بِمَكْنُونَ الْحَشى يِسْنِدْ اسْنَاد
وانْ خَانِنِي يا خْجَابْ رَبِّي يِخُونه

قصيدته الرابعة ، سأل محبوبته (نوت) فيها لماذا رحلوا عنه ، وقال انه تحقق الفراق بيني وبينك ، ووصف دموعه ووجده ، وان بفراقها مال عليه الدهر ، وطلب منها الرجوع لتعالج فؤاده . وانه اذا طال الفراق سيرجعها فوق الصافنات الجياد ، لو أدى ذلك الى خوض معركة :

يَا نُوْتْ عَنَّا ظْعُونِكُمْ لِيْه شَالَتْ
يَا حِيْفْ تَمَّ فِراقنَا يـا حَبِيْبي
زَمْلك مَعِ الْحَزْمِ الْمشَرِّفِ تَكالِتْ
وَقَفْتَ أَرَاعِيْهِنْ وقَلْبي غَضِيْبي
عِقْبكْ عيُوْني بِالدُّمُوْع اسْتَخَالتْ
مِنْ فُوْقْ خَدِّيْ نَثرْهِنْ فُوُقْ جِيْبي
وَعِقْبَكْ عَليْ يَا زِيْنِ الأَيَّام مَالَت
ارْجِـعْ وعَالِجْ ضَامِريْ يَا طَبِيبي
وِدْيارِنا مِنْ عِقْبْ فَرقَاك سَالَتْ
مِنْ دَمْع عَيْني قَامْ يَدْرِجْ شِعِيْبي

وَانْ كَانْ فَرْقَاكُمْ عَلى القَلْبْ طَالَت
نِجِيْكْ فُوْف منَثَّراتِ السَّبيبي
نَاصَلْكْ لَو مِنْ دُونِك القوْم حَالَت
مِنْ فُوْقْ قِبٍّ يَرْهَجِنَّ الْحَـرَيْبي
اوانّ دُونَك قِرَّحٍ الخَيْل جَالَت
لاَزِمْ يِجِيْبكْ حَظَّنَا مِـنْ نِصِيْبي

هذا ما حصلت عليه من قصائد عقاب العواجي بمحبوبته (نوت) ولا بد ان له بها اشعاراً كثيرة ، لان غرامه معها كان طويلا ، وكان مستفيضاً بنجد ، حتى ان الفارس الشجاع ، والعاشق المعروف ، نومان الحسيني ، كان في رحلة صيد ، ومعه عبده قنيبر ، ومعهما طير (صقر) وقد اطلق الصقر على حبارى ولحق به نومان على جواده يعدو واثناء تتبعه له ، مر بفتاة بديعة الجمال ، راكبة بكرها داخل هودجهـا ، وقد اعجب بهـا ، وترك الصقر والحباري ، وأوقف جواده عند الفتاة ، وأخذ يغازلها ، لعله يظفر بعطفها وغرامها ، ولكن الفتاة لم تلتفت لكل ما ابداه ، من تودد وأخذت تسأله عن شيء لم يخطر بباله . انها تسأله عن اشعار عقاب العواجي بمحبوبته (نوت) وتلح عليه ان يخبرها ان كان يعرف شيئاً من ذلك . لقد خسر نومان صقره ، الذي غاب عنه بالصحراء يطرد طير الحباري ،

وخسر ما هو مؤمله من غرام الفتاة ، لقد دفعت بكرها ولحقت بظعون أهلها الذين كانوا راحلين في الصحراء ، ورجع نومان الى عبده قنبير . فسأل العبد مولاه عن الصقر ، فأجابه نومان بهذه الأبيات :

الطَّيْرْ مِنِّي يَا قِنَيْبِرْ غَدا فُـوْت
يِطَرِدْ خْبَارى خَمَّ تَالي المظَاهِيـرْ
دَلِّيْتْ انِطَّ النَّايِفَة وازْعَجِ الصَّوْت
إلِيَاما ابْعَدَوْا عَنَّا الْعَرَب وانْتَحَى الطِّيْر
أَلْهَتْني اللِّي كِنْ عَيْنَه سَنا مُوْت
نِجْلٍ عِيُونه والثَّنَايَا مَغَاتيْـر
تِقوْلْ وِشْ قَالْ الْعُواجِي عَلَى نُوت
شِبْهِ الطَّيُوحْ اللِّي تِحِطَّ المِقَاهِيْـر

وهذا دليل على ان غرام عقاب بنوت كان مشتهراً .

و (لرحيل) والد (نوت) اخ يسمى (قرينيس) له ثلاثة ابناء ، احدهم ابرم عقد نكاحه على نوت بنت رحيل ، ولكنها رفضت الزواج من ابن عمها هذا . لان غرامها بعقاب قد تمكن من قلبها ، ولا ترضى الزواج بغيره ، وكان بينهما روابط قوية ، واخيراً اضطر عقاب الى أن يأتي اليها بوضح النهار ، على مرأى ومسمع من اهلها ، ويجلس بالقرب

منها ، ويحدثها ماطاب له الحديث ، ولا أحد يجرؤ أو حتى يفكر بمنعه ، وكان عشقاً بريئاً كل البراءة ، وبعيداً كل البعد عن الرذيلة ، وبمنتهى العفة .

لقد لاحظ ذلك ابن عمها المعقود له عليها فتشاور مع اخوانه بالأمر ، وقرروا ان يذهبوا لعمهم (رحيل) ، ويخبروه ان امر عقاب تعدى الحدود ، وانهم لا يقبلون ان يأتي عقاب لابنة عمهم ، ويحدثها .. فذهبوا لعمهم واخبروه بالامر ، وقالوا : اننا مصممون على ان ننصح عقاباً بالعدول عن أمره ، وان اصر على تحديه فسنقتله ، ونحن نطلب رأيك ، فنظر اليهم عمهم طويلا ، ثم هز رأسه ، وقال هذه الكلمة : يا ويلكم من عقاب ! ! ، يا ويلكم بعدعقاب ! ! ، وقام بعد هذه الكلمة ، وهنا بهتوا ، وبقوا يتساءلون عن معنى كلمة عمهم ، فقال لهم اكبرهم : نعم ان عمكم يقول يا ويلكم من عقاب ان حاولتم قتله ، وهذا شيء من المستحيلات ، لأن عقاباً كما تعرفونه ، ليس بالسهل قتله ، اما قوله يا ويلكم بعد عقاب ، فمعناه انكم لو ظفرتم بعقاب وقتلتموه فقد هدمتم عزكم ، وخسرتم الشخص الذي أرهب اعداءكم ، وحمى بلادكم ، وفتحنا بيننا وبين ابناء عمنا مشكلة كبيرة ، ستكون سبباً بانقراضنا جميعاً ، وانا افضل ان تتركوا (نوتا) لعقاب ، وهو أحق بها ، لانه يحبها وهي تحبه ، وهذا هو افضل شيء نعمله لحل المشكلة ، وقد اجمعوا على هذا

الرأي، فتم طلاق(نوت) وتزوجها عقاب، وبلغ امنيته (بنوت) التي هام بغرامها سنين طوالا ، وبعد ان عرف عقاب ما دار بين الاخوة وعمهم ، رحيل العواجي ، وانهم طلقوا (نوتا) من اجله رأى لزاماً عليه ان يقابل الجميل بالجميل ، وكانت له اخت تسمى (حرفه) سبق ان عقد لها على ابن عمه القريب المسمى (دغام الأحيمر) ، لذلك ارسل عقاب لابن عمه ، واخبره ان ابناء قرينيس العواجي عملوا معه جميلا وطلقوا بنت عمهم (نوت) من اجله ، وانه يجب ان يكافئهم ، ونظرا لان حرفة رافضة الزواج منك ، فأنا احب ان تطلقها لازوجها على الذي طلق (نوتا) من اجلي .. فقال : انا لن اطلق حرفة ولو قطعت رقبتي ، فثار عقاب ، واقسم على نفسه ان يقطع رقبته في الحال ، وطلب سيفه ، وكان عقاب لا يقول شيئاً الا فعله ، وعرف دغام انه قاتله لا محاله ، وحالا ارتمى على ركبتي عقاب ، واخذ يقبلهما معلناً طلاق حرفة ، جاهراً بصوته ، وبعد ان طلقها زوجها عقاب سعود بن قرينيس ، الذي طلق (نوتا) وكذلك ارسل لأخويه الآخرين ، وقال لهما ان هاتين الطفلتين يقصد ابنتيه ، الصغيرتين اذا بلغتا سن الزواج فسوف ازوجهما بكما ، وفعلا زوجهما بهما ، وانجبت كل واحدة منهما ، ومن الثابت عندي ان أسباط عقاب من ابنتيه هم الذين يترأسون قبيلة (ولد سليمان) ، وقد وصلت اليهم

الرئاسة بعد وفاة عقاب وابنه ، ولا زالوا هم رؤساء القبيلة ، ويقال لهم آل محمد . [1]

نرجع إلى الشيخ سعدون والد عقاب ، بعد ان استولى على (بيضا نثيل) من التومان ، حصل بينه وبين قبائل شمر معارك هائلة ، حتى أجلاهم عن بعض مساكنهم ، وقد دافعوا دفاعاً بطولياً ، خاصة قبيلة الغيثة من عبدة ، اما مصلط التمياط وقبائله . فقد جلوا عن ديارهم ، واستولى عليها سعدون ، وابناؤه ، ولم تزل يملكها العواجية الى الآن .

بعد انتصار سعدون العواجي على مصلط التمياط وقتله ابن اخيه ، قال الشيخ سعدون هذه القصيدة :

يَا رَاكِبٍ مِنْ عِنْدَنَا فُوْقْ نِسْنَاس
يَشْدِيْ ظِلِيْمٍ جافِل مَعْ خَمَايِــل
زِيْن الْقَفَا ناب الْقَرَا مِقْعَد الرَّاس
ومْعَرَّبٍ مِنْ سَاسِ هجْنٍ اصَايِــل

---

(١) : ابنتا عقاب واحدة اسمها (جرزة) والأخرى اسمها (برزة) فزوج جرزة هو محمد... وابناؤها منه هم الذين تزعموا قبيلة (ولد سليمان) ولا زالوا ويقال لهم آل محمد...

لامَذْ روّاي وَلاَ راخ عَسّاسْ

عِزوٍ إلى ما فَاتَ حَمْو القُوايِـل

يِلْفي لَوايِلْ مِزْوِية كلْ عَبَّاس

مِكلّلينٍ شَذْرته بِالفَعَايِـل

إليا جيْتهُم في رَبْعَةِ الشَّيْخ جِلاَّس

ينْشَدِكْ مِنْ هُوْليْ صِديْق يَسايِـل

قِلْ صَبحُّونا اجْرَوْذهُم ما لَها اقْيَاس

سَكْن الْجَبَل جَانَا مَع الصَّبْحْ صَايِل

وَانا اَحْمَدَ اللِّي عاضَهُمْ كَسْرَةَ الباس

كِسِيْرْةٍ وَصَلَتْ قِفَـار وَحَايِـل

في رَوْضة التَّنْهَاتْ قَرْطَنَ الألْبَاس

وَذَبحٍ لِيَامَا جِيْتْ بيضَا نِثايِـل

وَكَمْ جِثَّةٍ مَجْذُوْعَةٍ مَا بهـا راس

بِسْيُوف يِشْفنْ الطَّنا والغَلايِل

وكَمْ سابِقٍ ركابها طَاحْ مِنْحاس

مِنَ الْمَعْرِقَةْ يِجِيْكْ للقَاعْ مَايِـل

والصّبْحِ جَانَا مِصْلطِ دايخِ الرَّاسِ

وجَاه العِقاب الصّيرَمي فوْق حايِل

واغْذَرْ بِنَقْل السّيْفْ واغْذَرْ بالالباس

وَرَاحَتْ تِقمَّــز بِه زَبارَ الْمِسايِل

وجِرْيِس خــلِّي في (زواقيب) حَــرَّاس

ويَا ويْلْ مِصْلَطْ عِقْب وَاف الخَصَايِل

ولِيا قَعْدْ بالْبِيْت يِزْهي بالاَلباس

عِمْره صِغِيْر وماضيٍ لَــه فَعايِل

بعد هذا ارسل مفتاح الغيثي الى قبائل شمر يستحميهم ، ويطلب منهم النجدة ، فحضر عدد منهم ، ووقفوا في وجه سعدون ، وقفة الأبطال ، وحصلت بينهم وبين سعدون معركة هائلة ، على المنهل المسمى (بظفرة) وهو من مياه شمر ، انتصر فيها شمر على العواجي وقبائله ، وقال شاعر شمر رشيد بن طوعان هذه القصيدة يصف المعركة .

يا مِزْنِةٍ غَرَّا نِشَتْ لَه رِفارِيْف

هَلَّتْ عَلَى ظَفْرة مِطَرْهَا اَنْهِشَامِي

زِبْيدِيها رُوسْ الْمَهـارْ الِمزَاغِيْف

وعشْبَه قُـروُنْ مِسَيِّحِيْن الأودَامِي

تَضْرخْ بِها حِذْبْ السِّيُوف الَمهادِيْف

وتفْتَح بِها بِقْع النُّسوْرِ الاثـامِي

دَزٍّ بِعُودَانْ البَلَنْزَا وتَنْجِيْف

ورُوْحُوا وَرَاكُم يَـا فُرُوخَ الجلامِي

ظَعَايْنٍ تسْري وتجْري مِن السِّيْف

ومِنْ (واقْصَة) مَا شَيَّعوا للمقَامي

زَمْلِ الطَّوَاليَّاتَ جَنَّكْ مِزَاهِيْـف

عَلَى جَنَاح الْكُوْد يِمْشنْ هِمَامِـي

يتْلُوْنْ عَذْوَانٍ زِبُوْن الْمِشَاعِيْف

كَسَّايَة العِيْدَان رِيْش النَّعامي

نَهَجْتْ اسَرّ جَمُوعِهِم بالتَّوَاقِيْف

الَن وِجيْه جُموعَهم بانْخِدَامِي

ونظرَتْ رَبْعِيْ عَايِـزِيْنْ التَّوَاصِيْف

إلَى الْخيْلْ بالزَّهَّام والْجَمْع زَامِـي

ونِعْمٍ مِنْ العضْلاَن وآولاَدْ آباسَيف
وعيال عَلْيا كانْها بالتَّحَامـي

إنْ ِفَاتْ مَا بِقْفُوشْهُم والتَّطَارِيْف
رَدَّوْا لِنِصْبِ مَفَكِكات اللجَامِي

آنَا آشْهَدْ انْ قُلُوبِهُمْ صِمْع يَا خْلِيْف
وَرْدَوا حِياضَ المَوت وِرْد الظَّوامِي

ودِيَار نَا حِنَّا لِنا به تِصَارِيْف
(سَلْمى) (ورَمَّان) (واجَا) (والعِصَامِي)

عَيْنَاكْ يا رُمَّــان زِيْن الْهفَاهِيْف
يَامَاذِبِحْنَا دُونَها مِنْ غلامِي

نِطْعَنْ ونُطْعَنْ عِنْدَ هَاكِ الْكراشِيْف
وتسَعِّرٍ دُونَه عَمَارٍ تِسامِي

نِبِيْ نَقَلِّطْ مِيْرِهِن لِلضِّيَايِيْف
إنْ صِكَّتْ البِيْبان دُوْن الطِّعَامِـي

ورغم ان شمرا انتصروا بهذه المعركة ، فان سعدونا العواجي وأبناءه ، لم يفقدوا شيئاً من اراضي شمر التي كسبوها .

لقد استفحل امر عقاب العواجي ، وجندل عدداً كبيراً من فرسان شمر ، لقد اتفق شمر على ان يصبوا فنجانا من البن ، ويضعهوه بينهم ، ويقولون لفرسانهم : الذي يشربه في مجتمعهم هو المسئول عن قتل عقاب ، في اول معركة نخوضها معه ، انه لا يمكن ان يتجرأ على شربه ، الا من كان قوي الجنان ، وعنده الثقة بنفسه ، فقام شاب من بين الصفوف يسمى (ابا الوقى) ولم يكن من عائلة لها ماض بالفروسية ، فأخذ الفنجان وشربه ، في مجلس شمر ، وقال انا شارب فنجان عقاب ، وسأقابله على ظهور الخيل ، وعندما التحم شمر في معركة مع (ولد سليمان) جماعة عقاب العواجي ، وعندما رأى (ابا الوُقَي) عقاباً بين الخيل ، دفع جواده ، وكان عقاب لا يظن ان احداً يتجرأ ويهجم عليه ، خاصة مثل هذا الشاب الصغير ، فلقيه عقاب ولما اقترب كل واحد من الآخر ، أطلق كل منهما سهمه على الآخر ، ولكن لم يصب احدهما ، والتصقت جواداهما ، وتماسكا بالأيدي على ظهور الخيل ، ثم وقعا على الأرض ، فهجمت فرسان قبائل عنزة ، لتخليص عقاب ، وهجمت فرسان شمر هي الأخرى لتخليص ابا الوقى ، الشاب الذي ضرب اروع مثل بالبطولة ، ونفذ ما التزم به ، ودارت المعركة وحمى الوطيس ، وثار غبار الخيل ، وغطى كل شيء ، حتى ان الفارس لا يبصر الآخر ، وتخلص عقاب من الشاب ابا الوقى ، وقام من الأرض والغبار يحجب كل واحد عن الآخر

ووقعت يد عقاب على سيف بالأرض وأمسك بجواد واقف فوق رأسه . وكذلك ابا الوقى هو الآخر ، اخذ سيفاً ، ووجد جواداً من حوله ، فأخذه وعندما افترقا اذا بالسيف الذي مع عقاب ، هو سيف ابا الوقى وكذلك الجواد كان جواده ، وابا الوقى وجد ان السيف الذي معه والجواد هما سيف عقاب وجواده ، وانفصلت المعركة بعد ذلك ، وكانت النتيجة خيبة أمل للشيخ سعدون ، لأنه رأى بالأمر غضاضة عليه ، حيث ان جواد ابنه وسيفه يأخذهما شاب صغير من قبيلة شمر . ليس معروفاً ، ولم يكن له ماض ، وليس كفواً لمقابلة عقاب في نظره ، وقد قلق للأمر وسهر ليلته ولم ينم ، فجاء اليه شيوخ قبيلة (ولدسليمان) وقالوا له لا تقلق يا ابا عقاب ، على فقدان جواد وسيف ، فكل خيلنا وسيوفنا نقدمها لعقاب ، عوضاً عن جواده وسيفه ، فقال انا لا يهمني جواد عقاب وسيفه ، ولكن الذي يشغل بالي ، ويحز في نفسي واخشى منه ، هو ان شاعر شمر مبريك التبيناوي ، قد وقع على بيت من الشعر ، عالق بذهني الآن ، فقالوا له ما هو البيت يا سعدون الذي تخشى ان يجده شاعر شمر ؟ فقال لهم هو هذا البيت :

السَّيْفْ مِنْ يِمْنَى عِقَابٍ خَذِيْنـاه
والْخِيْلْ بِدِّلْ كِدْشِها بالاصَايِل

وفعلا وقع ما كان يخشاه سعدون ، حيث بعد انفصال

المعركة . قال شاعر شمر مبريك التبيناوي . قصيدة من ضمنها البيت الذي اشار اليه سعدون . وهو ثاني بيت من القصيدة الآتية :

أبَا الْوِقَي يَالْبِيْضْ خَضِّبِنْ بِمْنَـاهْ
وانا شْهَدْ إنَّه مِنْ عِيَال الْحَمَايِل

السِّيْفْ مِنْ يَمْنَى عِقَابٍ خَذَيْنَـاه
والْخِيْلْ بِدّل كِذْشَها بالاصَايِـل

هذي سِلُوم بَيْنَنَا يَالقَرابَـاه
يَا زيْنْ بيْع الْمِنسِمح يابِنْ وَايـل

و عقَاب مَا سِبَّهْ ولا سِبّ حِلْيَاه
انْ جَو عَلَى قِبّ الْمَهَارْ الأَصَايِـل

يِرْكضْ عَلَى الصَّابُورْ ما بِهْ مِرَاوَاه
شَي تَعَرْفه كِلْ سَمْوَ الْقِبايِـل

لاَ شَكْ عِنْدِيْ لَه فِهُوْدٍ مَغَـذَّاهْ
عِيّالْ شَمَّرْ فُوْقْ قِبّ سَلايِـل

وفي بعض السنين نزل على سعدون وابنائه الشيخ مجول ابن شعلان ، ومعه قسم من قبائل الرولة ايام الربيع ، وقد

اتفق مجول بن شعلان ، وسعدون العواجي ، أن يغيرا على قبائل حرب الموجودين بأراضي « رخا » الماء المعروف ، وفعلا غزوا حرباً واغاروا عليهم بالمكان المذكور ، واخذوا منهم مواشي كثيرة ، من بينها ابل مشهورة تسمى (بشملا) وكان زعيم قبائل حرب ابن فرهود ، كان غائباً عندما أغاروا عليهم ، وبعد ان رجعوا الى ديارهم غانمين ، رحلوا جميعاً الى الشمال ، بديار سورية ، لأنهـا باردة في ايـام الصيف ، وعندمـا علم ابن فرهود شيخ قبائـل حرب ، برحيل سعدون العواجي وابنائه وعربانهم مع الشيخ مجول بن شعلان ، ارسل لهم هذه القصيدة ، يتهددهم ، ويقول ارجعوا لدياركم محاولا ان يأخذ ثأره منهم ، ومبيناً ندمه انه لم يحضر عندما أخذت الابل المشهورة (شملا) وهذه قصيدته :

يا مِجْول الْغِيْبَاتِ يِقْضَا بِها دِيْن
غِيْبَةْ جَنَبْها يُوْمْ جَاها الزَّوالي

لاَ واخَسَارَةْ لبْسِنَا للتَّوامِـيْن
يُومْ انْ (شَمْلاَ) غَرّبَتْ لِلشَّمَالي

يَا عقَابِ لا تْقَفِي بِثَـارَ الشَّعَالين
إنْكِسْ لِدَارِكْ يَـا كرِيمَ السَّبالي

نِجْي على قُبٍّ سُوَاةِ الشَّياهِيْن
سُوّرٍ عَلَى اللِّي يِنْزِلُون الجِبَالى

نبيْ نِطَارِدْ شارِبيْن الغَلاويْن
ونَاخِذْ عَوضْ شَمْلاَ بكارٍ جَلالي

إمَّا جدَعْنَا عقَابْ لِيثِ الغَلاَمِيْن
والاَّ جِدَعْنَا حجَابْ رِيْف الهَزالي

وعندما وصلت هذه القصيدة سعدون اجابه بهذه القصيدة :

اثَاريْ كذْبِكْ يَابنْ فِرْهُوْد بالحيْل
تِقُوْلْ مِنْ خَوْفكْ نَحَرْنا الشِّمَالي

لَولاَ عِلوْمِكْ ما نِكَسْنَا عن الْكِيل
مِنْ الدّيْرِة اَلَّليْ شَفَّهَا شَفّ بالي

يا ناشدٍ عَنَّـا تَرانا مِقابيْل
ننْزلْ لكُمْ (رَخَّـا) وناخِذْ ليـالي

نِبِيْ نِطَارِدْكُم عَلَى شِرَّدَ الْخيْل
ونشُوفْ مِنْهُو لِلسَّبايَا يـــوالي
واللِّي يَطَارِدْ خيلكم صَفْوة الخَيْل
بِايْمانهُم مثْل الْمُحُوْص المِدَالي
وِعقابْ فُوْف مِشَمَّرٍ تِكْسِرِ الذَّيْل
شَلاَيعِه مِنْ خَيْلكُم كــلّ غَالي
إليَا عَدَا فيْكُم عَدا فِيْكُم الويْل
ويرْوي حِدُوْدْ مصَقَّلات السَّـــلالي
نَطَّاحْ قاسِيْن الرّجَالْ المَشَاكيْل
وبالفِعْل تِشْهَدْ له جميع الرِّجالي
يا وِيْلكُم مِنْ زَايدات الغَرَابيْل
إنْ طَار عَنْ قِخص الْمَهارَ الجِلالي
إنْشِدْ وتَلْقَانَــا عَلِي قِرّح الخَيْل
بِايْمانِنَا رِيْشَ الغَلَبْ لَه ظِلاَلي
عَدُوَّنا نِسْقيْه وِيْلٍ بِشَرَ وِيْــل
وِصِدْيقَنا يِشْرَبْ قراحٍ زِلالي

ورجع سعدون بقبائله متحدياً ابن فرهود ، ونزل منهل حرب « رخا » وأغار على قبائل حرب ، واخذ اموالا وخيلا كثيرة ، بعد ان توارى عنه ابن فرهود ، وهرب طالباً لنفسه النجاة .. ثم قال سعدون هذه القصيدة ، مفاخراً ومشيداً بفعل ابنه عقاب ، وقومه وقال ان حرباً نفرت منهم مثل ما تنفر الأغنام من الذئاب ، وها هي القصيدة :

إنْ كَانْ آبنْ فِرْهُوْدْ يَطْلِب لِقَانا
جِيْنا عُلَى الزَّرْفَاتْ خِيْل الصّحابةْ
جِيْنَا وَرَبْعَهْ قُوْطَرَه في نَحَانَـا
مِثْل الْقطِيْع اللِّي نحَتْه الذِّيَابَـه
(وَشْملاَ) تَزايَدْ نَيِّها في حِمانـا
ويَا مَا خَذْينا غِيْرَها مِنْ جلابَـه
وجْبذَا البِكَار الْمَكْرَماتِ السّمَانا
وطَرشٍ كَثيْرٍ وَلاَ عرفْنا حِسَابَه
حنَّا ليَا صِلْنَـا طِوَالٍ خِطانَـا
وهَذي عَوايِدْنا نَهَارَ الجِرابـه

نجِيْكْ فُوْقْ مكاظمَاتْ العِنَانا

صِفرٍ عَلَيْهِنْ لاَبِسِيْنَ • العصَابَه

عَادَاتنا وإنْ كَانْ شِفْنا اَقْبَلانــا

مِنْ دَمُّهُمْ (رَخًا) نِرَوِّي تِرابَــه

وعقَابْ فُوْقْ مشَمِّر بِمْعدانَــا

الخَيْل في يَوم المَلاقي تَهابِه

مِنْكَمُ يَرَوِّي حَربتَه وَالسَّنَانَا

وفِرْسَانكُمْ قَفَّتْ ذَعْرها عِقابِه

جَاكُمْ سِرِيعٍ بالْعَجَل مَا تُوانا

ومِنْ يُوم حَلْ بخِيْلِكُم جَا ذَهابِه

مِنْكُمْ خَذيْناً يَالحرِيْبي قِرانَا

كِلْ أَبْلَجٍ حِنًّا قَصَرْنا شَبابه

نَرْقِدْ بامانَ الله وتَسْهَر عَدانَــا

ومنْ فِعْلَنَا يِسْهَرْ كِبيْرَ المَهَابَــه

حَرِيبنا يَقْضي ويلْقى عِيَانا

مِثْلْ الْخَشُوْم الطَّايِلَة مِنْ هِضَابِــه

بعد ان رجع سعدون وقبائله الى موطنهم ، كان عقاب

بن سعدون لا يكفيه ان يهاجم عرباناً بعربانه ، ولكنه كان دائماً يغزو غزوات بعيدة المدى ، يغنم فيها اموالا من مواشي الأعداء البعيدين ، وكان يغزو احيانا جهات القصيم ، وأواسط نجد .

وفي غزوة من غزواته صادف ثلاثمائة فارس من فرسان حرب وكان معه ثمانون فارساً فوقع الطراد بينه وبينهم وحصل خسائر بين الجميع ، ولم يغنم ابلا من حرب ، رغم انه لم يغز الا من اجلها ، واثناء رجوعه وعند و صوله الى احياء قبائله ، اعترضته فتاة تسأله عن حليلها وكان من الفرسان المرافقين له :

يَاعْقَابْ يَا حِبْسَ الطَّعَن بَالَّلقَا الشِّيْن
بالِّلي حرِيْبِك بالهَزِيْمَه يَمنَّـا
عَيِّنَتْ ذِيْبَ الخَيْل يَوم الاكَاوِيْن
نُور العُيون بِغْيبة الشَّمْس عَنَّـا
هُو سالِم والأَرَمُوه المعاديْنْ
ياعقابْ خبِّرني تَرايْ أَتمـنَّا

فأجابَهَا بهذه القصيدة :

يَا بِنْتْ يللِّي عَنْ حَليلكْ تَسالِيْن
حِنَّا لنَـا حِيّ يَسالَوْنْ عَنَّـا

خَمْسَةْ عَشْرَ نْيلَهْ عَلَى الْوَجْه مِقْفيْن
نِدُورْ وُضحٍ بالاباهِرْ تِحَنَّــا
وشِفْنَا هَل الْبِلْ شَاربيْن الْغَلاَوِيْن
مِنْ دُونْ رخم لِلخوُيّر تِحِنَّا
جُوْنا ثَلاثمِيَةَ وَحنَّا ثمـانينْ
مِثْلْ الْمحُوْصْ الشِّلْفْ مِنْهُم ومِنَّــا
وبَانَتْ رَدِيَّتْهِنْ وشِفْنَا الــرِدِيِّنْ
وكل عَرفْنا عِزوتهِ يُوْم كِنَّــا
لِيْتَك تَراعي يَا عَذَاب المزاييْن
يوْم أَنْ عِيْدان الْقَنَــا يِطْعِنَنَّــا
مِنَّا حَليْلِك طَاحْ بِيْن الْمِشَارِيْــن
في دِيْرةٍ فيْها الْوُضيْحي تشــنَّى
ومِنْهُم جِدَعْنا عِنْد شُوْقك ثَلاثَيْن
وكَمْ خَيِّرٍ مِنْ رَاسْ رِمْحي يُونِّــا
في سَاعَةٍ فِيْها تشِيْب الْغَلامِيْــن
اَنْطَحْ نِحُوْر الْخِيْل يُوْم اقْبَلَنَّــا

يَامَا نَقِلْتَ الدِّيْن والْحقْتِه الدَّيْن
وحَرِيْبِنا في نُومتِــه ما تَهَنَّا
أَرْسيْ لهُم يا بِنْتْ وأنْتِي تَعرْفِيْن
لِيَامَا حَمَامْ النَّصر رَفْرَفْ وَغَنَّى
وارِدها والْحَقْ رِبُــوع مِخِلّيْن
بُوجْيه قُوْمٍ يَطْلُقُوْنَ الاعِنَّــا
عَادَاتنا نخْلي سِرُوْج المسَمِيْن
ونروي حِدُوْد مِصَقَّلات تِحنى
وقلايِعي مِن نَقوةِ الخِيْل عِشْرِين
قِبٍّ ولافِيْهن ثِبَــارٍ ودَنَّــا

بهذا انبأها عقاب ان حليلها قد قتل .

اما قبائل شمر فلم ينسوا ما خسروه من ديارهم، لقد أرسلوا رسلهم لقبائل شمر النائية يستنجدونهم على سعدون وابنائه ، وفي هذا الأثناء غزا هايس القعيط ، شيخ قبيلة آل بريك – شمر – من الجزيرة بالعراق ، ومعه سبعون فارساً غزا بلاد (ولد سليمان) جماعة سعدون العواجي . وعندما كمن بالقرب من مفالي ابل (ولد سليمان) ، رآهم شخص من قبيلة آل سويد من شمر ، كانت والدته من جماعة سعدون

العواجي ، وهم اخواله ، فذهب لهم ، وانذرهم هجوم شمر اهــل الجزيرة الذين يترأسهــم هايس القعيط ، ـ لذلك سميت عائلة هذا الشخص (بالنذرة) ولا زالوا بهذا الاسم حتى الآن بين شمر ـ ، وعندما علم (ولد سليمان) ان هايس القعيط ومن معه قد كمنوا لابلهم ، هبوا وركبوا خيولهم ، وراحوا للإبل بالمفلى من ليلتهم ، وفي الصباح اغار عليهم جماعة هايس القعيط ، يتقدمهم زعيمهم البطل الشجاع هايس ، وحصلت المعركــة بينهم ، وهــزم هايس القعيط وجماعتــه ، والقوا القبض عــلى سبعين شخصاً كانوا من جماعة القعيط يحملون الماء والشعير ، للسبعين الجواد التي عليها الفرسان ، وهؤلاء يسمون (زماميل الخيل) : وراح عقاب يطارد فرسان شمر المنهزمين ، واتبعه اخوه حجاب ، وعندما ابصر هايس القعيط عقاباً وحده واخوه يتبعه بعيداً عنه ، التفت الى جماعته ، وقال اليوم هذا يوم الثأر ، انظروا عقاباً وحده ، والذي اتى به اليوم هو حظكم يا فرسان شمر ، ويجب علينا ان نهب عليه جميعاً لعلنا نظفر به ، واذا اراد الله وقتلناه ، فقد أخذنا ثأر شمر جميعها ، وذكرهم بفارس شجاع قتله عقاب بالعام الماضي ، وهو هذلول الشويهري ، وكان عزيزاً على كل قبائل شمر ، وفقدانه كان خسارة عليهم ، فشحــذ هممهم ، واستثارهم ، فصمموا ان يهبوا هبة رجل واحد ، وفعلا جرى ذلك عنــدما اقتربوا من كثبــان من الرمل تسمى (زبار اريك)، وكان عقاب على مقربة منهم، فرجعوا

شاهرين سلاحهم صفاً واحداً ، ورشقوا عقاباً بسهامهم فقتلوا جـواده ، فخر عـلى الأرض ، ثم نزلـوا عليه وقتلوه ، واستمروا يطاردون اخاه حجاباً فظفروا به وقتلوه ، حصل هذا وفرسان (ولد سليمان) لا يعلمون عما حصل علي زعمائهم عقاب وحجاب ، وكانوا منشغلين عند السبعين الشخص الذين اسروهم ، وبقوا يتقاسمون غنيمتهم ، وما علموا انهم خسروا بذلك عقاب الخيل وأخاه حجاباً ، وبهذا انهدم عز الشيخ سعدون ، وتداعت اركان مجده ، بفقدان اعز ابنائه :

اما قبائل شمر فقد شفوا غليلهم بمقتل عقاب وحجاب ، وطاب نومهم ، واخذ شعراؤهم يفخرون ويدبجون الشعر ، أسجل هنا ثلاث قصائد من شعرهم ، منها قصيدتان لمبريك التبيناوي ، وواحدة لابن طوعان ، وهذان من شعراء شمر البارزين : وهذه احدى قصائد مبريك التبيناوي .

إنْ كَان (هيْفا) تزْعَج العَام الاصوَاتْ
(نُوْتِ) يرُوعَ الْيُوم جَضّة قِطيْنِه

عِقَابٍ رمَنّه يَوْم الأَفْرَاسْ عَجْلاَت
وكَلَنْ حَثّاتْ البَرائِنْ وِتيْنـه

فُوَاتْ قَبْلٍ مِدَوّرِيْن الجمَالاتْ
يَالِيْت عِقّالَ الملاَ حَاضِرِيْنِـه

وَحجَاب يَامَا قَالْ بِالْبِيْتْ : قِمْ هَاتْ

عِزَّىْ لِكُم يالابِـةْ فاقدِيْنِـه

مِنْ زُوْبَعٍ والأَّ السَّنَاعِيْس الافَات

فُواتْ مَا عَوَّذْ عَلى مِرْتجيْنَه

خَلّوْه زِيْنَيْن (المِيَاحَـةْ) (والارّاتْ)[1]

وَينَامْ سَعْدُون عَلى سَهَرْ عيْنِـه

هاذِي سِلُوْمٍ بِيْنَنَا يَالْقَرَابَات

يا حِلُوْ رَدَّاتَ الجزَا قَبْلِ حيْنِـه

وهذه قصيدة التبيناوي الثانية :

يَاعْقَابْ عِقْبَان الْمِنَيْصِب لُوَنْ لَك

واَسْتَلْحَقَنْ يَاعقَابَ راسِكْ مَعه رَاسْ

لا تِحْسَب انَّ الخيْل قَافٍ عَطَنْ لَك

ارْقَابهنْ عُوجٍ لكُم عِقْب مِرْوَاس

---

(١) الميّاحة والإرّاتْ : مما تدعى بها الغنم وتزجر ، يعني انكم ارباب غنم وارباب الغنم لدى البادية اقل شأناً من ارباب الابل فهم يدعونهم الشوّان .

ٱحذَرْ مِن اللِّي بِالقِدَحْ غذِّينْ لِك
شِهْبَ النَّواصي فُوقهْن كلْ مِذْبَاس
هَايِسنْ عَلى صِمّ الرَّمَك عَابي لِك
عِيَّالْ زُوْبعْ مِرْوِيــة كلْ عَبَّاس
بّغَرِبْي زِبار ٱوِريْلك يُومْ اوجَهْنْ لك
رَاحَتْ تِدَهْدا جِثَّتِكْ ما بِها راس

وهذه قصيدة الشاعر رشيد بن طوعان :

حِرٍّ شَهَرْبَسّ الزَّمَامِيْلْ(١) والخَيْــل
يِدُوْرْ صَيْدَاتِهِ بِغِــرَّاة الاجَنَــاب
بِـاوَّلْ شِبَابِه عَذَّبْ الْكِنَّسَ الحِيْل
وخبَطْ بِيِمْناه الْبَحرْ عِقْبِ ما شَابْ
رَاحَ النَّذِيْرْ وصَبَّح النَّزَلْ بِاللِّيْل
وتكافَخَتْ فَزْعاتْهُم قَبْل الاذَّاب
وِتوافَقَوا بالْعِرْقْ حَدّ الْغرامِيْل
مِتْكاظِمِيْن مثل ابَازِيْد وِذْيَاب

---

(١) الزَّمَامِيْل ، سواس الخيل .

وَغَشَا زِبَارْ اَوْرِيْك مِثْل الْهَمَالِيْل

وَنَشْبَتْ رِماحِ الْقُوْمْ باقطّي الأَصْحَاب

وَترايَعوا لِلْهُوْش رَبْــعٍ مِشَاكِيْل

حَمَّاية التَّالِيْنْ والخَيْل هِرَّاب

عِيَال الشيُوخ مَعَرَّبيْنْ الأَخَاوِيْل

رَدّوا عَلَى رَبْعٍ تَدَانَوا بالأَنْسَابِ

وإنْ كَانْ (نُوتٍ) تِزْعَجْ الصّوتْ بِالْحَيْل

لِغْيُون (هَيْفا) نِرْدَغْ الشَّيْخ بِخْجَاب

أَرْبَعْ لَيَــالٍ مَا لِقَتْه المَرَاسِيْــل

عِلِّيْت وَجْهٍ كُوّح الْعَصْر بِتْرَاب

حَرِيْمِنا لَجَّنْ بِزِيْنَ الْهَلاهِيْــل

مِتْحَرِيَّاتٍ شَلْعَة الْحِرّ لِعْقَاب

وَحرِيْمهُمْ تصْرَخ صِرِيْخَ المَحَاجِيْل

جَاهِنْ عِلِيْمٍ مَعْ هَلْ الخَيْلِ مَا طَــاب

يَا ضبيْب لو ذبَحْت كلٍّ الزَّمَامِيْل

ذَبْحَةْ دخِيْل البيتْ مَا ترْفَع البَاب

دِنْيَاكْ هاذَى يالعُوَاجِي غَرَابِيْــل
مِنْ شَقّ جِيْبِ النَّاسْ شقّواَله آجيْاب

لقد اشار شعراء شمر الى (هيفا) والى (نوت) : اما هيفا فهي والدة هذلول الشويهري ، واما نوت فهي زوجة عقاب العواجي ، اشار شاعر شمر الى ضبيب وذبحته (للزماميل) فضبيب المذكور هو ابن عم لعقاب العواجي . ويقال انه هو الذي تجرأ وقتل السبعين الشخص الذين اسروهم ، من جماعة هايس القعيط .

وعندما رجع فرسان (ولد سليمان) مع ابلهم بالليل ، اخذ الشيخ سعدون العواجي ، يقابل كل كوكبة من الخيل يسأل عن عقاب وحجاب ، فيقولون له عهدنا بعقاب والخيل هاربة عنه . وهو يطاردها ، وبقى سعدون على هذه الحال يسأل عن ابنيه ، وعندما قرب الصباح وعقاب واخوه لم يرجعا ، وكان سعدون ساهراً طوال ليله والأسى يخامر نفسه ، فقال هذه القصيدة :

البَارِحَة نُوْمي بِرُوس الصَّعانِيْن
طُوَالْ لِيْلي مــا تَهَنّيْتْ بِمْــراح
كَبْدٍ نعالِجْها بِعُوْجِ الغَلاوِيْــن
ورَوابِعٍ مَا تُوذْعِ القَلْبِ يَنْساح

بَلايْ وَالله يَا مَلاَ خَابِرٍ شِيْن
تظْهَرْ عَلَيْنا مِرمِساتٍ إلى رَاح

اللِّيْ يِكُفّ الخَيْل كَفٌّ الْبَعَارِيْن
ويِرْخِصْ بِرُوحِه يُوم يغْلُون الارْواح

خَيَّالِنا يُوْم آكْتِراب الِميَازِيْـــن
ويِرْعَى بِظِلَّه بالْخَطَرْ كِلٌّ مِصْلاَح

حَاكَوا علِيْه اللِّي عَلِي الْمُوْتْ جَسْرِين
لاوابِعَيْنِي مـــا يِجَاجُوْنْ ذِبَّاح

وبعد ان تأخر رجوع عقاب وحجاب ، رجع فرسان (ولد سليمان) يبحثون عن زعيميهما فوجدوهما قتيلين عند زبار (اريك) فدفنوهما على قمة كثيب من الرمل سمي (بأبرق الشيوخ) ولا زال بهذا الاسم حتى الآن .. ورجعوا حزانى فقتل (ضبيب) الأسرى بثأر عقاب وحجاب ، وهذا لم يكن مستحسناً بعادات القبائل في الجزيرة العربية ، وقد اشير عن مقتل السبعين الشخص بالقصائد سالفة الذكر ،

اما الشيخ سعدون فقد كبر مصابه بعد مقتل ابنيه ، الذين اشادا مجـده ، وسجلا له مفاخر لا زالت باقيـة لعائلة العواجية ، وملكا قبيلتهم دياراً لا زالوا عائشين

بها ، وقد قال الشيخ سعدون اشعاراً كثيرة بابنيه . وهاتان قصيدتان منها أولها :

يَا وَنَّةٍ وَنَّيْتَها تِسِعْ وَنَّـاتْ
مَعْ تِسْعَ مَعْ تِسْعِيْنَ مَعْ عَشْرِ آلُوفِي

مَعْ كِثْرِهِنْ بـاقْصى الحَشَا مِسْتِكِنَّات
عِدَاذْ خَلْقَ اللهِ كِثِيْر الوُصُـوْفِي

وَنَّةْ طِرِيْح طَاحْ والخَيْل عَجْلات
كَسْرِه حَدَا السَّاقِيْن غـادٍ سُعُوفِي

عَلَى سِيُوفٍ بالْمَلاقي مهمَّات
سِيْفَيْن أَغْلى مَا غَدا مِنْ سِيُوفي

وَعَلى مِحُوص بالِموارِدْ قِوِيَّات
أَسْقَى بِهِنْ لَـو القِبَايِل صفُوفي

أَحْشَمْ بِحِشْمَتْهِنْ ولو هِنْ بِعِيْدَات
وانَامْ لَو انَّ الضَّـواري تِحُوفي

خَلَّيْتِني يا عْقَاب ما بِهِ مراوات
عِيَالك صغارٍ والدَّهَرْ بـهِ جْنُوفي

مِن عِقبِكُم ما نبْكي الحَيّ لَو مات
وَلاني عَلَى الدّنْيا كثِير الْحِسوْفي

ويا طُولْ مَا جَرَّيْتْ بِالصّدْرِ ونَّات
عَلَى فِراق مَعَطِّرِيْن السيُّوفي

وياعْقَابْ عقْبك شِفْت بالْوَقت مِيْلات
واوْجَسْت انا مِنْ ضِيْم بقْعَا حِفُوفي

مَرْحُومْ يا نَطَّاحْ وَجْه الْمِغِيْرات
إنْ جَنْ كراديْس السّبايـا صفُوفي

مَرْحُوم يا مِشْبِـع سِبَاعٍ مجِيْعَات
وَعزَّ الله انّــه عقبِكُم زَاد خُوفي

الخَيْل تذْري بك نَهَار الْمِثَارَات
ياللِّي عَلَى كِلَّ المَلا فيــك نُوْفي

والْخَيْل تِقْفي مِنْ فِعولك مِعِيْفَات
تَاطَا شَخَانِيْب الوّضَمْ مَا تِشُوفي

لا شك ان الشيخ سعدون فقد ساعدين من سواعده ، بنيا له ارفع قمة من المجد ، بفيافي نجد ، بين قبائلها ، وقد اشتهر ابناه عقاب وحجاب بين القبائل ، وكانا محل

اعجابهم بالخزيرة ، ويضرب بهما المثل حتى الآن : فإن الناس اذا اعجبوا بشخص او بعدد من الأشخاص يقولون كأن فلاناً عواجي ، أو كأن هؤلاء من العواجية . نسبة الى عقاب وحجاب ، ولا زال هذا المثل سارياً في نجد الى الآن .

ولا بد للقارىء ان يلاحظ ان الشيخ سعدون اشار الى ابنيه ، وقال سيفين اغلى ما غدا من سيوفي ، فهو يرى انهما سيفان من اعز ما يملك ، ثم قال انه يطمئن وينام لو ان الوحوش الكاسرة تحوم من حوله . فهو مطمئن بأن ابنيه هما درعه الأمين وانه مكرم ومعزز بحمايتهما .

وهذه القصيدة الثانية :

ياعلي وِيْنْ اللِّي رَعَيْنَا بِهُم هِيْت
حَالْ اللَّحَدْ مِنْ دُونَهُم والظَّلامِيْ

البَارِحَةْ يا شَمْعَةِ الرَّبْع وَنِّيْت
وَنَّةْ صِوِيْب وَمكْسِرِهْ بالعِظامِي

أَوْمَا الشَّجر وأَنا بَعَدْ مِثْله اَوْمِيْت
أَومَاي صَقَّارٍ لِطَيْرِه وَحَامي

طَيْرٍ لِيَاجَا الصِّيْدْ يِشْبِعْ هَل اَلبِيْت
جِته هَبُوبٍ مَعْ جرادٍ تِهَامي

عَزَّ الله انّي تَو ، يا عَلَى ذَلَّيْت
تَبَيَّنَتْ وانا عَلَى النَّــاس كَامي

وَعزِّ الله انِّي مَعْ شفَا البيْر هَفِّيْت
هَفَّةْ قِفــيٍّ مِنْ عجُوز المِقَامــي

والْيُوم مِنْ بَاقِي حَيَــاتي تبَرَّيت
عِقْب الشُّيوخَ مَعَدّلين الجَهامِي

ويَا عَلي عِفْت الحَيّ مِنْ كِثْر مارِيْت
وَجَرِّيْت لِلْوَنَّات والْقَلْب دامي

وَعَذَّبْت قَلْبي في كثيرِ التَّنَاهِيْت
والْعَيْن عَيِّتْ مِنْ بلاهــا تَنَامي

رَاح الْعِقَاب الصَّيْرِمِي شَايِــع الصِّيْت
يا عَلي مِــنْ عِقْبَه تَراعَد عِظَامي

وهذه القصيدة شكى بها الى صديق له يسمى عليا ، يسأل عليا ويقول اين الذين كنا نرتع بهم بالفيافي ، الآن اصبحوا من اصحاب اللحود ، واصبحت الظلمة تحول بينه وبينهما ، انه يسهر الليالي ، ويئن مثل كسر العظام ، انه يرتجف ويومىء كما تومىء الشجرة ، انه الآن يحس بالخيفة ، ويذل من كل شيء ، وقد ظهر ذلك للناس ، ولم يستطع

ان يُخفي خوفه ، لقد أخذ يتبرأ من حياته ، بعد أبنائه ، انه اباح بما يخفيه ، بعدما تزلزلت الجبال التي كان يلتجىء في حماها ، انه بعد ان فقد عقاباً بدأت ترتعد عظامه ، وفرائصه ، انه فقد بطلين لا يمكن ان يقاضي بهما .

لم يبق لسعدون بعدهما من يعتقد فيه خيراً ، الا حفيديه الصغيرين ابني عقاب وحجاب الحبيبين لقد اخذ يربيهما ، ويعلمهما فنون القتال ، آملا ان يأخذا ثأر أبويهما ، من هايس القعيط .

وعندما كملت رجولتهما ، طلب ان يقول كل واحد منهما قصيدة ، يبين فيها انه سيأخذ ثأر والده ، وعمه ، واذا اجاد احدهما القول فسوف يعطيه « المهرة » بنت فرس عقاب المسماة « فلحا » وهذه آصل فرس عند قبائل (ولد سليمان) فقال ابن حجاب قصيدة لم تعجب جده ، ثم قال ابن عقاب قصيدة اعجب بها وهذه هي القصيدة :

ياليْت مِنْ هُوْ جَذْ فَلْحَا ثِنِيَّـــة
والاَّ رِبَاعْ مسُودسَه بالْمسَامــير

أبى إلى مَـا قِيْل زِيْعَت رِعيَّــة
وتَوَايقَنْ مَعَ الْحِني الغَنَادِيْــر

أنْطَحْ عَلَيْها سِربةٍ زُوبعيــة
يِجْهر لِمْع سيُوفها والْمِشاهير

مِتْقَلِّدٍ سيفٍ سُوَاةِ الحَنِيّــه
أَدُورْ أَبُويه عِنْد رُوْس الخَواويـــر
إنْ كَانْ ما لِيِّنْتْ بِالحَبْلِ لِيَّــة
مَاني عِشيْر اللي نِهُودِهِ مَزَابِيـــر
لابدْ مِـــنْ يُوم يِزَرْفـــل كِمِّيه
وكلٍ يِحَسِّبْ مَرْبِحِه والمخَاسير
ثَارٍ لِبُوي عْقَابْ فَرضٍ عَليّه
عليْه وَصَّاني زِبُون المَقاصِيْر
سِعْدُوْن جدّي هُو خَلَفْ وَالدِيّه
شِيْخ الْجَهامَه والسَّلَف والمِظَاهير
دِيْنٍ عَــلى هَايِسٍ زَبُونَ الونيّــة
يِجيْبه الْمَعْبُود والي الْمِقاديْر
انْ مَا نِطحْت الخَيْل عِيْبٍ عليّه
انْ وَرَّدُوْهِنْ مِثل اثـــامي الخَنَازيْر
عِيْبٍ عَــلِيَّ العِزْوَة الْوَايِليّـــة
واحْرَم مِن الفِنْجَال وسْط الدَّوَاوير

وعندما سمع شاعر شمر بقصيدة .ولد عقاب اجابه بهذه الأبيات :

وشْ عَاد لَو جَذّيْت فلْحَا ثنيّـة
شَمّرْ يجُونَك فُوقْ قِبٍّ عَياطِيْـر
آبُوكْ ضَرْب بَحْربةٍ شُوْشليَّة
كَزّه حَبيْبي كَزَّةِ الدَّلوِ بالْبيْر
صَابَه غلامٍ مَا يَعْرف اللَّويَّـة
ما صَدَّها يُوْم السَّبايَـا مَنَاحِيْر
لَه عَادةٍ بِالفعْل في كلْ هَيَّة
عَشّى ثَنَادي آبوك عُوْج المَنَاقِيْـر
وِعْيّال زُوْبَعْ مِلْحقيْن الرَّديّة
اللِّي تَهَزِّع بالحُرُوْب الطَّوابيْر

لقد فاز بالجائزة ابن عقاب فأعطاه جده الجواد بنت (فلحا) واخذ سعدون ينظر الى ابن عقاب باعجاب ، ويداعبه الأمل انه سيشفى غليله ، ويأخذ الثأر من الشيخ هايس القعيط .

ومن الفرص الغريبة التي قدر فيها لابن عقاب ان يأخذ بثأر ابيه وعمه، ويقضى على هايس القعيط ، أنه حصل

بين غنيم (الربضا) بن بكر شيخ السويلمات من العمارات حصل بينه وبين هايس القعيط تصادم ، في وديان عنزة ، وطال الحرب بينهما ، وأرسل غنيم بن بكر الربضا لقبائل عنزة ، يطلب منهم النجدة والعون ، وكذلك هايس القعيط ارسل لقبائل شمر يستنجدهم ، فأخذت الامدادات من كل القبيلتين تترى على موقع المعركة . وقد سنحت الفرصة لسعدون العواجي ، فعندما علم بذلك ، أمر حفيده ، وامله الوحيد ، ابن عقاب ، بالشخوص فوراً الى المكان الذي تدور فيه رحى الحرب بين غنيم ، وبين هايس .. وأوصاه بأن لا ينسى ثأره من قاتل ابيه وعمه ..

لقد سارع ابن عقاب الى امنيته التي كان يترقبها ، فاشترك بخوض المعركة ، وكل ما يهمه هو ان يرى غريمه وقاتل ابيه وعمه ، وبعد ان رأه بأم عينه ، وتأكد من شخصيته ، وليست بخافية ، لأن شخصية هايس القعيط معروفة ، مقداماً جريئاً لا يرهب الموت ، ودائماً هو في مقدمة الفرسان ، رغم تقدمه بالسن ، وعندما هجم هايس على فرسان عنزة ، يتقدم فرسان شمر ، انقض عليه ابن عقاب مثل النمر الكاسر ، وأغمد ذبابة سيفه بخاصرته ، وانتحى به عن مكان المعركة ، الى ان ابتعد عن الفرسان ، ثم امسك رقبته وترجل به على الأرض ، والتفت اليه هايس القعيط ، فقال له ابن عقاب هل تعرفني ، فقال انت ابن عقاب العواجي ، ولا شك انك تشبهه ، ولكن لم اقتله انا ،

فالذي قتله غيري ، فقال له ولد عقاب : انا لا اسألك عن ذلك، ولكنني اسألك بالله ان تبلغ سلامي والدي اذا وصلته في الدار الآخرة ، وتخبره بأنني أخذت بثأره ، وتشرح له كل ما رأيته بعينك، ثم علا رأسه بالسيف، وفصله عن جثته ، وبعد ذلك طارت البشائر الى الشيخ سعدون العواجي ، بأن حفيده قد قتل هايس القعيط ، وقد اجتمع رجال الحي يهنئونه ، وقد عقر الابل ، وعمل الأعياد عند قبائل (ولد سليمان) وكان يوماً مشهوراً عندهم ، واخذ النساء يزغردن ، بعد ان لبسن زيناتهن ، وطاب نوم الشيخ سعدون ، وبات قرير العين واخذ ينشد :

يَا سَابقيْ رَدّ البَرَا ، ماتْ رَاعِيْـــه
الْجِيْش حِزَّب وَالرّمَك مُوْفلاتي

يَا نَاس زُوْل اعقاب مَاني بِنَاسِيْه
عِقْبَه فَلا تسْوي رِيـــال حَيَاتي

لَو مِنْ غَذَا جِروٍ لِقَا مَاهقَا فِيْه
كَانْ العَرَب كله تسوي سِواتي

الْوْرع ورْع عقَاب لاَ خَابْ راجيْه
حَوّلْ بِهايِس مَا تَنَاسَي وِصَـــاتي

كَزَّه لبُوه ويذكِر انَّه مِوَصِّيه

يِعِدّ مَـا شَافَتْ عيُونِه ثِبَـاتي

الْخَيْل تثْقَلْ لَيْن تسْمَع عَزاوِيْه

ومِنْ يُوْم سَمعَنَّه وهِنْ مْقَفِيـاتي

لَعَلْ وِزْعٍ مَا مشي دَرْب اَهَالِيْه

تشْلِقْ عَليه جِيُوبَها الْمِحْصَنَـاتي

وبهذه الفترة عين الأمير عبد الله بن علي بن رشيد اميراً لحائل من قبل الامام فيصل بن سعود ، بعد ان عزل اميرها الأول ابن علي ، وظل عبد الله بن علي بن رشيد اميراً على حائل ، والمناطق الشمالية من المملكة ، وعندما علم بذلك مشائخ قبائل الشمال توافدوا اليه ، وكل منهم يقدم الهدايا للأمير الجديد ، ومن بين الذين قدموا اليه غنيم بن بكر الربضا ، وكان مهدياً الى ابن رشيد ثلاثاً من الخيل ، وقد قبلها عبد الله بن رشيد ، وعندما كان غنيم الربضا جالساً عند أمير حائل ، كان مع الجالسين شاعر شمر بن طوعان ، وكان مكفوف البصر ، وطاعناً بالسن فقال له الأمير عبد الله بن رشيد : هذا غنيم الربضا يابن طوعان قم وسلم عليه ، وعلى الفور اجابه ابن طوعان بهذين البيتين من الشعر ، موجهها لغنيم الربضا يحرض فيها عبد الله بن رشيد عليه :

يَا غْنِيْم عِنْدَك هَايِس نِطْلِبك دَيْـــن
خَيَّال تَالي شَمَّر بالسِّنُودي
إنْ كَان مـــا جَازَاكَ عَنْها صِباَحِيْن
ما هُو وَلَدْ عَلِيْ عَريْب الجِدُودي

وبعد ان سمع امير حائل هذين البيتين من ابن طوعان ، التفت الى غنيم الربضا ، وأمره ان يرجع الى اهله ، وقال له : اننا امرنا بارجاع خيلك التي اهديتها لنا اليك ، وانت في امان الى ان تصل اهلك ، وبعد ذلك اعتـــبر نفسك من الأعداء ، ولا بد لنا أن نأخذ ثأر هايس القعيط منك ، لأنك انت زعيم المعركة ، التي قتل فيها هايس القعيط ، ولذلك فانت المطلوب بدمه ، وقيل ان ابن رشيد غزاه بعد ذلك ، وانه قتله في وديان عنزة .

واسجل هنا نبذة للتاريخ عن قبيلة آل بريك ، التي يرأسها هايس القعيط ، ولم يزل احفاده رؤساء لهذه القبيلة ، ولا زالت هذه القبيلة مع شمر : والواقع ان هذه القبيلة هي قسم من قبيلة آل بريك التي هي من قبيلة الدواسر ، ولكن حصل بينهم حادثة أدت الى قتال ودماء ، وعلى إثر ذلك رحل جماعة هايس القعيط عن ابناء عمهم ، والتجأوا عند الجربان شيوخ قبيلة شمر ، عندما كانوا يقطنون شمالي المملكة ، وقد أعزهم الجربان ، واكرموهم وبقوا طويلا

معهم ، وأخيراً حالفوا الجربان ، وقد قربوهم دون سواهم ، ولم يزالو ساعد الجربان الأيمن بالملمات ، وحتى الآن وهم عند الجربان من المقربين ، بل ويعتزون بوجودهم عندهم ، وكانوا مشهورين بالاقدام ، ولهم شهرة عظيمة . ومعروف عند أهل نجد الآن انهم فخذ من فخوذ قبيلة الدواسر ، ولم ينزحوا الا بأسباب الدم الذي حصل بينهم وبين اخوانهم آل بريك ، وكان لجوؤهم الى شمر قبل ثلاثمائة سنة تقريباً .



ساجر الرَّفدي

ساجر الرفدي – نسبه – خمول أسرته – اخوه عسكر يشد عضده – فروسيتهما – النزاع بينهما وبين اخوالهما وقتل عسكر – حرب ساجر مع أخواله البجايدة – بروز ساجر – شعره – الأمير عبد الله الرشيد لا يطمئن الى ساجر ويستعدى عليه الامام عبد الله الفيصل بن سعود – عبد الله الفيصل يهاجم ساجرا وبرجس بن مجلاد – نزوح ساجر بعدها مع قبيلة العمارات إلى وديان عنزة – غاراته على نجد – فروسيته جعلت منه زعيماً متبوعاً – شاعره سليمان اليمني – الخلاف بين آل شعلان وبروز شخصية ساجر فيه – اغارته على ابل ابن رشيد وقتله لابن زويمل وأخذ الابل – الخلاف بين ساجر والسمن وابن قعيشيش وابن غبين من مشائخ عنزة – ساجر وقصة الشويهات – الخ ...





ساجر الرفـــدي

ساجر من قبيلة (السَّلْقا) بطن من قبيلة العمارات من من عنزة ، وكان والده من بين افراد هذه القبيلة الخاملي الذكر ، الا انه تزوج فتاة من اسرة عريقة ، هي بنت ابي الخسائر ، من قبيلة البجايدة من السلقا ، وقد رزق منها بولدين ، أحدهما ساجر ، والآخر عسكر ، وعندما اكتملت رجولة الأخوين ، برزا بين قبيلة السلقا ، واخذت الأنظار تتجه نحوهما ، على عكس ما كان عليه والدهما من الخمول ، وقد اشتهرا وهما في مقتبل العمر ، لم يتجاوز عمرهما العشرين سنة ، وقد اثبتا وجودهما بين قبيلتهما ، وكانا مضرب الأمثال بين القبائل ، وقد أشادا بيتاً كبيراً لأنفسهما ، وأصبح كل واحد منهما فارساً مغواراً ، وكانت نشأتهما في منتصف القرن الثالث عشر الهجري تقريباً ، وقد حصل بينهما وبين اخوالهما البجايدة ، عقد اجتماع في بيتهما ، فدارت مناقشة بينهما وبين اخوالها ، أدت الى نزاع مسلح ،

قتل فيه عسكر ، شقيق ساجر ، فانصرف البجايدة الى مواقعهم ، أما ساجر فقد دفن أخاه ، ورحل عن مواطنهم ، الى اراضي القصيم ،اما البجايدة فبقوا في ارضهم التي هي قريبة من (الشملي) في أعالي بلاد طيء ، وكان القصد من رحيله هو ان يتنحى عنهم ، ثم يكر عليهم ، ليأخذ بثأر أخيه ، وبعد مدة اغار على اخواله البجايدة ، وهاجمهم ليلا ، ولكنه لم يقتل الا عبدا لشخص يسمى سودان ، من رؤساء البجايدة (وسودان المذكور هو المتهم بقتل أخيه عسكر) ، ثم أغار عليهم مرة ثانية ، وقتل سودان نفسه قاتل أخيه ، وبعد هذه الجرأة برز ساجر الرفـدي ، والتفت حوله جماعة من اقاربه الشملان ، واخذ يغزو بهم القبائل المعادية ، وبدأ سعده يطلع ، واتجهت اليه الأنظار اكثر ، واخذوا ينظرون اليه كقائد موفق ، وأخذت سمعته تزداد بين القبائل باواسط نجد ، وانتشر صيته ، الى ان اشتهر ، وعرف بالقائد ساجر الرفدي ، وتزعم قبيلة الشملان ، وكان محبوباً عند كل من عرفه ، وبدأ يقول الشعر ، وينظمه بقومه ، ويحرضهم به ، ويشحذ من هممهم حتى اصبح شاعراً مجيداً ، وله اشعار كثيرة لم استطع جمعها ، ولكنني سأورد ما ظفرت به من شعره ، الذي يحكي واقع حياته ، ويبين الحوادث التي حصلت

له ، في سيرته ، وكان من المعاصرين لساجر الرفدي الشيخ برجس بن مجلاد ، شيخ الدهامشة من عنزة ، وكان الاثنان يشكلان خطراً على امير حائل عبد الله بن رشيد ، ولم يكن ابن رشيد مرتاحاً لموقف الاثنين ، ولذلك بعث أخاه عبيد إلى الامام عبد الله الفيصل بالرياض ، فسأله الامام عن ما وراءه من اخبار البلاد الشمالية من نجد ، فانتهز ابن رشيد الفرصة ليشي بساجر الرفدي ، وبرجس بن مجلاد ، وقال الأبيات التالية :

يَا شِيْخ أَنَا جِيْتِك مِسَيِّرْ وَبَلاَّس
وبَاغٍ أَشُوْفك يَـا مِضَنَّـةْ فُوادي
واخَبِّرك بِاحْوالْ نَاس مِنْ النَّاس
نَاسٍ عَلَى حِكْمَك تِدُوْرِ الْفسادِي
يَا شِيْخنَا مَا حَرَّكُوا طبْلة الرَّاس
وعِنْدَك خَبَر بِقْزا البِعيرِ الْقِرَادي
أنا ورَبْعي بيْـن الاثْنا والاخْمَاس
ألفِيْن مِنْ غيْرِ الفِـلا والعِيَادي

هذا ما ظفرت به من هذه القصيدة الطويلة : فسأله الامام عبد الله عمن يعني بهذه الأبيات ، فقال له هما ساجر الرفدي ، وبرجس بن مجلاد ، اللذان يقومان بغزوات

متتالية بنجد ، ويفسدان القبائل ، ويخلان بالأمن . واخذ يحرض الامام عبد الله عليهما . وفعلاً تأثر الامام عبد الله بكلام ابن رشيد ، فأمر بتجريد حملة لتأديبهما ، فداهمتهما وهما بأراضي القصيم ، وغبها نزحت قبيلة العمارات مضطرة الى وديان عنزة المعروفة في شمال المملكة ، وهناك استقروا ، وأخذ ساجر الرفدي يشن غاراته على اواسط نجد ، والتفت القبائل من حوله ، وقد قال هذه القصيدة بمناسبة ما حصل عليه من الامام عبد الله :

اللهْ مِنْ عِيْـنٍ تَزايَدْ حَزَنْهـا
وِالقَلْب مِنْ ضَكَّاتْ الايّـام مَسْمُوزْ

مِنْ شُوْفِتي دَارٍ تَغَيَّـرْ وِطَنْهَـا
مِنْ عِقْبْ مَاني دَاله القَلْب مَسْرُورْ

دَنُّوْلي الحَمْرا وَمُدُّوا رِسَنَّها
وَهَاتُوا ذُلولي وآنسِفُوا فُوْقَها الْكُوْر

يَامَا حَلى المِسْلاَف بَاوَّل ظَعَنْها
مِسْتَجِنْبِيْن الخِيْل يبْرا لِهِنْ خُوْر

يُوم انَّهـا نَجْدٍ وانَا مِنْ سِكَنْها
واليوْم مَا يِسْكِنْ بِهَـا كلْ مَمرُور

شَامَتْ لِعَبْدِ اللهِ وانا شِمْت عَنْها
اللِّي يِصَبِّح بــه عَلى شَقَّة النُّوْر
وَانَا احْمِدَ اللهُ سَالِمٍ مِنْ شِطَنْها
وْمكَيِّفٍ مَا بِيْنْ عَرْعَرْ وَابَا الْقُوْر

وبعد هذا اخذ يضاعف غاراته على نجد ، وعرف بالشيخ ساجر ، ولم يبق رئيساً لقبيلة الشملان فقط ، بل ترأس عموم قبيلة السلقا ، التي يعتبر الشملان بطناً من بطونها ، واصبح يشكل خطراً على جميع القبائل المعادية ، وكان في غزواته يتبعه اعداد هائلة من الخيل ، والهجن ، وكان ميمون النقيبة ، وموفقاً بغزواته ، وشجاعاً لا يهاب الموت ، ومع هذا كريم الى ابعد الحدود ، ودمث الأخلاق ، ومتسامح عن خطايا من حوله من رفاقه ، وكان يفضل قومه على نفسه ، وينصفهم بحقوقهم ، ويعف عندما يغنم ؛ وليس للجشع في نفسه مدخل .. وهذه السجايا هي من مقومات زعامته ، الأمر الذي حدا بأكثر قبائل عنزة ، وبعض قبائل شمر، إلى الانضمام اليه في الغزوات ، وكان قد أعد صانعاً يسمى خليفاً ، واسكنه في رأس هضبة تسمى (اللبيّد) وليسَ لهذا الصانع مهمة سوى صنع حذاء الخيل ، وتركيبها عندما يغزو ساجر ، ويرجع اليه ، وبهذه المناسبة قال قصيدته المشهورة وهي كما يلي :

يا خْليْف قَطِّعْ لِلسَّبَايَا مسَامِيْر
عَنِ الْحَفَا ، يا شُوْق مُوْضي جِبِيْنِـهْ
يَامَا حَلاَ ، يا خِليْف تَشْيِيدَةَ الْكِيْر
بِراس اللِّبَيِّدْ بِيْن خَضْرَا وِ لَيْنـه
وَيَامَا حَلا ، يَا خْليْف خَزَّ الْمَعَاشِيْر
خِلْجٍ تَوال اللِّيْلْ تِسْمَعَ حِنيْنِـه
كَمْ عِزْبَةٍ زِ حْنَاه مَعْ نُوْضَةْ الطِّيْر
وَكَمْ شِيْخ قُوْمٍ عِندهِنْ جَادعِيْنِـه[1]
مِنْ حَدْ حَايِلْ لِيْنِ سِنْجَارْ والدّيْـر
كَمْ خَيِّرٍ بِارْمَاحِنَـا عَاثْرِينِه
ومِنْ نَجْد جِبْنَا الصُّفْر هِيَ وَالْمَغَاتِيْر
وَالذِّيْب مِنْ عِدْوَانِنا مِشْبِعِيْنِه
وحِنَّا عَلَى شِهْبِ النَّواصي مَنَاحِيْر
إنْ طَارْ عِنْ جِرْدِ السَّبايَا يِقيْنِـه

---

(١) نوضة الطير ، طيرانه الصباح المبكر . وجادعينه ، طارحينه .

مَرٍّ مِسانيْدٍ ومَرٍّ مَحَادِيْــر

وَكْمْ جَوّ قُوْمٍ نَاثْرِيْنٍ قِطيْنِــه

وكم عايل جنِّه سواة الشنانير

واصبح فقير خاليات يدينـــه

مِنْ فُوْقِهِنْ فَعَّالِةِ الشَّرْ والخِيْــرْ

أَهْل العُلُومِ الْبيِّنةِ وَالسَّمِيْنه

وبهذه القصيدة لمح عن الأراضي التي يغزوها ، ويصل اليها ، وقال انه وجماعته ، يذهبون على الهجن الى اعالي نجد ، ثم ينحدرون ويصلون الى سنجار بالعراق ، والى الدير بسورية ، وقال انه وجماعته يفعلون الشر والخير ، اي انهم حرب على من عاداهم ، وسلم لمن صادقهم .

لا شك ان ساجر الرفـدي قوي العزيمة ، شديـد الشكيمة ، طموح الى ابعـد حـد ، وقـد اوجد نفسه من لا شيء ، وفي بعض غزواته قيلت هذه القصيدة ، ويقـال انها للشاعر اليمني شاعر ساجر الرفدي :

غَنَّامْ هَامْ وَيـمْ طَلعِهْ جِذَبْنَا

طِيْرٍ الحَبَارْى لابْرَق الرِّيْش عَفَّــار

وشِفْنَا واغْرَنَا فُوقهنْ وانْتدَبْنا
وشَالَنْ ابن لامِي عَلَى الوَجْهِ حِدَّار
وِهمنَا الدّويْش بِدَيْرتهِ وانْقَلَبْنا
جِيَّانْهُم مَـا تروي الخَيْل واغْسَار
صِبْحِ اَرْبعٍ مِنْ جَوْ خَضْرا شرِبْنا
وِتشاوَرَوا للّرايْ صَلْبينَ الاشْوَار
والصِّبْحِ مِنْ فُوْف الرّكايِبْ ركَبْنا
وَمَرَّنْ رِجْمٍ لِلْهَيَازع وسِنَّار
وَابنْ عَلي قَلَّطْ لِنَا الْبيت يبني
وجِيْنا كِشافٍ عِقْبَ الاضحَى والافْكَار
ومِن فُوْقِ زِيْنَات السِّبَايَا هَذَبْنَـا
بِيُومٍ عبوسٍ فِيْه عَجّ الدَّخَنْ ثَار
وِلَبْن عَلى وابْن طوالَـه ضَرَبَنا
وَاقْفَنْ بِرِيَّاد[1] العَشَاشِيْق عبَّـار

---

(١) واقفن برياد : بقصاد .

حِنَّا لِيا منَّا عَدِينا غَلَبْنا
وعَدُونّا نَسْقِيْه كَاسَات الامْرَار
أَقْفَنْ سَلايِلْ خِيْلَهُمْ مِنْ غَضَبْنا
غَلْبَا مدَلَّهْةِ العَشَاير بالاقْفَار
وحِنَّا لِيَامنَّا زِعْلنَا حَرَبْنَا
ونْذرِ الدَّخِيْل ونِكْرِمْ الضِّيْف والجَار
ويَامَا غَصَبْنَاهُمْ ولَخْدٍ غَصَبْنا
وهَذي عَوَايْدنَا عَلَى الْهِجِنْ وامْهَار
وَعِدْوانِنَا تِشْكي فَعَايِل سِرَبْنا
نُوبٍ مِسانِيْدٍ ونُوْبَاتْ حِدَّار

ويقصد الشاعر سليان اليمني بكلمة « غنام » ساجر الرفدي قائدهم ، مشبهه بالصقر ، لأن غنام من اسماء الصقور ، وقال انهم ابصروا عربان ابن لامى ، فاغاروا عليهم ، واخذوهم ، ثم صمموا على مهاجمة الدويش ، واخيراً تراجعوا لأن مناهلهم قليلة الماء ، لا تروي الخيل ، وعسار ، أي عميقة . وفي صبيحة اليوم الرابع وصلوا منهل (خضرا) المعروف وشربوا منه ، وهناك تبادلوا الرأي ، ثم مشوا باليوم الخامس ومروا برجم (الهيازع) و (سنار)

وهناك وجدوا ان ابن علي زعيم قبيلة عَبْده من شمر قد علم بهم ، وقطع عليهم الطريق ، متصدياً لهم ، وقد انضم الى ابن علي ابن طوالة زعيم قبيلة الاسلم من شمر ، وذكر الشاعر انهم هاجموهم وهزموهم ، هم ومن معهم ، وأن خيلهم هاربة ، ومن فوقها الشبان اللذين يعشقون البنات ، وقال إنهم (يقصد جماعة ساجر) يغلبون كل من يحاربهم ، ولا يغلبون ، وكأنه أعاد معنى بيت عمرو بن كلثوم حيث قال :

فَإِنْ نَغْلِب فَغَلاَّبُونَ قِدْمـا
وإِنْ نُغْلَبْ فغيْرُ مُغَلَّبينـا

ثم قال في آخر قصيدته : وهو ولا شك تتكلم بلسان ساجر : انه اذا تحداه احد حاربه ، وانه يجير من استجار به ، ويكرم ضيفه وجاره ، ثم قال انه يغتصب الناس ، ولا يستطيعون اغتصابه ، وهذه هي عادته على صهوات الجياد ، واكوار الابل ، وقال ان اعداءنا ، يشكون الضيم من كراديس خيلنا ، واننا نسير بنجد جيئة وذهاباً لا نخشى من اعترض طريقنا .

وفي سنةمن السنين ، وفي عنفوان زعامةساجر الرفدي ، وبروز شخصيته ، بين زعماء قبائل نجد ، حصل بين آل شعلان خلاف على الزعامة ، وهم عائلة آل نائف ، وعائلة آل مشهور ، وكان شيخ الشعلان وقبائل الرولة

آنذاك هو فيصل بن نائف الشعلان ، ويسانده أخوه هزاع بن نائف ، وابنا اخيه ، وهما فواز وصطام ابنا حمد النايف ، وقد حصل بين العائلتين معركة ، تغلب فيها آل مشهور ، على آل نائف ، وقتلوا فيصل بن نائف شيخ القبيلة ، وابن اخيه فواز ، وجرح هزاع جرحاً بليغاً .. على اثر ذلك عابت رجله ، اما صطام بن حمد فكان صبياً صغيراً ، لم يبلغ سن الرشد ، وكان عمره يقارب ثلاث عشرة سنة ، ففر به (عبيد) آل نائف ، والتجأوا به الى الشيخ ساجر الرفدي ، اما آل مشهور فقد اخذوا راية الشعلان المشهورة ، وهي عبارة عن هودج مجلل بريش النعام ، ومن أخذ هذه الراية من عائلة الشعلان ، يصبح هو رئيس القبيلة ، وكانوا يحملونها في ساعات الحروب ، يتكاتفون من حولها ، وفعلا ترأس آل مشهور بقبائل الرولة . أما صطام ابن شعلان فعندما التجأ الى ساجر الرفدي هو وعبيده ، سألهم ساجر عن القصد من لجوئهم ، فأخبروه بما وقع بينهم وبين ابناء عمهم ابن مشهور ، وان شيخ الرولة فيصلا قد قتل ، وكذلك ابن اخيه فواز ، وان ابن مشهور غدر بهم ، وطلبوا من ساجر ان يعينهم بنفسه ، وبقومه ، لأخذ الثأر من آل مشهور ، واستعادة الراية ، وقد لبى طلبهم ، وقال اطمئنوا فأنا معكم ، واعطيكم عهد الله على ذلك ، ولكن لابد من ان اتوجه انا واياكم للشيخ ابن هذال ، شيخ العمارات ، لنعرض عليه الأمر ، ونخبره بكل ما حصل ، ونطلب منه ان يكون بجانبنا لتنفيذ ما طلبتموه ، وانا اؤكد لكم انني

سأكون معكم حتى ولو اعتذر ابن هذال ، ثم توجه ساجر ، ومعه صطام الصبي الصغير ، الى ابن هذال ، واخبروه بالأمر ، وطلب منه ساجران يقود قبائل العمارات ، لأخذ ثأر آل نائف ، من آل مشهور ، وارجاع رايتهم اليهم ، وقد استعد ابن هذال لذلك ، وطمأن الشيخ الصغير صطام بن شعلان ، بأنه سيسير معهم ، وعمم الأمر الى جميع قبائل العمارات ، ثم التفوا من حوله ، ومعه ساجر الرفدي وقبائله ، وصطام معهم ، ومن معه من العبيد ، وقيل ان معهم قسماً من قبائل الرولة ، وزحفوا على آل مشهور ، وقبائل الرولة ، وكان آل مشهور ومن معهم نازلين في وادي (ابا القور) المعروف ، وقد ارسل ابن هذال جواسيس ليسبروا قوة الرولة ، وبعد أن عاد اليه الجواسيس واخبروه أن الرولة مجتمعة عن بكرة ابيها ، مع آل مشهور ، وبعد ان تأكد ذلك ابن هذال استصعب الأمر ، والتفت الى ساجر الرفدي ، وصطام بن شعلان ، وقال لهما لابد من الرجوع والتأني ، الى ان يتفرق عربان الرولة عن آل مشهور ، ثم نغزوهم مرة ثانية ، وهم وحدهم ، وننفذ ما طلبه صطام بن شعلان ، وعندما لاحظ عبيد صطام تردد ابن هذال ، وجهوا صطاماً بأن يستثير ساجر الرفدي بالنخوة العربية ، ولما فعل ذلك صطام ، قام ساجر الرفدي غاضباً ، وركب قلوصه ، وصاح بفرسان قبائل العمارات ، وقال الذي يريد يتبعني فأنا ذاهب لمهاجمة آل مشهور ، ومن معهم ، لأخذ ثأر من استجار بي ،

والذي يريد منكم ان يرجع فهو حر ، ثم دفع مطيته مسرعاً ، ومستجنباً جواده ، وذهبت فرسان العمارات خلفه ، ولم يتأخر أحد عنه ، وعندما لاحظ الشيخ ابن هذال ذلك صمم على الاستمرار معهم ، لتنفيذ الخطة ، فهاجموا آل مشهور ومن معهم من الرولة ، الا انهم لم يظفروا بعائلة آل مشهور ، لأنهم دافعوا عن ظعينتهم الخاصة ، وعن راية الزعامة ، وحموها من القوم المغيرين ، وتوجهوا الى اراضي دومة الجندل ، وبعد ذلك قرر ابن هذال الاكتفاء بهذه المعركة ، وأمر القوم بالرجوع ، ولكن ساجراً لم يكتف بذلك بل اصر على مناصرة صطام بن شعلان ، وعارض ابن هذال بالرأي ، واستمر بمطاردة آل مشهور ، وتبعه العمارات ، ولم يتأخر منهم احد ، ثم كر على آل مشهور مرة ثانية ، وهم في دومة الجندل ، وقتل من فرسانهم عدداً كبيراً ، واسر الكثير ، واسترجع الراية ، وسلمها لصطام بن حمد الشعلان ، وعادوا الى منصبهم الذي سلبه منهم ابناء عمهم آل مشهور ، اما ساجر فهو لم يكتف بهذا النصر ، بل كان حافزاً له على مواصلة غاراته على جهات اخرى ، فأغار على الشيخ ابن زويمل احد مشائخ شمر ، وهو المسئول عن ابل طلال ابن رشيد ، حاكم حائل ، وكان في الدهناء ، وقد قتل ابن زويمل ، واخذ كل ما عنده لابن رشيد من المواشي ، وكذلك أخذ جميع حلال قبيلة بن زويمل ، وبهذه الحادثة اثبت ساجر الرفدي ، جراءته الفائقة ، حيث تجرأ على مهاجمة المسئول لحاكم حائل ،

متحدياً بذلك الحاكم نفسه ، وقد رجع بهذه الغنائم العديدة الى اهله ، وقال هذه القصيدة واصفاً قومه ، مفاخراً بهم :

مِزْنٍ تَزبّرْ عَمْ عَرْعَرْ وابا القُوْر
سِيْلهِ عَلَى كِلْ المشاريْف ضَافي
أَوَّل خِياله صَارْ فُوْق ابنْ مَشْهُوْر
جَاهُمْ عَلَى وَضْحَ النَّقا مَعْ كِشَافي
يَا مَا اقْبَلَنْ باخَوات رَبْدا تقْل سُوْر
ويَاما انْتَحَنَ باخْوَات رَبْدا مقافي
كِسِيْرةٍ فيْها احْمَر الدَّم مَنْثُوْر
وقفوْا عَلِيْهم لابِسِيْن الْغدَافي
وخَيِّلْ ضِبَابِه وَانْتَحَى السِّيْل بِحْدُوْرْ
وابِنْ زُوْيمل شَاله السِّيْل طَافِي
فَاجَاه مِنْ فُوْق الرَّمك كل مَصْطُوْر
خَيَّالْ ذرْوَة يُوْم هي بِالعوافي
ذِرْوَات اَخَذْنَاهِنْ وِيْبَرى لهُنْ خُورُ
ويفْداكَ مالِكَّ يَا رِبيْع الضعَافي

غِرْنَا عَلَى ذِرْوات مَعْ فَجَّةِ النُّــوْر
وَتـخزّزُوْهِنْ نَاقِلِيْن الشَّلاَفي

والفاطــرِ اللي عندكم فات له دور
حَنّت ولا تَالي حنينه عوافي

هَذَى عَوَايِدْ مِدّبة كلْ صَابُوْر
قِوْلٍ عَلى فِعْلٍ وكــادٍ يِشّافي

وَصَطَّامَ خَلَّيْناهْ يرْكَبْ عَلى الْكُوْر
وعِقْب العَنَا والْكُودْ شَاف الْعَوافي

وَالَمرْكَبِ اللِّي فُوْقه الدّلَ مَنْشُوْر
جَانَا بضرْب مصقّلاتِ الرّهافي

وقد شبه ساجر قومه بالمزن ، وأن سيله غطى كل مرتفع ، وانه امطر – اول ما امطر – على نزل ابن مشهور، وانه اتى اليهم جهاراً ، ولم يأتهم غدراً ، وقد أثنى على فرسان آل مشهور ، حيث قال ان فرسانهم يكرون مرة ، ويفرون أخرى ، بعد ان يسيل الدم منهم ، وقال ان هذا المزن بعد أن أمطر على آل مشهور اتجه الى ابن زويمل ، المسئول لابن رشيد و(ذروات) أخذناها قسرا ويعني إبل طلال بن رشيد ، التي كان يغزو عليها ، وان من ضمنها خوراً

أي أنه أخذ القلائص ومعها ابل غيرها ، من ابل ابن رشيد ، وقال في آخر قصيدته : ان هذه عوائدنا ، نؤدب الرجال بالرجال ، ولا نقول شيئاً الا ونفعله ، وكل الناس تشهد بفعالنا .. ثم قال اننا نصرنا الشيخ صطاماً بعد ان لحقه العناء والكود .. وقال في آخر بيت اننا استرجعنا (المركب) ، وهي راية آل نائف . آل شعلان ، بضرب مرهفات السيوف .

وبهذه المناسبة قال شاعره سليمان اليمني هذه القصيدة :

حِرٍّ شَلَعْ مِنْ مَرْقَبٍ مِرْقبيْنـــه
طَلْعِهِ بعيْدْ وِصيْدتهِ حِصٍّ الاوْبَـــار

غَنَّامْ صَيَّادِ الشَّواةِ السَّمِيْنِـــةَ
بِمْصَافَقِ الْغَارَاتِ لِلْضَّد دَمَّـــار

صَلْ ابن مَشْهُورٍ وفَرَّق ظِعِيْنه
وخَـــلَّى حَرَيْمه قَاعِدَاتٍ عَلَى الدَّار

رَدَّدْ رُدْوده ثُمَّ صَدَّرْ يَمِيْنِـــه
وأَدْلَى عَلَى نزْل الــزَّمُيْلى بالاصْخَار

سَاجِرْ ضَرَبْهُمْ ضَرْبَةٍ في يِمِيْنِـــه
وحِلْنَا عَلَى ذِرْوَاتْ بالموْقَفِ الحَـــار

كُوْنِ الضِّيَاغمْ مِنْ بَخَتْ حَاضِرِيْنِهِ
طَرْشٍ كَثِيْرْ وَباغي الْهجنِ يختـار
ذِرْوَات جَنَّ ابهنْ من الْوِضْحْ عِيْنه
وِضْحٍ تَخَافَقْ وِسْطَهُن تِقْلْ نُوَّار
راعِيْ الْبُوِيْضَاْ خَبَّـروَا جاهِلِيْنِه
كَمْ حِلَّةٍ خَلَّيْ عَمَدْهَا عَلَى الـدَّار
سَاجِرْ حَلَفْ حِلْفٍ وَتَمَّمْ لِدِيْنِهِ
وَخَواتْ بَتْلا لِلْعِدوْ كسر تِغْبَـار
طَلاَلْ قِلْ لِعَبَيْدْ بِيْنِكَ وبيْنِه
وِشْ لوْنَ يا مَنْ والْعِمَارَاتْ عُمَّـار
وِشْ لوْنْ تِقْبَلْ لَذَّةِ النَّوْمِ عِيْنِه
وَوَراه رَبْعٍ مَايَهابُوْن الاخْطَـار
مِنْ بَابْ بَغْدادٍ لِبَابْ الْمِدِيْنـةِ
يَلْقَى بني وَايل عَلى الكُودْ صِبَّـار
مِنْ فُوقَ الانْضَا ما بغَوْ واصلِيْنِه
مِسْتَجِنبيْنٍ قِرَّحَ الخَيْل وامهَـار

كَمْ خَفْرةٍ تَنْعى وَتَبْكي جِنينْنِـه
خِلِّي لِسِحْمَانِ الضَّوارِي بالاقْفَار

وكَمْ خَايِـعٍ وَقْتْ الْخَطَرْ نَازِلِينْه
عَادَاتُهُم نَزْلِ الْخَطَر سِرّ واجْهَـار

وَكَمْ حِلَّة فُوْق الرَّمَكْ سَـاهِجِيْنِه
بَاقْفَار. نَجْدْ وكـلْ دارٍ لهُم دَار

وكَمْ عَايِلٍ بارْمَاحِهُم جَاد عِيْنِه
مِنْ ضيْمِهِمْ يِشْرَبْ قَرَاطِيْع الامرار

وفي هذه القصيدة يقول لطلال بن رشيد ، اسأل عمك عبيداً كيف ينام ، وقبيلة العمارات على الوجود ، ولا زالت قوية ، وان ساجرا معهم ، لا يهاب الأخطار ، ثم قال من مدينة بغداد ، الى المدينة المنورة ، وبنو وائل موجودون على خيولهم ، وأنهم يصلون الى اي شيء يريدونه ، وكم اشبعوا الذئاب الجائعة ، من جثث القتلى ، وكم أرض قفرة رتعوا بها ، دون مبالاة بأحد ، وانهم يتنقلون في كل بلاد نجد ، وينزلون حيث ما ارادوا ، سراً وجهاراً ، وكل عائل مستكبر يؤدبونـه ، ثم اشار بقائدهم ساجر الرفدي ، ورمز اليه بالصقر ، وان نظرته بعيدة ، وانه بالمعارك يدمر الأضداد ، ثم قال انه فرق شمل آل مشهور ،

وترك نساءهم على الأرض ، وقال انهم ردوا ما غنموه من آل مشهور من الابل لأهلهم ، ثم استمر بغزوته واغار على ابن زويمل المسؤول لابن رشيد ، وانه قتل ابن زويمل وأخذ حلال طلال بن رشيد ، وأخدوا ذروات ، وهذا هو اسم قلائص ابن رشيد التي يغزو عليها ، وقال ان من من بينها ابلا وضحا اي بيض الألوان ، وشبهها بالنوار ، يقصد زهر الاقحوان ، وقال ان ساجراً اخذهم بيوم حار ، اي بمعركة حامية ، وأنه اعطى قومه الخيار ، من ابل ابن رشيد ، لأنها كلها من أصائل القلائص ، وقال ان هذه هي أفعال صاحب البويضا ، ويقصد ساجراً ، فالذي لا يعرفه يجب ان يعرفه ، وقال انه اقسم يميناً ان يخلص راية صطام من ابناء عمه آل مشهور ، وقد أوفى بقسمه ، وبعد ذلك اثنى على اخوات بتلي ، ويقصد مشائخ العمارات ، آل هذال .

بعد هذه الوقائع التي فاز بها ساجر زادت شهرته علواً ، وصيته انتشاراً ، واخذت تنظر اليه القبائل نظرة اعجاب ، وكان يساعده الحظ في كل غزوة يغزوها ، ولذلك أخذ زعماء القبائل ينظرون اليه نظرة الكراهية ، اصبح مصدر خطر على زعامتهم ، بين قبائلهم ، خاصة مشائخ (ضنى بشر) ، من عنزة .

وقد نشب الخلاف بين ساجر وشيخ من الخرصة من الفدعان يسمى السمن ، ويقال ان هذا الشيخ قام لدهام

بن قُعَيشِيش شيخ قبيلة عموم الخرصة ، من الفدعان ، محرضاً له ان يغزو ساجر الرفدي وجماعته ، آل سلقـا ، لسلب اموالهم ، وتحويلهم الى فلاليح ، يزرعون بالأرض ، هذه الكلمات أثارت ساجراً فشن الحرب على السمن ، وقال هـذه القصيدة :

يَالسَّمَنْ مَا رَبْعِيْ لِرَبْعِك فَلاليْح
رَبْعِيْ مَقَزيْن الْعَدُو بالْفَعَايِـل

رَبْعِيْ هَل الطُّوْلَة عَلى الفِطَّرْ الفِيْح
مِسْتَرِدِفيْن مبشَّمات الفِتايِـل

إنْ دَرَهَم الصَّابُوْر مَا مِنْ تِصافيْح
مِنَّا وِمِنْكُم يِرْمَلَنْ الحَلايِـل

وَالله مَا تِسْرَحْ عَلى الْحَمْضِ وِتْريْح
مَا دَامَ مَا حَطُّوْا عَليَّ النْثَايِـل

مَا دَامَ مَا غِزَّتْ عَليَّ الصَّلافِيْـح
مَا نِشْرَب الفِنْجَالْ والحَقْ مَايِـل

حِنا بعون الله عداة مفا ليح
تشهد لنا بالطيب كـل القبايِل

عَلَى النِّضَا والخيْل دَايِم مِشاوِيح

مَا نتقي بَرْد الشِّتا والقِوايِل

نِسْعَى بِدُنيانا نبي هَبَّةِ الرِّيْح

وِنخُوْض غِبَّاةٍ وِنِكْسَبْ جِمايِل

يَامَا عَدِيْنَا يَم ابا الْهِيْل وشْبَيْح

ويَامَا وطنْ فيْنا قفَــارٍ وحَايِل

ومِنْ الشِّعَبِ جِبْنا نياق الْمصَالِيْح

وَرَدَّنْ وَاغرْنَا يَمْ بيْضا نِثَايِل

وَهَلْ الْحَفر فَاجِيْتُهُم بِالْمِصَابِيْح

وِجِبْنا حَلال الطَّيبينْ الْحَمَايِلْ

يَوْم الْعِفُونْ أَهَلِ السَّوالِف مِدابِيْح

أَنَا عَــلى الطَّفْقَات صَايِل وجَايِل

وبعد ذلك تطورت القضية ، وثار الشيخ دهام بن قعيشيش ، والشيخ نايف بن غبين ، وكذلك مشائخ قبيلة السبعة ، ثار كل هؤلاء متألبين ضد ساجر الرفدي .. ولكن ساجراً أخذ يشن علهم الغارات المتتابعة ، وحاصرهم حصاراً شديداً ، حتى حمى عليهم الرعي بالفلوات التي

ينبت بها الحمض ، وقصد بهذه المناسبة الشاعر البليعان ، الذي هو من ضنا عبيد (السبعة) ، والفدعان خصوم ساجر الرفدي ، وقد أثنى على ساجر ثناء عاطراً ، ومدحه بما يستحقه ، وهذه من فضائل العرب ، ولا شك ان الشاعر البليعان من المعجبين ببطولة ساجر ، وقد طلب له البليعان بالقصيدة التوفيق ، والعز ، وأشار الى كراهية المشائخ لساجر ، وقال ان ساجراً أغنى قومه بالغزوات ، وان كل بلاد من بلاد الاعداء شرب من مائها ، ووصل اليها ، وقال انه يكسب الابل الوضح اي البيض في الوقت الذي كان الزعماء غيره نائمين عنها ، الى ان قال بقصيدته : ان ساجراً يمتطي الخيل والآبل بغزواته ، الى ان يسيل الدم من خفاف لهجن ، من شدة الهجير بالصيف ، ثم ذكر ان ساجراً حرم على ضنا عبيد المرتع في اراضيهم ، التي كانوا يملكونها من قبل ، وقد بينها في قصيدته وحددها ، وقال ان ابناء وايل لا يقربونها خوفاً من ساجر ، ووصفه بالأسد ، المطل على الذئاب من فوق مرتفع ، وهذه هي القصيدة :

يَا رَاكِبٍ حَمْرَا تِذب الطَّوَارِيْق

جِذْعِيَّةٍ قَطْعِ الفَيافي مِناهَــا

مَدّت مِنْ الضِّلْعَان وَقْت التَّشارِيْق

تِلْفي لِسَاجِرْ هُو مَحَاري عَشَاها

عَسَاه مَعْ رَبْعِهِ بِعِزّ وَتَو افيْــق

اللاَّبِةِ اللّيْ كِلْ شِيْخٍ جِفَاهــا

سَاجِرْ جِمُوعِه عاشَها بِالتَّصافِيْق

كَمْ دِيْرِةٍ قَدْ وَرَّدَوا بِــــرد مَاها

كَمْ دِيْرِةٍ جُوْها الْعِيال الْمِطَالِيْق

هَدُّوا رُواسِيْها وَداسُوا حِماهــا

فُوْق الرَّملك ومِجَاذِبَات الخَنَانِيْق

كَمْ طامِحٍ فَكُّوا حِبالٍ وَرَهــا

الْوِضْح جَابُوها تِذبٍّ الطَّوارِيْق

يُومٍ انْ كلٍ نَايم مَا نِصَاها

مِنْ فُو ق قِبّ مِنْ طوالِ السَّمَاحِيْق

وِهْجنٍ بحرّ الْقيظ يَدْمي حَفاهــا

الله يَا عِشْبٍ بالاكْوامَ ماذِيْق

في قَفْرِةٍ راعــي الْبُوَيْضَا حَمَاهــا

التَّنْف وارْض شبيْخ وارْض الزَّرانيْق

أَوْلادَ وَايــل مَا تقَرِّب حِماهــا

مِنْ خُوْف سَاجِرٍ يدّب القوْمِ ويوِيّق

سِبْع الذِّيَاب اللِّي ظهَر مَع شِفَاها

وعندما تبين لساجر أن ضنا عبيد قد أجمعوا امرهم على حربه قال قصيدة لم اظفر منها بسوى الخمسة الأبيات التالية :

يا عيَالَ يَلِّلي فُوْق الانْضا مَوارِيْد

خُوذوا سِبَاياكُم وخُوْذوا قِـراكُم

خُوْذوا مَهَانيد النَّمش والْبَوارِيْـد

الله لاَ يِخَيِّب رِجا مِـنْ رِجَاكُم

يَالابتي مَا عَاد فيْهـا تِصَادِيْد

والْعِزْ بَاتْلى خِطْوَةٍ مِن خِطاكم

يالآبتي نبي نِطارِد ضَنَا عبِيْد

حِتِي يبَيِّن طِيْبكُم مِـنْ رِداكُم

اللِّي يِلِفُّوْن الضَّمَايِـر عَلَى الْكِيْـد

بيَّنْ خَطَاهُم وَاستَحَقَّوا خطاكُم

لقد استحث ساجر فرسانه ، وامرهم بأخذ قلائصهم

وخيولهم ، وامرهم بأخذ سلاحهم من السيوف والبنادق ، وقال ان الحرب واقعة لا محالة بيننا وبين ضنا عبيد ، واكد لهم ان عزهم عندما ينجزون مهمتهم ، بأتلى خطوة من خطاهم الثابتة ، وقال اننا سنتجاول نحن وضنا عبيد على الخيل ، حتى تثبت لهم شجاعتكم ، ويعرفونكم تماماً بميدان الحرب ، واكد لجماعته ان خصومهم تنطوي ضمائرهم على الكيد والخبث ، وانهم بدأوكم بالخطأ ، ولذلك فقد استحقوا خطأكم فيجب تأديبهم ، وبعد ذلك شن ساجر غارته على ضنا عبيد ، بعد ان تجهز هو وفرسانه ، واخذ ابلا لأحد كبارهم ، وعندما علم بذلك ضنا عبيد ، الذين هم السبعة والفدعان ، ركبوا خيولهم ، ولحقوا بساجر ليخلصوا ابلهم منه ، فاحتدم الصراع بينهم وبينه ، عند الابل ، وقام فرسان (ضنا عبيد) بمجهود كبير ، وهاجموه بشجاعة المستميت ، ولكن ساجراً وابطاله صمدوا وأثخنوا فرسان (ضنا عبيد) بالضربات القاتلة ، وتراجعوا عاجزين بعد ان قتل منهم عدد كبير ، وتم استيلاء ساجر على الابل .

وبهذه المناسبة قال شاعر ساجر سليمان اليمني هـذه القصيدة : وقد فصل فيها تفصيلاً وافياً :

حِرٍ شَلَع مِنْ راس سَفّان وانْهَامْ

يَهْوي عَلَى نَـاحٍ ويَضْطِي عَلى نَاح

هَامَ العِراق وقَالُوْا الدَّرْبِ قِـدّامْ
وَطَالَعْ عَلَى بِمْنَـاه خَلْفَات وِلْقَاح
ونوَى عَلَى دَرْب المِقَادِيْر جَـزَّام
بِراس اللَّوى اذْلى عَلَى الْمَال سَرَّاح
واقْفَوا هَل الطَّوعَات عجْلات الوْلام
بِقِطْعَان ابِن كرْدُوْس كَسَّاب الامداح
صَكُّوا بِهن صَكَّتْ عَلَى الزَّاد صِيَّام
حِلٍّ الفُطُوزْ وَقَال : سَمّو بالأفْلاح
ولَحْقَوا هَلِ الْعَرْفَا وَطابُورْ الارْوَام
فَزْعَة قِطيْن وبِهِ عشاشِيْق طِمَّـاح
وَهازَوْا وِوَرْدَوا والدَّخَنْ بِيْنِهُم زَام
وَشَافَوا سُهُوم المَوت مِنْ دُونهمُ لاح
وَتلافتَنْ حِرْش الْعَراقِيْب سجَّام
شَرْهَنْ عَلَى مِركَاضِ مِهْديْن الارْواح
وغَدا لهُم عِقْب النَّوادِيْه نَمْنَام
وَانْيَابَهُم مِنْ حَامِي السّو كِـلاَّح

واقفوا مِعِيْفِيْنٍ بَعَدْ ضَرب وَزْحَام
كَمْ مِنْ عَدِيْم بِاللِّقَا قفْوُهُمْ طَاح
انْذَرْتُكُم يَا بشرٍ في عَامِنا الْعَام
عَنْ طَارِي الفَزْعة ليا صَاح صَيَّاح
مَا دَام سَاجِرْ كِنَّه السّبْعِ ضِرْغَام
عَنْ صِيْدِتِه مَـا نَزَّحَه كل نَبَّـاح
مَصْطُوزْ قَطَّاع الفَيـافي وجَـزَّام
عَيّ عَنِيْدٍ لِلطَّوابِيْر نَطَّـاح
مِنِ الرّاس لِلْبَلْقا إلى نِقْرةِ الشَّام
مِنْه الدّول خَافت عَلَى كِلْ فَـلاَّح

وهنا اكد الشاعر سليمان اليمني وصف سيده وزعيمه بالصقر الذي اعتلى مرتفعاً من الأرض ، واخذ يتحفز لاقتناص صيدته ، وأوهم أعدائه انه يريد غيرهم ، لينقض عليهم على غرة ، والحرب خدعة ، وقال انه فاجأهم، واخذ ابل ابن كردوس ، وشهد له الشاعر انه من الذين يكسبون المدح ، اي من الرجال الطيبين ، ثم ذكر انهم احاطوا بالابل من كل جانب احاطة السوار بالمعصم ، أو كاحاطة الصوام بفطورهم ، بعد ان غربت الشمس وحل

الافطار ، ثم قال انهم لحقوا اهل (العرفا) وطابور الأروام ، اما اهل العرفا فهم قبيلة السبعة وكانوا ينتخون بالعرفا ، والعرفا المذكورة هي الأكمة الصغيرة التي تقع شرقاً عن مطار الطائف ، اما الأروام فهم الخرصة من قبيلة الفدعان جماعة ابن قعيشيش ، وهم ينتخون بالروم ، وهذه عادتهم ، وفي نفس البيت قال إنهم هبوا من القطين ، اي من المنهل الكبير ، الذي تجتمع فيه قبائلهم ، وهنا يبين انهم ليسوا بقلة ، بل ان عددهم كثير ، وقال انهم هاجموهم بعد تردد ، وبعد ان ثار ملح البارود ، من بنادقهم ، وكذلك رأوا الموت يحول بينهم وبين الابل ، ثم قال إن الابل التفتت اليهم ساجمة ، اي ذاهلة حسيرة وكانت مؤملة ان أصحابها يخلصونها ، ولكن انيابهم كلحت ، وظهر عجزهم ، واخذوا يتقهقرون ، ورجعوا يائسين من فكها ، بعد ان شاهدوا عدداً من القتلى ، على الأرض دونها ، ثم قال الشاعر انني نصحتكم بالعام الماضي ، ولم تقبلوا نصيحتي ، وقلت لكم ان شيئاً يغنمه ساجر لا تفكروا بارجاعه وانه لا يضيره نباح الكلاب ، وقال ان ساجراً مصطور اي صلب القناة ، وانه يقطع الفيافي الموحشة ولا يرهبها ، وعنيد بالحروب ، ويقابل الطوابير أي الكراديس من الخيل ، ثم قال بالبيت الأخير ان دولة الأتراك اخذت تخشى على كل فلاح من ساجر ، لأنه اخذ يتوغل بين قرى العراق وسورية ، وقام بغارات قرب المدن .

لقد نجح ساجر في اول معركة على (ضنا عبيد) واخذ يوالي غاراته عليهم ، وفي احدى المناسبات قال هذه القصيدة ، في خصومه (ضنا عبيد) :

يَامن لِعِيْنٍ كلَّمَا قِلْت نَامَتْ
فَزَّت وقَامَتْ مَا تَرِيْد مَنَامْ

وَيَامِن لْقَلْبٍ كِلْ مَا اقُوْل دَا له
يِجِيْه مِنْ بيْـن الضُّلُوعْ وِهَـامْ

يِحِس ضِيْم مِنِ الرّفَاقَة وَغَدْرِهُم
رِبْعٍ عَلِيْهُم كِـلْ يُوْم مَـلام

تِشَاوَرَوا بِالْغَدْر نَاوِيْن حَرْبِنا
نَايِف وَبلاَّص الرّجَال دهَـام

يِبُوْن غِرِّتْنا وِحّنـا عَذَابَهُم
ومِنْ قَال آنَا ضِيْم الرّجَال يِضَام

عَلِيْهُم مِشَاوِيْل السَّبايَا نِجِرّها
بِرَبْعٍ عَلَى خوْض الحرُوْبِ هِيَام

يَامَا وَرْدَنا عِقْلَةٍ جَاهِلِيَّـــة

وطَيّرتْ مِـــنْ جَالَ القلِيْب حَمَام

حَرْبِبنا يَشْكي مِصَاطِي سِيُوفِنا

إنْ ثَارْ مِنْ تَحْت الكِتَام كِتَـــام

وعدُوّنَا نِسْقِيْه كَاسٍ مِنَ الطَّنَـــا

ونجيْه فُوْق الراهِمَات شمَام

كَمْ غَارةٍ وَجْهَتْهـــا بِمّةِ العِـــدَا

وَاخَذْت مِنْ عِقْب الجَهَام جَهَـــام

كَمْ خَيِّرٍ شَاف العَنَا عِقْب فِعْلِنا

تِذَكّر لعِـــزّهِ بِالَمنَام حَـــلام

مَا دَام انَا حَيّ فَهَذِي فَعَـــايِلي

وانّ مِتّ لِلْجَنَّـــة .وبرْد سَـــلام

بين ساجر بهذه القصيدة انه يشعر بأن (ضنا عبيد) يتآمرون عليه وخص بذلك الشيخ نائفاً والشيخ دهام بن تعيشيش ، ولكنه قال اذا كانوا يهتمون بغدرنا ، فنحن على اهبة الاستعداد لهم ، ومن اعتقد انه سيضيم الرجال ، فالرجال سيضيمونه ، وسوف نقابلهم على صهوات الجياد ،

ثم اخذ يفخر بنفسه، وبقومه، ويوضح اعمالهم، وقال في آخر بيت انه سيواصل افعاله ما دام حيا ، الى ان قال وان توفاني الله ، فأنا ارجو رحمته ، وجناته .

وبهذه الفترة احس ساجر ان ابن هذال شيخ العمارات لا يطمئن له ، وانه اخذ يعمل ضده ، ورفض ان يساعده على حربه مع (ضنا عبيد) وقال ساجر هذه الأبيات .

إنْ بِعْتَنَا يا شِيْخ حِنًّا ذِكَرْنَاك
بِالْخِيْر يَا رَامي عَباتِـــهِ لِغيْره
يَا شِيْخ مَا حِنًّا هَذُوْلا وذُوْلاَك
حِنًّا مِعَادِيْنَـــا عَلَى كِلْ دِيْـــره
صَابُورِنا يَاطَاعَلَى حَوْض الأَدْرَاك
وخَيْل مِكامِيْنٍ وخَيْـــل مِغِيْره
كَانَك تِبِي فَضْحَة عِيُونِك بِيِمَنَاك
اضْرِب عَلِيْها يَا قِلِيْل البِصِيْــرِة

لقد طال حرب ساجر مع قبائل (ضنا عبيد) وحصل بينهم معارك دامية ، وكان ساجر مضرب الأمثال بالأقدام ، والطموح ، وقد عاش عمراً طويلا ، وعندما طعن بالسن ، وشعر ان قواه بدأت تضعف ، واحس ان سعده لم يكن

كما كان .. قال هذه القصيدة متغزلا بمحبوبة له وهو يقصد دنياه التي عاش فيها :

عِيْني قِزَت عَنْ نُومَها واسْهَرتْني
مَاهي مِرِيْضَة مَارْ بِالقَلْب وِلْوَال

واحَسْرِتِي مِــنْ عَشْقِتِي عَايِفَتْنِي
وشَامَت وَنسْيَت مَا مِضي لي بَالاَفْعَال

تَعَطَّرَت يُوم انَّها بَاغِيَتْــني
والْيُوم مَا حَطَّت عِلُومي عَلَى الْبَال

وَقْرُونَها جِرْدِ السّبَايَا تَلَتْــني
وَغْطُورَها دَمّ النَّشَاما لِياسَــال

عَاهَدْتَها بِالله وِهي عَاهَدَتْني
والْيُوم اشُوْف افْعُولَها اقْفَاي واقْبَال

دِنْياي بِخمُول العَنَا ضَاهدَتْــني
والكُبَر يرّث بالرّجِل كِلْ غِرْبَال

مِنْ مَدّها بِالْجُوْد يَامَــا عَطَتْنِي
ويَامَا رَكْبنَا فُوْق عَجْلات الازْوال

ويَامَا عَلَى طِيْب الفَعايِل هَدَتـــني
وخَلَّيْت عيْرَات النَّضَا تِهْذِل اهْذَال

نـمْشِي عَلَى مَا كَاد لَوِسَاعَفَتْني
وِانْ عاضبَت نذْكر بها زِيْن الامْثَال

وَكَمْ سِرْبةٍ نِجِرّهَا تَابِعتْــني
وخَلَّيْت غَارَتْها عَلَى الْقُوْم تِنْهَال

والله لَخُوض بْحُورَها لَــو عَصَتْني
مَا دَام جِسْمي بَاقِي مَا بَعد زَال

مالي حَسَايِف كانها خَالِفَتْني
لِّي يَخَلْط الْخيْر والشَّر عمَّـــال

لقد اشتكى ساجر من الأرق ، وبين اسباب ارقه ليس من مرض في عينيه ، ولكن لما بقلبه من الولوال ، وما يخالجه من التفكير .. ثم أشار متحسراً على محبوبته التي لمس انها بدأت تنفر منه ، وتناست ماضي فعاله ، وعاملته بالصدود ، وذكر انها ايام كانت مقبلة عليه ، تتعطر وتتجمل ، اما الآن فلم يعد يخطر لها على بال ، ثم وصف ذوائب هذه المحبوبة ، وبين انها جرد السبايا ، اي ضمر الخيل ، وان عطرها دم الأبطال المسفوك ، وذكر ان

بينه وبينها عهداً مؤكداً ، ولكنها اخذت تنكث العهد ، وبدأت تعرض عنه ، واشتكى بأنه تحمل الغبن من دنياه ، باسباب الكبر ، لما وهن العظم منه ، واشتعل الرأس شيباً ، ولطالما مدته بالجود ، واعطته من خيراتها ، على صهوات الخيل ، باحثاً عن الرزق ، وكم اهوال لطيب الفعال ، وركوب الابل واجهوها لنيل مقاصدهم ، الى ان قال سوف اتجشم الصعاب ، لو انها اسعفتني ، اما اذا اصرت واعرضت فسأذكرها بالأمثال ، اي الأشعار ، ثم رجع الى ماضيه ، وقال كم كوكبة من الخيل قادها ، واغار بها على القوم ، ثم اقسم على نفسه رغم كبر سنه ، انه سيخاطر بآخر حياته ، ما دام جسمه باقياً ، وفي آخر بيت قال انه لا ولن يأسف ، اذا هي خالفته ، شريطة ان تتجه الى كفؤ يخلط الخير والشر .

لا شك ان الشيخ ساجراً قد ضرب مثلا عالياً بالشجاعة ، والاقدام ، وتزعّم قبيلة (السلقا) وتضاءل اكثر زعماء القبائل امامه ، ولا زالت زعامة قبيلة السلقا يتوارثها احفاده ، وهم الآن يسكنون بقرية الشملي في أعلى بلاد طيء .

ومن القصص الغريبة التي اتفقت للشيخ ساجر أنه كان نازلا في أحد مضاربهم ، وله جار يمتلك ستين شاة ، من الغنم ، وجاء نذير لساجر ، بانهم غداً مصبحون من اعدائهم فأصدر امره إلى جماعته بالتحول عن هذا المضرب تفاديا لمفاجأة العدو ، وكانت مواشيهم من الابل والخيل ، وليس

معهم من الشياه سوى الستين التي يمتلكها جارهم ، وقبل ان يغادروا مقرهم ، فاجأتهم غارة العدو ، وكان من الممكن ان ينجو بالخيل والابل ، ولكنه من الصعب ان ينجو بالشياه ، وكبر على الشيخ ساجر أن تنجو قبيلته بابلهم وخيلهم ، وان تكون شياه جاره هي كبش الفداء ، وهاله الأمر ، ثم فكر ماذا يكون حديث الناس عنهم ، اذا تخلوا عن جارهم وشياهه ، واخيراً صمم على ان يحموا شويهات جارهم ، وان يقدموها على اموالهم ، وأولادهم .. فدبر خطة تدل على ان ساجراً الى جانب جرأته وشجاعته ، كان من دهاة الرجال ، شطر خيل اصحابه شطرين ، لتنفيذ هذه الخطة وكان عدد فرسانه نحو مائة وعشرين فارساً ، فأمر ستين منهم ان يلتقط كل واحد شاة من تلك الغنم ، ثم ينحونها امام ظعنهم ، بينما الستين الفارس الآخرين يقفون مستميتين في وجه العدو المغير ، ثم يعود الذين نحو الشياه ليشتركوا في المعركة ، ويخففوا عن اخوانهم ، ويفسحوا لهم المجال لينوبوا عنهم هذه المرة في نقل الشياه ، وابعادها مرة ثانية ، عن المعترك .. وهكذا استمر انصار ساجر ، وفرسانه يتبادلون نقل تلك الشياه ، ويكافحون العدو المغير ، في كر وفر معه ، وطراد ونزال .. حتى تم لهم النجاة بشياه جارهم ، ولم ينقصوا من اموالهم شيئاً ، وعاد المغيرون بخفى حنين ، يجرون أذيال الفشل والخيبة ، كل ذلك فعله ساجر في سبيل حماية الجار ، التي هي من شيم العرب .

ومن ذلك التاريخ استحق ساجر وجماعته ، ان يطلق عليهم

لقب اصحاب الشويهات . وهم إلى الآن يعرفون بهذا اللقب ، ومعناه انهم الذين نجوا بشويهات جارهم ..

وقصة أخرى طريفة وقف فيها عند قوله وأظهر صوامته وقوة ارادته :

ان قدرة الإنسان الحقيقية لا تكمن في فعله فقط .. كما ان ذكاءه واخلاقه لا يمكن ان تحدد بأقواله ومعتقداته وان أصعب شيء قد يواجه الإنسان - اي انسان - هو التوفيق بين ما يهدف اليه وما يقوله وما يصنعه ، وبمعنى اصح (ان يقف عند كلمته) نعم ان الوقوف عند الكلمة ، قد حملت الإنسان الشجاع ، الكثير الكثير من التضحيات الجسيمة، ولكنه مع ذلك اعطى بنفس سخية لا تبخل ، ونفس ابية لا تجزع ، ونفس عزيزة لا تتطامن .. وجنى فوق ذلك كله راحة الضمير والبال - وقد علمنا التاريخ انه ما من انسان وقف عند أقواله وقوف المؤمن الصادق ، والمحارب المستميت ، الا وتفتحت امامه ابواب النصر باباً بعد آخر .. ومثل هذا الرجل إنما يغزو قلوب الناس قبل اراضيهم ، ويكسب حبهم قبل اموالهم ، ويضرب الأمثال الشريفة على معنى الوفاء بالعهد .

وأمامنا الآن مثال رائع جسد واقع الوفاء بالقول ابلغ تجسيد .

إن قصة (ساجر الرفدي) التي تعطينا ابعادها وملامحها قصيدته المشهورة التي تقول :

وَامهْرِتِي وَانَا عَليْها شفَاوِي
إنْ قِيْل ياهْل الخيْل تطْري عَليَّه
مَاني معَوّدْهـا لِكَسْب الشَّوَاوِي
ولا رَدَدَت فرقِ البِقَر بالـزِّوِيَّه
أبرّها لمكَسّرِيْن الْعَـزَاوي
وَالْحِقِ عَلَيْهـا كِلْ رَاعي رَدِيَّـه
يُوْم المَلاَقى تِغْتَرِض بـالاهَاوي
إلَى تَنَادَوْ بِيْنهُم بالحَمِيَّـة
وَانا عَلَى جذْع المِدَّرَع رَهـاوي
وِيَامَا جِدَعْت الشِّيْخ والاحِليّة
وَيَاما تَحَمّلْنا كِبار البَـلاوِي
وِنِنْطَحْ وِجِيْه اهْل العِزُوم القِوِيّه
وَانا لَعضمِيْن الشَّوارِب فِدَاوي
حَمَّاية السَّاقاتِ في كِلّ هَيِّـة
و لِيَا اجْتمِع حِسّ الغِنا والنعاوي
ياطْرَادْ هَاكَ اليوْم عِيْدٍ عليّـه

وقدر لساجر الرفدي ان يغزو قبائـــل الشويان الغزالات .. وقد تغلب عليهم وغنم منهم من الأغنام ما يزيد على عشرة آلاف رأس .. وعندما أخذ يوزع الغنائم على قومه ، أتى اليه رجل من الشويان المهزومين ، وقال لساجر : الست القائل لهذا البيت :

مَاني مِعَوَّدْها لِكَسْب الشَّواوِي

ولاَ رَدّدَت فرْقِ الْبِقَر بالزَّويــــه

ففوجىء ساجر وبهت ، وأجابه بنعم انا القائل لهذا البيت .. فرد عليه الشاوي ، إذن لماذا تأخذنا ولم تف بكلامك .

فهب ساجرٌ قائماً ونادى في قومه ان تخلوا عن المكاسب جميعها ويجب ان تعاد الى اهلها بدون نقصان ـ ولا شك بأن هذا الفعل إنما يدل على ما يتمتع به ساجر الرفدي من احترامه لنفسه قبل اي شيء آخر .. ومعنى ان تحترم نفسك ، اي ان تصونها وترفعها ولا تجعلها مستنقعاً مليئاً بالمتناقضات والأكاذيب :

وحقاً لقد وفى ساجر و (وقف عند كلمته) بكل شجاعة وتضحية .. واستحق بذلك ان يكون رجلا وبطلا يصنع التاريخ .

شالح بن هدلان

شالح بن هدلان — نسبه — مكانته في قومه — فروسيته — أخوه الفديع — شجاعته — الالفة بينه وبين أخيه — تبادل الشعر بينهما — قتل الفديع وحزن شالح عليه — ابناء شالح — قتل عُبَيد بن حُميد في ثأر الفديع — الشعر بين شالح والحِمْدَة حول ذلك — بروز ذيب بن شالح وفروسيته النادرة — شعره — لطفه مع أبيه — كسبه لجواد نادر — أبوه يبكيه حياً — القبائل تتحاشى الإغارة على قومه خوفاً منه — إغارة الملك عبد العزيز على ظعينة والده — دفاعه المستميت دونها — شعر والده في ذلك — قتل ذيب — حزن والده عليه وشعره في رثائه — كيف قتل ؟ — الهُوَيْدي وطيره وشعر شالح فيه ..الخ





شالح بن هـــدلان



هو الفارس شالح بن حطاب بن هدلان نشأ شالح بين أفراد قبيلة الخنافرة التي هي فخذ من قبيلة آل محمد القحطانية . وعاش إلى سنة ١٣٤٠هـ تقريباً ، وكان مثالياً بشجاعته ، وامانته، وصدقه ، وحسن اخلاقه ، وكرمه ووفائه .. وكان يحكم لحل المشاكل سواء كانت على مستوى قبلي ، او فردي .. وكان محبوباً عند قبائل قحطان وعند القبائل الأخرى .

نشأ شالح بين أفراد قبيلة الخنافرة ، وكان له أخ يسمى الفديع كان اصغر من اخيه شالح كثيراً ، وكان شقيقاً له ، وكان مثالياً بشجاعته واخلاقه ، ويماثل اخاه شالحاً في كل شيء : إلا انه كان مغامراً بفروسيته الى ابعد الحدود ، وكان وفياً مع اخيه شالح ، وخادماً اميناً له ، يرى ان تفانيه في أخيه الأكبر فضيلة من الفضائل لا يعادلها شيء ، وبعد ان كملت رجولته ، تحمل كل مشاق الحياة عن أخيه شالح ، واصبح هو حامي ظعينتهم ، وكانت ابلهم لا تذهب للمرعى الا وهو معها مدججاً بالسلاح ، وعلى صهوة جواده ، وكان

حصناً حصيناً لها ، ولابل الحي ، ولا يخطر ببال اي عدوان يغير عليها ، ما دام الفديع عندها ، واذا تجرأ احد من الأعداء وأغار عليها ، فلا بد ان يرجع مدحوراً ، وذات يوم مع بزوغ الشمس ، واخوه شالح جالس حول ناره . يحتسي القهوة .. التفت إلى الإبل وهي في مباركها قرب البيت ، رآها تعتب في عقلها ، ولم ير الفديع ، فنادى شالح قائلا الابل تعتب بعقلها والفديع غائب عنها اين هو : فقيل له ان زوجتك تنظف رأسه ، اي تغسله وترجله داخل البيت ، فقام غاضباً ورأى زوجته تغسل رأس أخيه كعادتها ، فقال الابل حائرة في مباركها ، ولم تذهب للمرعى ، وانت عند النساء تغسل رأسك ، فأخذ من التراب ووضعه على رأس أخيه ، فقام الأخ البار خجلا من أخيه ، واخذ يمسح التراب عن رأسه ، وهو يردد كلمته العفو يا أخي ، ثم طلب من زوجة أخيه ان تسرج جواده ، وتحضر سلاحه ، وذهب للابل مسرعاً ، وأخذ يطلق عقلها .. اما شالح فقد رجع إلى قهوته ، وجلس من حولها ، وعندما اطلق الفديع عقل الابل رجع ، واخذ سلاحه ولبس كل عدته ، ثم أتى إلى اخيه ، يمشي بحذر ، وبخفة متناهية ، من حيث لا يشعر به ، فقبل رأسه ، وقبل ما بين عينيه ، وقال في أمان الله يا أخي ، وركب جواده ، واتبع ابله ، التي لا يطمئن شالح الا بوجود اخيه معها ، وعندما رجع الفديع بعد غروب الشمس اتى الى اخيه شالح وسلم عليه ، وقبل ما بين عينيه ، وجلس

في مكان أخيه عند القهوة ، واخذ يصب لأخيه شالح ، ويقص عليه اخبار يومه الفائت ، ويداعبه بالنكت المضحكة ، ويحاول ان يثبت لأخيه شالح ، انه لا يحمل في نفسه عليه اي عتب ، وانه لم يغتظ من حثو التراب على رأسه ، وكل ما يهمه هو ان يكون اخوه راضياً عنه ، وكان الفديع على عادته آتياً بعدد من الغزلان ، اصطادها بالفلا فأخذ يقدم لأخيه من طيب لحمها ، وعندما اراد شالح ان يأوي الى مضجعه ، همست زوجته باذن الفديع ، وقالت ان الماء الذي عندنا نفد ، ولا بد ان اخاك عندما ينتبه من نومه سيطلب ماء للقهوة ، وسأخبره انه لا يوجد عندنا ماء ، فقال الفديع : الحذر ان يعلم اخي بذلك ، طلب منها أن تذهب لأحد الجمال ، وتنيخه بعيداً عن الابل ، وتضع رحله عليه ، وان تضع عليه مزادتين وركب الفديع جواده ، واستاق الحمل امامه ، وراح يبحث عن منهل يستقي منه الماء ، وعند طلوع الفجر الأول ، وقبل ان يستيقظ اخوه عاد محملا الحمل بالماء ، وحط عنه الرحل وسكب من الماء في (دلال[1]) اخيه لتكون جاهزة لاعداد القهوة ، عندما يستيقظ ، ونام هو قليلا الى قبل طلوع الشمس ، وقام كعادته وصبح اخاه بالخير ، وانطلق بابله كعادته للفلا وبعد ذلك اسرت امرأة شالح لزوجها بما

---

(١) ، دِلال : جمع دَلَّةٍ ، وهي أباريق تصنع من الصفر أو النحاس ، ويخص بها ما يستعمل للقهوة .

فعله الفديع ، وعندما عاد الفديع بعد غروب الشمس ، وسلم على أخيه ، وجلس عنده ، لاحظ الفديع ان اخاه شالحاً كثير التفكير ، ومشدوه البال ، فسأله قائلا : ما بك هذه الليلة ، عسى أن لا تشكو من ألم ؟ اخبرني لأن ما رأيته من تفكيرك اساءني ؟ فقال : يا أخي ليس بي شيء الا انني افكر في حالتك لانني اتعبتك في هذه الدنيا ، وانت وحدك الذي متحمل مشاق هذه الحياة ، وكل ايامك وانت على صهوة جوادك ، وانا اعرف ان هذا شيء يضني ، وكم أود ان ابنائي كبار ليساعدوك ، ويخدموك ، ولكنك انت الذي متكفل بهذه العائلة الكبيرة ، فقال الفديع انا سعيد بأن اقوم بخدمتك ، وكل ما أوده بهذه الحياة ان اكون وفياً معك ، وأن أحوز رضاءك ، وان اخدمك كما يجب عليّ ، وان لا يحصل مني اي شيء يكون سبباً في ازعاجك ، وانشد :

يَابُوذعَارَ آكْفيْكْ لَوْني[1] لِحَالِيْ
واصْبِر عَلَى الدّنْيَا وبَاقِيْ تَعَبْهَـا
وانْ غَمْ اخُوْه مْعَشَّرِيْن الْعَيَـالي
انَا لِخُويَهْ سِعْد عِيْنِه عَجَبْهَـا

(١) : لوني : اي لو أنني وحدي



الفديع بن هدلان



وِانْ جَنْ مِثْلِ مْخَزَّماتَ الْجِمَالي

كَمْ سَابِقٍ تقْزِي وَانا مِنْ سببْها

كَمْ خَفْرةٍ قدْ حَرَّمَتْ لِلَّدلاَلي

لَبْسَتْ سُوادٍ عِقْب لَذَّةْ طَرَبْهـا

وِانْ جِيْت لي قَفْرٍ مِنَ النَّشْر خَالي

يفْرَحْ بِيَ الْحَوَّاز يُوم اقْبِل بْهَا

اَفْدِيْكَ يا شَالحْ بِحَالي وَمَـالِي

يَا فَارِسِ الفِرْسَان مِقْدِمْ عَرَبْهـا

يَا مْتِيهٍ ابْلهْ بِرُوْسَ المفَـالِي

يَالِلِّي حمَيْت خْدُوْدَهَا يَا جَنَبْهـا

قال هذه الأبيات لأخيه فتأثر شالح بها ، وأجابه بهذه القصيـدة :

لا وَاخَوِلِيْ عِقْبْ فَرْقَاهَ بَاضِيْعْ

كِنِّىْ بِمَا يَجْري عَلَى الْعُمْرْ دَارِي

اَخُوْي يَا سِتْر الْبنيّ الْمِفَارِيْـع

ومْطلِق لِسانَ الحّ باهَلْها تمارى

مَا قَطْ يُوم ٍ شِدْ بِيْن الفَرَارِيْع
يَاكُوْذْ مَا بَيْنَ الكِمِي والمِشَـارِي

لِيْتَهْ عصاني مَـرَّةٍ قَالَ مَا طِيْـع
كُوذْ انِّي اصْبِر يُوْمْ تَجْري الْجُوَارِي

أَنَا اشْهَدْ انَّه لِي سِرِيْع الَمنَافِيْـع
عَبْدٍ مِلِيْكْ لِي وَلاَ نِي بِشَـارِي

تشْهَدْ عَلِيْهْ مِنـاتْلاَتَ الَمصَارِيْع
واعدَاه مِنْ كِفِّهْ تَشُوْف العَـزَارِي

يِمْنَاه تنثر مِنْ دِماهُم قَـراطِيْـع
وعُوْقَ العَدِيْم اللِّي بِدَمِّـهْ يِثارى

جَدّاعْ سَفْرِيْنَ الْوجِيْـه المِدَارِيْع
مخَـلِّي سِرُوْجَ الخَيْلْ مِنهُم عَوَارِي

الْقَلْبْ مَا يَنسي بْعِيْد الَمناوِيْـع
لِيْثٍ عَلَى صَيْد المِشَاهِيْرْ ضَـارِي

وكأنَّ شالحاً قد توقع بهذه القصيدة مستقبل أخيه الفديع ، لأن الفديع كان مغامراً بقتاله ، وكان اخوه شالح يخشى عليه دائماً من مغامراته ، لأنه يراه هو كل شيء

بالنسبة له، وكان يفضله على نفسه، ويفاخر به عند القبائل
وذات يوم كان شالح راحلا بظعينته ، وكان اخوه الفديع
أرمد العينين ، وجواده تقاد مع الظعينة ، وهو في هودج ؛
معصوبة عيناه ؛ فأغار على ظعينتهم كوكبة من الخيل ، وتبين
لهم ان هذه الخيل المغيرة هي خيل الحمدة زعماء قبيلـة
عتيبة ، الشجعان المشهورين بالفروسية ، والذين يضرب
المثل بشجاعتهم ؛ فأخذ شالح وحده يدافع عن الظعينة
بكل بسالة ، وكان الحرب بينه وبين المغيرين سجالا ،
فمرة يهزمهم ، ويبعدهم عن الظعينة ، ومرة يكثرون عليه ،
ويهزمونه الى ان يصل الى ظعينته ، ثم تتصاعد صيحات
النساء ، وزغاريدهن حافزات له على القوم ، فيلقى القوم
بقلب اقوى من الحديد، الى ان يبعدهم عن الظعينة. فطال القتال
وهم على هذا المنوال ، وقد لاحظت والدة شالح والفديع ،
ان شالحاً أعياه الطراد ، فنزلت من هودجها واسرجت
جواد الفديع الأصفر ، واحضرت سلاحه ، وقالت انزل
وهب لمساعدة اخيك ، لأن القوم سيغلبونه . فقال يا أمـاه
انا اذوب كمداً ، واحترق حسرة من حين سمعت غارة
الخيل ، ولكن كيف أرى حتى أساعد أخي ، فقالت انا
سأجعلك تبصر ، وكان متلهفاً لأن يرى بعينيه ، حتى يهب
لمساعدة اخيه ، وعندما انزلته امه من الهودج ، أتت بمـاء
وغسلت عينيه وأخذت تفتحهما بشدة ، ويقال انه عندما
انفصل كل جفن عن الآخر نزل الدم والصديد معاً من
عينيه ، فوثب كأنه النمر ، وركب جواده ، وهو لايبصر

الا قليلا . وكانت خيل الأعداء آتية بأخيه، فاستقبلهم الفديع المغامر غير مبال فجندل اول فارس . ورجعت الخيل هاربة فجندل الآخر ، ثم جندل الثالث ، وعندما انغمس بين الخيل ، رشقوه بعدد كثير من الرماح دفاعاً عن النفس ، فأصاب الفديع رمح اخترق رأسه فخر قتيلا ، ولكن الأعداء استمروا بالادبار ، لأنه قد أعياهم القتال ، ونزل شالح عن جواده وقلب أخاه فاذا هو ميت وكانت نكبة موجعة لشالح وكانت لحظات ألم أحس وكأن خنجراً مزقت أحشاءه دون ان يستطيع ايقاف المها الا بالدموع التي تسابقت متناثرة على وجنتيه ، اللتين علاهما غبار المعركة ، وبعد ان قبل أخاه القبلة الأخيرة ، نظر الى ذلك الجبين المعفر بالتراب ، الذي طالما لامس الأرض من خشية الله ، ونظر الى تلك العينين التي طالما سهرتا عليه الليالي الطوال ، ونظر الى ساعديه اللذين طالما انطلقت منهما الرماح ، لتصافح صدور الاعداء ، ذائدة عنه ، وعن محارمه ، وامواله .. وهكذا دارت الأفكار برأس الأمير المنكوب شالح ، ثم مسح التراب عن اخيه بكف مرتعشة ، وطبق جفنيه ، وامر من حوله ان يكفنوه ، وكانوا في واد بنجد يسمى (خفـا) وكان عـلى جانب الوادي هضبة تسمى هضبة (خفـا) فدفن الفديع على مقربة من هذه الهضبة .. وهكذا طويت صفحة من التاريخ ، سجلت مثلا رائعاً للشجاعة ، والوفاء وكيف كان بر الأخوين لبعضهما ، والمعاملة بينهما التي هي من شيم العرب ، واحدى مفاخرهم .



ذيب بن شالح بن هدلان



لقد رثى شالح أخاه بقطرات من دم قلبه في هذه المقطوعة :

أَمْسَ الضِّحَى عَدّيْتْ رُوْسَ الطِّوِيْلاتْ
وهَيَّضْتْ في رَاسَ الْحَجَا مَاطَرا لِي
و تسَابِقَنَّ دْمُوْع عِيْني غزِيْرَاتْ
وصَفقْتْ بِالْكَفَّ الْيِمِيْنَ الشِّمَالِي
وجَرِّيْتْ مِن خَافي اَلمَعَالِيْقْ ونَّاتْ
والْقَلْبْ مِنْ بِيْنَ الصَّنَادِيْقْ جَالِي
واخوْى يَاللِّي يَمْ قَارَة (خَفَا)[1] فَاتْ
مِن عَاد مِنْ عِقْبَه بِيسْتِرْ خمَالِي؟!
لِيْته كِفَاني سُوّ بقْعَا وَلاَ مَـاتْ
وانَا كِفيْتِه سُو قَبْـرِ هيَـالِي
وَلِيْتَه مَعِ الْحَيِّنْ رَاعِي الْجِمَالاتْ
وانَا فِداً لَه مِنْ غِبُونِ اللَّيـالِي
وَاخَوْيَ يَاللِّي يَومَ الاخوَانْ فَـلاَّتْ
مِنْ خَلْقِتِه مَا قَال: ذالك وِ ذَالِي

---

(١) خفا : جبل شمالي النِّير يتركه الذاهب للحجاز يمينه .

تِبْكِيْهِ هِجْنٍ تَاليَ اللِّيْل عَجْلاتْ
تَرْقب وَعَدْها يُوْم غَابَ الْهِلاَلِي

وِتبْكِي عَلَى شوْفَه بِنِيّ عِفيْفَاتْ
مِنْ عِقْب فقْدِه حَرّمَنْ الـدّلاَل

عَوْق العَدِيْم إنْ جا نَهَارَ الْمَشَـارَاتْ
والخَيْلِ مِنْ حِسّهْ يِجِيْهِنْ جِفَالِ

وكان لشالح ثلاثة من الصبية اكبرهم ذعار ، وأوسطهم ذيب ، واصغرهم عبد الله ، فأخذ شالح يربيهم ، ويعلمهم الفروسية ، وتبين له وهم في سن الطفولة ، ان من بينهم صبياً سيعيضه بأخيه الفديع ، لمح بعينيه معاني الفروسية ، والرجولة ، وكان أديباً طائعاً لأبيه ، فأصبح شالح لا يحب ان يغيب عن ناظره لحظة واحدة ، الى ان برز بميـدان الفروسية ، وكان مثلا للشجاعة ، وكان مضرب الأمثـال بين قبائل نجد ، ولم يكن اخوا ذيب ذعار وعبد الله الا فارسين معدودين من افرس الرجال بين قبيلة قحطان ، وكانا يتقدمان الغزاة الى بلاد الأعداء ، ولهم افعال مجيدة بين قومهم ، ولكن شهرة ذيب وشجاعته النادرة غطت على اخوانه ، وعلى غيرهم ، وقبل ان يأتي دور ذيب بقي شالح يترقب الفرص بالحمدة ، رؤساء قبيلة عتيبة ، لأخذ

ثأر أخيه الفديع ، وقد أعد العدة لذلك ، وبعد مرور الأيام سنحت الفرصة لشالح لأخذ الثأر من الحمدة ، بعد ان تقابلوا بالميدان ، وكان احد اقارب شالح المسمى مبارك بن غنيم بن هدلان ، قد تعهد بأخذ ثأر الفديع ، فعمد إلى عبيد ابن الأمير تركي بن حميد ، الفارس المشهور ، عمد اليه في حومة الوغى فجندله ، بثأر الفديع ، فكبر المصاب على الحمدة بفقدان عبيد بن تركي بن حميد ، وكان خسارة مؤلمة لهم ، واخذ اخوه ضيف الله بن تركي يتمثل بهذه الأبيات راثياً اخاه عبيداً ، ومتوعداً قبيلة قحطان التي قتلت اخاه ، ومحرضاً الأمير محمد بن هندي بن حميد على ذلك فقال :

يَا وَنِّتي وَنّة كِسْيرَ الْجِبَارَةْ
إلَى وِقَفْ مَا اَحْتَال ، وِلْيَاقَعْدَ وِنّ
عَلَيْكَ يَا شَبّاب ضوّ اَلمَنَارَةْ
عَلَيْك تَرْفَاتَ الصَّبَايَا يِنُوحِنْ
مِنْ مَات عِقْبِ عْبِيْدْ قِلْنا وِدَارِه
لاَ بَاكي عِقْبَه وَلاَ قَايِل مِنْ
تِبْكِيْك صِفرِ الْبِسُوْها غَيَارَةْ
تِبْكِيْكَ يُوم انْ السَّبَايَا يِعَنَّنْ

وِتِبْكِيْك وُضحٍ[1] رَبَّعَتْ بِالزِّبَارَهْ

اليَا قِزَنْ مِنْ خَايع مَـا يِرَدّنْ

الْخَيْلْ عِقب عْبَيْدْ مَا بَـهْ نِمَارَهْ

وِشْ عَاد لَو رَاحَنْ وشْ عَاد لَوْ جَن

يَا شَيْخْ مـا تَامِرْ عَلَيْهُمْ بِغَـارَهْ

كُوُدَ الْجُرُوحَ اللِّيْ عَلَى القلب يَبْرَنَّ

يقْطَعْ صِبِيّ مَـا يِنَادِيْ بِشـارِهْ

إلَى اقْبَلَنْ ذُوْلَى وذُوْليْك قَفَّـنْ

يَاهْلَ الرَّمَكْ كِلٌّ يْعَسِّفْ مْهَـارِهْ

والَمنْعْ ما نِطَـرِيه لَاَهُمْ وَلاَ حِنْ

فأجابه شالح بن هدلان بقولـه :

ضِيْفَ الله اشْرَبْ مَا شِرِبْنَا مَرَارَهْ

إصْبِر وِكِنَّكْ شَالِحٍ يُوْم حَـزَّنْ

(١) جمع وَضَحاء : من الأبل اللون المعروف .

رَاحَ الْفدِيْعَ اللّي عَلَيْنَا خسَارَهْ

واخذْ قِضَاهِ عْبِيْدْ حَـامِي ثِقلْهِنْ

يِمْنَى رَمَتْ بِهِ مَا تِجِيْهَا الْجَبَارَهْ

اللّي رَمَتْ بِغْبِيْد في مِعْتَلجهِـنْ

مِنْ نسْل ابُوى وضَـارِي لِلشّطَارَهْ

يِصِيْبْ رُمْحه يُومَ الارْمَاحْ يِخْطِنْ

وغْبِيْدْ خِللّي طَايِح بالمَعَـارَهْ

عَلَيْه عِكْفَان المخَالِب يِحُومَنْ

وَعادَاتِنا بِالصّيْد نَاخِذْ خِيَـارَهْ

ثَلاثْةَ الْجِذْعَان غَضْبِن بِلا مَنّ

يَا قاَطِع الْحِسْنى ترَى الْعِلْم شَارَهْ

لابِدْ دُوْرَاتِ اللّيَالِيْ يِـدُورَنْ

حَرِيْبِنَا كِنّهْ رِقيْدَ الْخَبَـارَه

خَطْرٍ عَلِيْه الْيَا تُوَقّظ مِنْ الْجِنْ

ماني بِقَصّـادٍ بلِيًّا نِمَـارَه

أَجْدَعْ نِطيْحي بِالسّهَلْ ، وإنْ تَـلاقَنْ

مِنْ حَلّ دَارَ النَّاس حَلُّوا دِيَــارَه

لابِدّ ما تِسْكَنْ دِيَــارِه وِيَغْبَنْ

ومِنْ شِقٍّ سِتْرَ النَّاس شَقُّوا سِتَارَه

ومِنْ ضَحْكِ بِالثَّرَمَان يضْحَك بلاَ سِنْ

وِانْ كان ضِيْفَ الله يِعَسِّف مِهارِه

فِمْهَارِنا . مِنْ عَصْرِ نُوْح يِطِيْعِنْ

تِدْنَا لِصِبْيَانِ سُواةِ[1] النَّمَــارَه

شِهْبِ لِماضِيْنَ الفَعَايِلْ يِعَنَّــنْ

وهنا نوه شالح بن هدلان عن مقتل عبيد بن تركي بن حميد ، وانه أخذ ثأر الفديع منه ، وكذلك اشار الى مقتل الثلاثة الجذعان ، اي الثلاثة الشبان ، وهم سلطان بن محمد بن هندي ، ونائف بن محمد بن هندي ، وابن عم لهم ، وقد قتل الجميع قحطان بثأر الفديع .

نرجع إلى الصبي ذيب بن شالح بن هدلان ، فعندما بلغ من الرابعة عشرة، وكان بهذا السن قد تدرب على ركوب الخيل ، وقد رباه أبوه احسن تربية ، وذات يوم اجتمع

(١) سواة : أمثال .

مشائخ الحي من اقارب شالح ، وهم ابناء عمه السفارين ، اجتمعوا لرأي ، ولم يدعوا شالحاً لحضوره ، وفي آخر اجتماعهم ارسلوا اليه رسولا يدعونه ، وكان عنده علم باجتماعهم ، فقال لرسولهم اخبرهم أنني لن احضر اجتماعهم ، لأنهم اجتمعوا قبل ان يخبروني ، وانا سأرحل حالاً الى قبيلة الدواسر ، وقد رحل فعلا وحاولوا ان يرضوه ، وان يعدل عن رأيه ، ولكنه أصر على الرحيل وارسل لهم هذه القصيـــدة :

أَنَا لِيَا كَثْرتْ لَشَاوِيْر مَا شِيْرْ
وَحَلَفْتْ مَاتى[1] بارزٍ ما دَعَانِي

وانَا صِدْيقِه في لِيــالِي الْمَعَاسِيْر
والاَّ الرَّخَا كِلٍّ يِسِد بمْكَــانِي

وشُوْرى لِيا هَجّت تُوالي الِمظَاهِيْر
شَلْفَا عَلِيْها رَايِب الــدّمّ قَانِي

شَلْفَا مِعَوّدْها لِجَذْعٍ الْمِشَاهِيْــر
يُوم السَّبايَا كِنَّهــا الدّيْدَحانِي

---

(١) ماتى : ما أجيء .

مَاني بِخِبْلٍ مَا يَعْرْفَ الْمَعَابِيْـــر
قِدْني عَلَى قَطْع الفِرَج مِرْجَعَانِـــي

إنْ سَنَّدُوا حَدّرْت يَمّ الْجُوافِيْــر
وانْ حَدّروا سَنَّدَتْ لِمرْيِّغاني

نَاخِذْ بْخِيْرانَ الْمِرْيْبِخ مِسَايِيْــر
ومَا دَبّر الْمُولَى عَلى الْعَبْد كَـاني

فرحل الى قبيلة الدواسر ، وعندما وصل اليهم اكرموه ، واعزوه ، فصادف ذات يوم وهو عندهم ان اغار عليهم فرسان من قبيلة عتيبة آخر النهار ، وكان ذيب بن شالح قد بلغ من العمر اربعة عشر عاماً ، ولكن والده قد اعد لـه جواداً من الخيل ، وقد دربه على فنون القتال ، لأنه يعلق على ذيب آمالا جساماً ، وعندما علم الدواسر بغارة الفرسان على ابلهم ، ركبوا خيولهم وكروا على القوم المغيرين وكان جارهم الصغير ذيب معهم ، وعندما تجاولوا على الخيل عندالابل ، منع الدواسر ابلهم ، وراحوا يطاردون المغيرين من قبيلة عتيبة ، وكانت الشمس قد غربت ، فدفع ذيب جواده بسرعة البرق على فارس من قبيلة عتيبة كان في مؤخرة الفرسان ، يدافع عن جماعته ، فلكزه برمحه الصغير ، فرماه عن جواده ، واخذ الجواد غنيمة ، وكانت صفراء

اللون ، اي بيضاء ، وكانت غريبة الشكل ، لا يعادلها من الخيل شيء ، فرجع فرسان الدواسر منتصرين ، بعد ان هزموا القوم ، واخذوا منهم عدداً من الخيل ، ورجع ذيب مع جيرانه منتصراً ، وغانماً اجمل جواد في نجد ، وكانت هذه اول وقعة يحضرها ذيب ، فاسرع احد فرسان الدواسر ، ليبشر جارهم شالحاً ان ابنه بخير ، وانه غنم جواداً لا يعادلها جواد في نجد ، ولما وصل الفارس الى شالح وجده واقفاً امام بيته ، يترقب اخبار ابنه الغالي ، الذي معلق عليه آمالا كبيرة ، فبشر الدوسري جاره بما فعله ابنه ذيب ، واثنى على ذيب بما هو اهل له ، فتهلل وجه شالح بشراً ، ولما وصل ابنه ذيب ترجل عن الجواد الذي غنمه من القوم ، وجاء يمشي نحو ابيه بخطوات ثابتة ، كأنه النمر ، فسلم عليه ، وقبل جبينه ، وسلم له عنان الجواد الغنيمة فشكره ابوه ، وقال هذا ظني فيك يا ذيب ، وعندما رأى شالح الجواد عرف ان له شأناً عظيماً . وفي الصباح اعاد النظر في الجواد ، فاذا هي التي يضرب بها المثل عند قبيلة عتيبة ، وقبائل نجد ، وكانت تسمى « العزبة » وعندما علم بها الأمير محمد بن سعود بن فيصل ، وعلم بها امير حائل محمد بن رشيد ، ارسل كل منهما رسله يطلبون الجواد من شالح ، فاعتذر الى الرسل ، وقال لهم بصريح العبارة ان هذه الجواد اخذها ذيب من الأعداء ، وهي لا تصلح الا له وانشد :

يَا سَابِقِي كَثْرَتْ عُلُوْم الْعَرَبْ فِيْكْ

عُلُوْمَ الْملُوكِ مِنْ اَوَّلٍ ثُمْ تَالِيْ

لاَ نِيْبْ لاَ بَايِعْ وَلانــى بِمِهْدِيْكْ

وَانَا اللِّي اسْتَاهِل هَلُوْ كلَّ غَــالِيْ

وانْتِي مِن الثِّلْثَ الْمِحَرَّمْ وَلاَ اعْطِيْكْ

وانْتِي بِها الدِّنْيَا شِرِيْدَةْ حَــلاَلِيْ

يَامَا حَلَى خَطْوَى القلاعَة تْبارِيْــكْ

اَفْرِحْ بِها قَلْبَ الصّديْقَ الْمُــوالِيْ

ويَامَا حَلَى زِيْن النَّدا فِيْ مُواطِيْكْ

فِي عَثْعَثٍ تَوَّه مِنِ الوَسْمِ سَــالِيْ

ويَا حُلْوِ شمْشُولٍ مِن البَدْو ، يِتْلِيْكْ

بِقفْر به الْجازِي تربّى الغزَالِيْ

الخَيْرْ كِلّه نَابِتٍ فِي نُوَاصِيْك[1]

واذْلَهْ لِيَا راعِيْتْ زُوْلكِ قبَــالِيْ

---

(١) من الحديث الشريف : « الخيل معقود في نواصيها الخير »

بِالضِّيْق لِوْجِيْه المِدَارِيْع نثْنيْكْ
وعَجْلَهْ وريّضْة خــلافِ التَوالِيْ

حَقِّكْ عَلَّي انيِّ مِــنَ البِرّ أبْدِيْكْ
وَعَلَى بِدَنْك الْجُوخَ احِطَّه جْــلالِيْ

أبِيْه عَنْ بردِ المِشَاتِي يِدَفِّيْــكْ
وبِالقِيْظَ احِطِّكْ في نِعِيْمَ الظَّلاَلِي

يَا نَافْدا اللِّي حَصّلِكْ مِنْ مِجَانِيْكْ
جَابَك عْقابَ الخَيْل ذيب العِيَالِي

جابك صَبَــيّ الجُوْد مِنْ كَفٍّ رَاعِيْكْ
في سَاعَة تِذْهَلْ عِقُول الرّجَــالِيْ

يَاسَابِقي نبِيْ نِبَعِّد مِشَاحِيْكْ
والْبعْد سَلْمٍ مْكَرَّمِيْنَ السّبالِيْ

يَمَّ الجِنُوْب وِذيرِتِهِ نِنْتِخي فِيْكْ
لِرَبْعٍ مِنَ الاوْنَاس قَفْــرٍ وخالِيْ

وبعد ان قال هذه القصيدة رحل الى الربع الخالي ، كما ذكر في قصيدته ، وابعد عن الأمير ابن سعود ، وعن

محمد بن رشيد ، لئـلا يأخذا جواد ابنـه قسراً ؛ وعاد بعد ان اطمأن على جواد ابنه ، وبهذه الفترة بدأ يلمع نجم ذيب الخيل ، ابن شالح ∴ فأخذت الأنظار تتجه الى الفارس الشاب ، وزادت اخبار شجاعته انتشاراً ، واخذ الناس يتحدثون عنه ، وكان ذيب يسأل أباه ورجال الحي من قبيلة الخنافرة ، يسألهم دائماً ويقول : اين مصدر الخطر ، الذي تتوقعونه ؟ ومن أي جهـة يمكن للعـدو أن يفاجئنا منها ؟ فيقولوّن له : هو من ناحية قبيلة عتيبة ، ثم يشيرون الى الناحية الشمالية ، حيث تكون قبيلة عتيبة شمالا ، عن الجهات التي تقطنها قبيلة قحطان ، فيقول ذيب لراعي ابله : اذهب بابـلي الى الشمال اي الى ناحيـة الخطر الذي يمكـن ان يكون من قبيلة عتيبـة ، ويتفوه بفخر واعتزاز ، قائـلا : سأحمي ابلي وابل قبيلة الخنافرة من أي غاز كائناً من كان ، سواء من قبيلة عتيبة ، أو من غيرها .. فتذهب ابله وترجع سالمة ، ولا يمكن لأحد ان يتجرأ عليها ، ما دام ذيب الفارس موجوداً عندها ، ومما قيل عن شالح والد ذيب انه اذا جلس في مجلسه وحوله رجال القبيلة ، ينادي ابنه ذيب فيأتيـه الابن البار المطيع مسرعاً ، ثم يقبله الاب الطيب ، كأنه طفل صغير ، وبعد ما يقبله ينفجر باكياً ، وقد لامه قومه مراراً قائلين له : كيف تقبل ذيباً بين الرجال كأنه طفل ثم تبكي فيجيبهم : دعوني اقبل ذيباً ، وابكي عليه ، وأودعه كل يوم ، لانني اتخيل ان الدنيا ستحرمني من ذيب ، لأن من كان يخوض غمار الحروب الطاحنة ، ويندفع مثل اندفاع

ذيب للمعركة ، لا يمكن ان يكون من اصحاب الأعمار الطويلة ولا بد ان تختطفه يدالمنون، ثم قال قصيدته المشهورة :

مَا ذِكِرْ بهْ حَيّ بَكَى حَيّ يَا ذِيْب
واليُوم أَنَا بَابْكِيْك لَو كِنْت حَيًّا
ويَاذِيْبْ يَبْكُونَكَ هَلِ الفِطَّر الشِّيْب
إنْ لاَيَعَتْهُمْ مِثْل خَيْل الْمْحَيَّـا
وتْبكيْك قِطْعَان عَلَيْها الْكُوَاليْب
وشَيَّالْ حِمْلِ اللَّي يَبُون الكِفَيَّـا
وتْبكيْك وضْحٍ عَلَّقُوهَا دِبَادِيْـب
إنْ رِدِّدتْ مِنْ بِمَّةَ الْخُوفْ عيَّـا
ويبكِيْك من صَكَّتْ عَلِيه المَغَالِيْب
إنْ صَاح باعلَى الصّوْت يَاهْلِ الْحِمْيَّا !
نَنْزِلْ بْكَ الْحَزْمَ الْمِطَرِّفْ لَياهِيْب
إنْ رَدّدُوهن نَاقلِيْن العِصِيَّـا
انَا اشْهَدْ إنَّك بِيننا مَنْقَعَ الطِّيْب
والطِيْبْ عَسْرٍ مَطْلِبهْ مَا تَهَيَّا

ويلاحظ القارىء بيتاً من قصيدة ابيه حيث يقول :

تِبْكِيْك وِضْحٍ علَّقُوْها دِبَادِيْب
إنْ رِدِّدَت عَنْ يَمَّةِ الخَوف عَيَّـا

فالوضح هي ابل ذيب ابن هدلان ، ولونهـا ابيض ويسمونها الوضح اما الدباديب فهي شيء من الزينة يضعونه على سنام كل حائل من الابل ، لقد زادته قصيدة ابيه شهرة في نجد ، وسارت بها وباشعاره الأخرى الركبان ، وبعد ان استفاض ذكر ذيب في نجد ، اخذ الغزاة يتحاشون الغارة على قبيلة الخنافرة ، خوفاً من ذيب حتى ان الأمير محمد بن هندي بن حميد قال لفرسان قبيلة عتيبه : انا اوصيكم با نكم اذا اغرتم على ابل العدو وسمعتم عندها من يعتزى يقوله : خيال البلها وانا بن دراج ، فلا تطمعوا بالابل ، انجو بانفسكم ، لأن هذه هي نخوة قبيلة الخنافرة من قحطان ، التي هي قبيلة ذيب بن هدلان ، وهذا دليل واضح بأن ذيبا حام لقبيلته ، مثل ما كان عنترة العبسي حاميـاً لقبيلة بني عبس .

ويقـال ان الملك عبـد العـزيـز طيب الله ثـراه اغارت فرسانه على شالح بن هدلان ، ولم يعرف ان هذه ابل شالح ، وابنه ذيب ، وكان فرسان الملك عبد العزيز يعدون بالمئات . اغارت هذه الفرسان على ظعينة شالح وابنه

ولم يكن حاضراً من القبيلة سوى ذيب ووالده واخوته ، فأخذ ذيب يصد الخيل ببسالة متناهية ، بل وشجاعة فذة ، وقد اغارت عليه الخيل قبل بزوغ الشمس ، واخذ ذيب يدافع عن ظعن ابيه وابله .. الى مابعد صلاة العصر ، وهزم الخيل ، بعد ان قتل الأمير فهد بن جلوى ، ابن عم الملك عبد العزيز ، الشجاع المعروف ، والأمير فهد بن جلوى هو صاحب (الشلفا) التي حربتها لا زالت في باب قصر عجلان المسمى بالمصمك بمدينة الرياض ، في اليوم الذي هاجم فيه الملك عبد العزيز قوة ابن رشيد التي بالقصر المذكور وايضاً رمى ذيب بالأمير تركي بن عبد الله آل سعود ابن عم الملك عبد العزيز ، رمى به على الأرض ، وجرحه بجنبه ، وجندل معه تسعة من الفرسان ، وكان ذيب في أوج المعركة ، يأمر رعيان ابله بأن لا يصلفوا بهجيجهم لئلا يتأثر أبوه ، وكان ابوه طاعناً في السن .

تخلص ذيب من فرسان الملك عبد العزيز بفروسية لا يضاهيها اية فروسية ، فمن الذي يستطيع ان يحمي نفسه من فرسان الملك عبد العزيز منفرداً حمى ظعينة أبيه بقوة ساعده ، وبضرباته الهائلة ، ولا شك ان هذه المعجزة تجلت بصحراء نجد ، سجلها شاب من قبيلة قحطان ، القبيلة العريقة : لقد نشأ هذا الشاب وترعرع بصحراء نجد القاسية ، وسجل هذه المفخرة وعمره لا يتجاوز الثانية والعشرين سنة ، على أول طرة شاربه : لا شك انه ينطبق على هذا الشاب

بيت عنترة العبسي حيث يقول :

خُلِقْتُ مِنَ الحَدِيْدِ أَشَدَّ قَلْبـاً
وَقَدْ بَلِيَ الحَدِيْدُ وَمَا بَلِيْـتُ

وعندما رجعت خيول الملك عبد العزيز التي اغارت بدون علمه ، واخبره رجالها انهم رجعوا تحت ضربات ذيب الهائلة ، تأسف الملك عبد العزيز وقال : لو عرفت ان الظعينة هي ظعينة شالح بن هدلان ، لأمرتكم بالرجوع عنها ، لأنه شخص طيب ، ولا أحب ان افاجئه هو وأبناؤه عند محارمهم ، وعند ابلهم ، وارسل الى شالح كتاباً يقول فيه : انني قد عفوت عنه ، وله الأمان ، وعليه ان يرجع بالسمع والطاعة ، فرجع شالح بعد ان امنه الملك عبد العزيز وحماه ، وحذر أقاربه من آل سعود بأن لا يفكروا بأخذ الثأر من ذيب بن شالح ، وسمح لذيب ان يأتي ويسلم عليه ، وفعلا حماه واكرمه ، ولم يمس بسوء ، وقال الملك عبد العزيز : إنني كنت اود ان ارى هذا الشاب العجيب ، ولا شك انه دافع عن والده ، وعن محارمه وابله ، وكان مظلوماً : هذه عبقرية الملك عبد العزيز ، لقد عفا عن ذيب قاتل ابناء عمه ، وهازم فرسانه ، نعم عفا عنه و قال : إنه مظلوم ، مظلوم ، لأنه لم يبدر منه أي ذنب يستحق التأديب عليه : ان الملك عبد العزيز كان منصفاً ، فهو يقول الحق ولو كان على نفسه ، ويعترف بالفضيلة ويسعى اليها ، لاشك ان عبد

العزيز عظيم ، ويعفو عن العظائم ، لقد ضرب مثلا رائعاً للعفو ، ولا شك ان ما قاله ابو الطيب المتنبىء ينطبق على الملك عبد العزيز .

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَـأْتِي الْعَزَائِمُ
وَتَـأْتِيْ عَلَى قَدْرِ الْكِرَامِ الْمَكَـارِمِ
وَتَعْظُمُ فِي عَيْنِ الصَّغِيْـرِ صِغَارُهَا
وتَصْغُرُ فِي عَيْنِ الْعَظِيْمِ الْعَظَائِمُ

وقد اكد لي بعض الحاضرين ان الملك عندما أغـارت خيله على شالح واولاده ، ما كان عنده علم بهم ، بل يظن انهم من الأعداء الآخرين .

وعندما انتهت المعركة بين ذيب وفرسان الملك عبد العزيز ، اناخ ذيب ظعينة ابيه ، وقبله بين عينيه ، وهنأه بالنصر ، وقال له الوالد الطيب : هذا بمشيئة الله ثم بساعدك ياذيب ، بارك الله فيك ، وأسأل الله ان لا يفجعني بـك ، واخذ شالح ينشد ابياتاً قائلا انك يا عبد العزيز افرحت علينا اعداءنا ، قاصداً قبيلة عتيبة ، لانه يشعر انهم هم اعداؤه ، واعداء قبيلة قحطان ، لأن الحروب كانت بينهم مستمرة آنذاك ، والأبيات هي :

يَا شِيْخ فَرَخنُو عَلِيْنا الْعِـدَاةِ
اللِّي بِذِمَّةْ حِكْمِكُم مَا بِدَارُوْن
غِزْتُوا عَلِيْنَا الفَجْر قَبْلِ الصَّـلاَةِ
وِحِنَّا عَدَدْنَا خَمْسَةٍ أو بَعَدْ دُوْن
مِنْ صِلْبْ أبُويْ وبِاللَّوازِم شِفاةِ
مَا هُمْ فِرِيْقْ هْدَيْهِدٍ يُوم يَاتُــوْن
يَا نَافدا اللِّي مَا بِضِيْعٍ وِصـاتي
مَا يْسنِد الأَّ عِقْبْ طَاعِنْ وَمَطْعُوْنْ
سُوْقٍ عَلَى رَكَّابَةِ الِمكْرمَــات
وِبِظْهُورِهِن يِرْوي شِبَاكِلْ مَسْنُون
ويلَكِدْ مَلاَكِيْد الْعَدِيْم الزِّنَاةِ
ويَاوَيْلكم يَلِّي بِنوَجْهِهِ تِقِيْفُــوْن !!
خلِّيْ عَشَا لِلْجوْعِ الْحَايِمَاتِ
مِنْ فِعْلِ ذِيْب اهْلَ الرَّمك عَنْه يِقفُون
ويَاشِيْخ لاَ تَسْمَعْ كَـلاَمَ الْعدَاة
اَسْفَه كلام الْمِبْغِضَة لُو يقُوْلُون

أَطْلُبْ لِحُكْمِك بِالسَّعَدْ وَالثَّبَات
بِجَاه مَعْبُودٍ لِبيتِهِ يِحِجُّوْن
لَعَلْ مَا يِبْكَنَّكَ النَّايحَاتِ
يَاللِّي عَلَى عَورَات أَهلْ نَجْدْ مَامُون

ولم ينس ذيب الابن البار اباه ، فعندما حط رحالهم بعد المعركة ، عمد الى ابله ، وعقر حائلا منها ، واخذ يشوي من طيب لحمها لأبيه ، ولجاره الدوسري ، ويقدمه لهما ، وهما يحتسيان القهوة ، وكان هذا الدوسري صديقاً لشالح بن هدلان منذ عهد بعيد ، وكان شالح لا يحب ان يفارقه ، والصداقة بينهما قوية الروابط ، وفي اثناء المعركة ، عندما يكر فرسان الملك عبد العزيز على ذيب ، يصيح شالح بأعلى صوته ، وينادي باسم اخيه الفديع ، الذي مضى على وفاته اكثر من عشرين سنة ، وينخاه ، ولم يتكلم عن ذيب ، وفروسيته الفذة .. وعندما انتهت المعركة ، جعل الدوسري يلوم شالحاً ، ويقول له كيف تنخى اخاك وهو ميت منذ عشرين سنة ، ولا تنخى ابنك الذي ابلى بلاء حسناً ، وهزم خيول الملك عبد العزيز ؟ فيجيبه شالح قائلا : ان ذيب حتى الآن لم يلحق ما لحقه عمه ، من الشجاعة .. لذلك فأنا سأبقى ذاكراً اخي الفديع في كل ملمة ، الى ان اقنع بشجاعة ابني ذيب ، ويثبت لي انه اكفأ من عمه ،

هذا ما يقوله شالح ، اما انا فأقول للقارىء ، ان الذي دافع عن ظعينته وابله ، وحماها من فرسان الملك عبد العزيز ، انه لا يعادله اي فارس من الفرسان في زمانه .

وهنا يطيب لي ان اذكر طرفاً من بر ذيب بوالده : ان بر ذيب بوالده شالح لم يسبقه احد اليه ، ولا بد ان القارىء قد عرف بأن ذيباً قد ذبح لابيه حائلا من الابل ، ليشوي من لحمها له ، ولم يثنه عن ذلك عناء المعركة ، وما لحقه من الاجهاد ..

والآن احدث القارىء عن سيرته التي استقيتها من المعاصرين لذيب . كان ذيب لا ينام ابداً وابوه لم ينم ، وكان يجلب لأبيه الحليب من الابل ، وعندما يأتي به اليه ويجده نائماً يبقى واقفاً وواضعاً الاناء على يده وربما حام حول ابيه وذكر الله بصوت منخفض الى ان يستقيظ ابوه ، ثم يقبل جبينه ، ويناوله الحليب ، ولا يرضى ان احداً غيره يقدم اي شيء من الغذاء ، بل هو المسئول الوحيد عن تقديم طعام ابيه ، وخدمته ، ويقال انه عندما يرحل الظعن يركب مطيته ، ويذهب امام ظعينة ابيه ، وعندما يصل الجهة القابلة للمنزل ، يصطاد من الغزلان او من الأرانب ، او من الحباري ثم يعده لابيه قبل ان يصل وكذلك يعد له القهوة ، وكان دائماً يحمل آنية طعام ابيه ، وآنية القهوة على راحلته ، وعندما يقبل الظعن يستقبل اباه ويهلي ويرحب به كأنه ضيف عزيز عليه ، ويمسك بخطام راحلته وينيخها

عند المحل الذي كان قد اعده لجلوسه ، وعندما يترجل والده يقبل جبينه ، ثم يجلسه تحت ظل شجرة قد اختارها ، واذا لم يجد شجرة يقال انه يعمل مظلة من الأعشاب لتظل اباه من حرارة الشمس ، الى ان يعدوا بيوتهم ، وعندما يجلس شالح يقدم له ابنه القهوة ، وبعدها يقدم له لحم الصيد الذي اصطاده ، ويقول لأبيه بهذه اللهجة تناول يا ابن هدلان ، حياك الله ، فيجيب شالح ابنه بارك الله فيك ياذيب .

وذات يوم لم يصطد من الصيد شيئاً ، وقد اقبل ابوه يتقدم الظعينة ، وبقي ذيب حائراً متحسراً بماذا يقابل أباه وأخيراً استقر رأ يه على ان ينحر مطيته (الاصيل) التي يعادل ثمنها خمساً من الابل وفعلا اخفاها بين الشجر لئلا يراها والده ونحرها ، واخذ من طيب لحمها وطهاه بالأناء الذي عادة يقدم به لحم الصيد لوالده ، وعندما وصل شالح واستقبله ابنه كعادته ، قدم له الأكل ، بعد ان صب له من القهوة ، وعندما تصاعدت رائحة لحم البعير عرف شالح ان هذا ليس بلحم صيد ، فقال لابنه ما هذا يا ذيب ؟ فقال ذيب « شبب يابه » وهذه لغة قحطان ، اي ان هذا رزق من الله يا ابت ، فكرر ابوه السؤال وكرر الابن الإجابة ، بان هذا شبب يا ابن هدلان ثم عرف الوالد النتيجة ، وقال لابنه ذبحتها يا ذيب ؟! فقال ذيب هي تفديك يا أعز والد وعوضها سيكون من حلال القوم آتي به اليك ، ثم قال لأبيه انا لا استطيع ان استقبلك ما لم اقدم لك شيئاً من الأكل ، استقبلك به ، واقسمت على

نفسي ان استمر على هذه الحالة ، الى ان يتوفاني الله ، فتأوه والده ثلاث مرات ، وقال يا لهفي بعد فراقك يا ذيب .

لقد اشتهر ذيب ببره لوالديه ، ووفائه مع اصدقائه ، وعطفه على جيرانه ، وكرمه الحاتمي ..

وذات ليلة كان هو ووالده ساهرين ، وكان والده يداعبه ، ويلقي عليه بعض الأشعار فانشده هذه الأبيات :

يَا ذِيْبَ اَنَا يَابُوكْ خَالِي تَرَدَّى
وَانَا عَلَيْكْ مِنْ الْمَوَاجِيْب يَا ذِيْب
تكْسِبْ لِيَ اللِّي لاقِحٍ عِقْب عَدًّا
طِويْلَة النِّسْنُوْس حَرْشَا عَراقِيْب
تِجِرْ ذَيْلٍ مِثْلَ حَبْل المَعَـدًّا
وتبْرى لِحَيْرانٍ صِغَارٍ حَبَاحِيْب
واشْرِي لَك اللِّي رَكْضَها مَا تِقَدا
مَاحْدٍ[1] لِقَى فِيْها عُيُوب وَعذَارِيْب
قَبًّا عَلَى خَيْل الْمِعَادي تِحَـدَّى
مِثْل الْفَهَد تُوثْب عَلِيْهُم تَوَاثِيْب

---

(١) ما أحد وجد فيها عيُوباً .

أَنا اشْهَدِ أَنَّكْ بِاللَّوازِم تِسِدّا
وَعزَّ الله إنَّك خِيْرةِ الرَّبْعِ بِالطِّيْب

يَالِلِّي عَلَى ذِيْب السَّرَايا تَعَــدَا
لَو حَالْ مِنْ دُونَه عيال مَعَاطِيْب

لِيْثٍ عَلَى دَرْبَ الْمَراجِل مِقَدَّى
مَا فِيْكَ يَا ذِيْبْ السّبَايَا عَذَارِيْب

وبعد ان قال والده هذه الأبيات ، بطريقة المزاح ، اسرها الابن ذيب في نفسه ، وعندما نام والده ، واطمأن ذيب انه قد اخذ في النوم ، ذهب خفية وركب قلوصه ، وذهب لبعض اصحابه من الشبان ، وامر عليهم ان يرافقوه ، فشدوا مطاياهم وركبوا مع ذيب ، وعددهم لا يتجاوز خمسة عشر شاباً ، وكلهم يأتمرون بأمر ذيب ، وبعد ذلك سألوا ذيباً الى اين نحن ذاهبون ؟ فقال الى ديار القوم ، واشار الى قبيلة عتيبة ، لنكسب منهم ابلا لأهلنا ، وقال لابد ان آتي لوالدي من خيار ابل عتيبة ، واستمروا بسيرهم ، وبعد ثلاثة ايام قصدوا بئراً في ديار عتيبة ليستقوا منها ماء ، ويسقوا رواحلهم ، وهذه البئر تسمى « ملية » وهي تقع غرباً عن جبل ذهلان ، بأواسط نجد ، وعندما انحدروا اليها من جبل يطل عليها ، رأوا عليها ورداً لعتيبة يستقون ،

فأراد ذيب ورفاقه ان يرجعوا لئلا يروهم فينذروا القبيلة بهم ، وكان من السقاة صياد اخذ بندقيته ، وتوجه الى الوادي الذي انحدر منه ذيب ورفاقه ، باحثاً عن الصيد ، وعندما رأى ذيباً وجماعته اختفى تحت شجرة وأطلق عليهم عياراً نارياً ، فأراد الله ان يصيب ذيباً اصابة مميتة .

لقد حلت الكارثة الكبرى على الشيخ الطاعن بالسن شالح بن هدلان ، انه فقد كل امل في الحياة : فقد كل ركن على وجه الأرض . فقد الشجاعة الفذة ، فقد الكرم الحاتمي ، فقد الابن البار ، فقد الابن المطيع ، لقد خر ذيب صريعاً وودع الخيل وصهيلها ، وودع الابل وحنينها ، وودع اباه الذي هو بحاجة الى بره وعنايته ، ترك ذيب شالحاً حزيناً ، وودع قبيلة قحطان المجيدة ، وودع سنانه ورمحه وبندقيته ، ونقع الخيل وهزج الأبطال ، ودع ذيب نجداً العزيزة ورياضها ودع غزلان الرئم والأرانب وطير الحباري التي كان يصطاد منها لوالده ، لقد انقشعت هالة الفضل التي كانت تحيط الشيخ شالحاً بالحنان والبر والفضيلة التي ضربت اروع مثلا بين الأبناء والآباء .

بعد ما سقط ذيب على الأرض اناخ رفاقه مطاياهم وتسابقوا اليه وضموه الى صدورهم ، فوجدوه جسماً بلا حياة ، وانهالوا عليه بالقبل ، وودعوه بدموعهم الساخنة ، ثم وضعوه بكهف بجانب الوادي ، وقفلوا راجعين الى اهلهم .

اما الصياد الذي اطلق النار ، فقد ظل مختبئاً تحت الشجرة ، الى ان رأى الركب قد ولى ، فأتى الى مكانهم

ووجد الدم يلطخه ، ثم عمد الى ذيب وهو بكهفه ، وعندما رآه وجده شاباً وسيم الطلعة ، وفي خنصره الأيمن خاتم فضي ، وكانت رائحة الطيب تعج منه ، وكان لباسه يدل على انه شخصية بارزة فرجع الى جماعته الذين يستقون من البئر ، فسألوه عن الرمية التي سمعوها عنده ، فقال ان ركباً من العدى انحدر من الوادي وبعد ان رأوكم نكصوا راجعين ، فأطلقت عليهم عيارا ناريا قتل منهم شخصا تبين لي انه زعيمهم ، وقد وضعوه في كهف بجانب الوادي ، فقالوا وما دلك على انه زعيم ، فبين لهم أوصافه ، ولباسه الذي عليه ، وان في خنصره خاتماً فضياً ، فقالوا هيا بنا لنراه ، وكانوا من قبيلة برقا احد جذمي عتيبة ، وكان معهم فتاة قد جلا اهلها منذ سنة الى قبائل قحطان ، لأسباب حادثة وقعت بينهم وبين بعض قبائلهم من عتيبة ، وعندما رأوا ذيباً بالكهف ، ورأته الفتاة صاحت بأعلى صوتها ، وقالت ويحك هذا ذيب بن شالح بن هدلان ، الذي كنا بجواره بالعام الماضي ، فشتموها وقالوا ربما ان بينك وبينه صداقة ، ولهذا السبب صحتي بأعلى صوتك ، فقالت لا والله لم يكن بيني وبينه اي شيء من هذا ، ولكنه اكرمنا واعزنا ، واجارنا ، وكان لا يأتي من الفلا الا ومعه صيد ، ويأتي بقسمنا نحن جيرانه حامله بيده ، وعندما يقترب من بيوتنا يغض نظره الى الأرض ، ثم يضع ما جاء به من الصيد ويدبر ، دون ان يرفع طرفه بأمرأة من جيرانه ، وهذه طريقته بالحياة ، وعليكم ان

تسألوا عن خصاله ، وينبئكم عن ذلك من عرفه ، فهو بعيد كل البعد عن الرذيلة .

ما اكبر المصاب على شالح ، لما وصل رفاق ذيب واخبروه بما حدث ، لا شك ان خطب شالح عظيم ، وان وقع نبأ مصرع ابنه على قلبه اشد وانكى من طعن الحراب ، ولا شك انه سيتجرع ويلات الحزن ، ومرارته ، ومآسي الفراق ولوعاته ..

وِاذَا الْمَنِيَّةُ أَنْشَبَت أَظفَارَهـا
أَلْفَيْتَ كُلَّ تميمَةٍ لاَ تَنْفَعُ

إنها كارثة كبرى ، ليست على شالح فقط ، بل على عائلة آل هدلان ، وعلى قبيلة الخنافرة ، وعلى قبيلة قحطان الكبرى : وقد قال شالح اشعاراً كثيرة بعد وفاة ابنه ، وأول ما قال هذه القصيدة :

يَا رَبْعَنَا يَاللِّيْ عَلَى الفِطَّرَ الشِّيْب
عَزَّ اللهِ إنَّــه ضَاع مِنْكُم وِدَاعَــه
رِحْتُوا عَلَى الطَّوْعَات مِثْلِ العَيَاسِيْب
وجِيْتُوا وخَلِّيْتُوا لِقَلْبِي بِضَاعَه

خَلِّيْتُوا النَّادِرِ بِدَارِ الاجَانِيْب

وَضَاقَتْ بِي الآفَاق عِقْب اتِّسَاعَه

تِكَدّرنْ لي صَافِيات الْمِشَارِيْب

وبِالْعَوْن شِفْتَ الذُّلْ عِقْبَ الشَّجَاعَة

يَا ذِيْبَ أَنَا بُوصِيْك لا تَأْكِلَ الذِّيْب

كَمْ لِيْلَةٍ عَشَّاكْ عِقْبِ الْمِجَاعَة

كَمْ لِيْلِةٍ عَشَّاك حِرْشَ الْعَرَاقِيْب

وكَمْ شِيْخٍ قُوْمٍ كَزَّتِهْ لَك ذِرَاعِه

كَفِّه بْعُدْوَانِهْ شِنِيْع الْمَضَارِيْب

وِيْسقي عَدُوه بالْوغَى سِمْ سَاعَه

وِيضْحَك لِيا صَكَّتْ عَلَيْه الْمَغَالِيْب

وِيلْكِد عَلَى جَمْعٍ الْعَدُو بِانْدْفَاعَه

وِبَيْتِهِ لِجِيْرانِهْ يِشَيِّدْ عَلَى الطِّيْب

وِللضِّيْفْ يَبْني في طِوِيْل الرِّفَاعَه

جَرْحِي عَطِيْبْ وَلاَ بَقى لِيَ مِقَاضِيْب

وَافَخَتّ حَبْل الوَصْل عِقْب انْقِطَاعه

كِنِّي بَعَدْ فقْدِهِ بِحَامي اللَّوَاهِيْب
وِكنِّي غَرِيْبَ الدَّارْ مَـالي جِمَاعَه

مِنْ عِقْب ذِيْبَ، الخَيْلِ عِزْج مَهَالِيْب
يَاهْل الرَّمَك ما عَاد فِيْهِنْ طِمَاعَـه

قَالُو تِطِيْبْ وقِلْت: وِشْ لَوْن ابَا طِيْب
وطَلَبْت مِنْ عِنْد الْكِرِيْـم الشَّفَاعَه

وأردفها بهذه القصيدة ، وعلى نفس البحر والقافية ، وقد رويتها عن الأمير عمر بن سلطان ابا العلا واكد لي انه رواها عن والده سلطان الذي عاصر شالحاً وابنه ذيباً ، وبهذه القصيدة الأخيرة لم يخف آلامه ولواعجه ، فجاوب الذئاب بعويلها ، ثم رجع الى خالقه وطلب منه الفرج ، ثم لام نفسه ، واعترف بأنه هو السبب بتحريض ابنه ذيب على غزوته المشئومة ، وبعد ذلك عزى نفسه بركوبه الهجن ، وانه يتقدم بها على اعدائه حتى ينيخها على مقربة من البيوت الكبار ، ويتخطى الأطناب ، ويكسب الناقة الحائل التي تهاوي الجمل ، وتجعل منه خليلا لها ، واخيراً اخذ يوصي جماعته بان يختاروا (المناسب) الطيبه ليأتيهم اولّا د طيبون نجباء وقال لهم : ان بنت الرديء تأتي بولد لا يهمه اكثر من نفسه، وان يشبع بطنه، رديء الهمة ميت الانفة ، تافه الشخصية وهذه هي القصيدة:

ذِيب عَوَى وَانَا عَلَى صُوتِهِ اجِيبْ

وِمِنْ وَنَّتي جَفَّتْ ضُوَارِي سِبَاعِهْ

عزَّ اللهْ انّي جاهِلٍ مَا اعْلَمَ الْغِيْب

والغِيْب يِعْلَم بهْ جَفِيْظ الْوِدَاعَـهْ

يَاللهَ يا رَزَّاقْ عِكْف الْمَخَالِيْب

يَا مِحصي خَلْقِـهِ بِبَحْرِهْ وَقَاعِـهْ

تَفْرْج لِمَنْ صَابَهْ جُروحٍ مَعَاطِيْب

وِقَلْبِهْ مِن اللَّوعَـات غَادٍ وِلاَعِه

إنْ ضَاقْ صَدْرِي لِذتْ فُوْق الْمِصَالِيْب

مَانِيْبْ مَنْ يِرْشِمِت فَعَايِـلْ ذِرَاعِه

صَارْ السَّبَبْ مِنِّي عَلَى مَنْقَع الطِّيْب

و نَجْمِي طِمَنْ بِالْقَاع عِقْب ارْتِفَاعِه

يَاطُوْلْ مَا هَجَّيْتِهِنْ مَـعْ لَواهِيْب

ولاَنِي بَدارِي[1] كَسْرَها مِنْ ضِلاعِه

---

(١) ولاني بداري : ولا أنا أداري من المداراة .

ويَاطُوْلْ مَا نَوَّخْتَها تصْرَخ النِّيْب
وَزْن ِالْبُيوت الـلِّي كبَارٍ رِبَاعَـه

وأضْوِي عَلِيْهُم كِنَّهُم لِيَ مَعَازِيْب
إلِيا رَمى زِيْن الْوَسايد قِنَاعَه

أَضْوِي علِيْهُم واتَخَطّى الاطَانِيْب
وَآخِذْ مَهَاوِيةِ الْجَمَلْ بِانْدِفاعه[1]

أَبَانْذِرْ اللِّي مِنْ رَبُوعي يَبَا الطِّيْب
لا ياخِذ إلاَّ مِـنْ بِيُوت الشَّجَاعه

يِجي وَلدها مْذرّب . كَنَّهَ الذِيب[1]
عِزّ لِبُوهْ وكُلِّ ما قَال طاعَه

وِبْنتِ الرّدىْ ياتِي وَلَدْها كَما الْهِيْب
غَبْنٍ لِبُوه ، وفَاشِلَه بِالْجِمَاعَـه

---

(١) مهاوية الجمل : الناقة ، وهذه الأبيات يرى بعض الرواة انها للشاعر شليويح العطاوي .

(٢) : مذرب : حادّ شجاع . كنه : كأنه . لبوه : لأبيه .

يَاكِبِر زُوْلِهِ عِنْدْ بِيْتَ الْمَعَازِيْب
مِتْحَرِّي متي يِقَدِّم مِتَاعِـه

وبقي شالح حزيناً كظيماً يسهر أيامه ولياليه ، ولا يفارق نار قهوته ، وذات ليلة وهو ساهر مع احزانه ، كان شخص من قحطان يسمى الهويدي قد ضاع صقره ، واخذ يبحث عنه بالليل ويسأل رافعاً صوته كلما مر بنار قطين منادياً « من عين الطير » فعرفه شالح وسكت عنه أول مرة ، ثم عاد اليه مرة ثانية ماراً ببيته ، بعد ان مر بنيران الحي ، وسأل عن طيره ، ثم استمر بسؤاله ماراً بكل نار يراها ، وعاد على شالح للمرة الثالثة ، فناداه شالح والهويدي لا يعرف ان النار هي نار شالح ، وعندما دعاه لكز هجينه بعقب رجله ، وجاء مسرعاً ظناً منه ان المنادي سيبشره بصقره ، وعندما اناخ هجينه ، واقترب من المنادي ، تبين له انه الأمير شالح بن هدلان والد ذيب ، الذي لا زال يصارع احزانه ، فاعتذر الهويدي لشالح ، واقسم له بالله انه لا يعرف ان هذه النار هي ناره ، ثم قبل جبينه معتذراً ، وطالباً السماح ، فاذن له بالجلوس من حوله ، واخذ شالح يصب له القهوة ، ثم قال هذه الأبيات :

إِنْ كَانْ تَنْشِدْ يَالْهُوَيْدِي عن الطَّيْـــرْ
الطَّيْرْ وَاللهِ يَالْهُوَيْدِي غَـــدَا لِي

طِيْرِي عَذَاب معَسْكَرَاتِ المسَامِيْر

إنْ حَلَّ عِنْد قطيّهِنْ[1] الْجِفَــالِيْ

إنْ جَا نَهَــارٍ فِيْه شَرّ بلاَ خِيْــر

وَغَدَا لِهِنْ عِنْد الطَّرِيْح اجْتُــوالِيْ

إنْ دَبَّرَنْ خَيْــل وَخَيْل مَنَاحِيْــرْ

وَغَدَنْ مِثْلً مَخَزَّماتَ الْجِمَالِيْ

عَلَى الرّمَكْ صِيْدِهِ عِيَالٍ مَنَاعِيْر

وشَرّه عَلَى نَشْر الحَــرِيْب الْمُوَالِيْ

يِضْحَك لِيَــا صَكَّتْ عَليه الطَّوابِيْر

طِيْرَ السَّعد قَلْبِه مِنَ الْخُوف خَالِي

خَيَّا لِنَا وِإنْ عَرْجِدَنَّ المظَاهِيْــر

وزَيْزُوْم عَيْراتٍ طُواهــا الْحِيَالِي

غِيْثٍ لنا وانْ جَت لِيَالي الْمَعَاسِيْر

وبِالشِّحْ رِيفٍ لِلضُّعُوف الْهِــزالي

---

(١) جمع قطاة : يقصد ظهور الخيل .

يسْقِي ثَــراه من الرّوَايِخْ مِزَابِيْــر
تِمْطِرْ عَلَى قَبْرٍ سَكَنْ فِيهَ غَــالِي

لاشك ان طير شالح يصيد افذاذ الرجال ، كما قاله باشعاره ، اما طير الهويدي فهو لا يصيد الا الأرانب والكروان .. رحم الله شالحاً وابنه ذيباً ، لانهما سجلا مفاخر قيمة لكل من يقطن نجدا .. اننا نودعهما بالرحمة ودعوات الغفران ، ونشيعهما بما يشيع به الأبطال المغاوير ، الذين ابقوا لهم ذكراً في الآخرين ، شجاعة وكرماً وشمماً وطيب أحدوثــة :



مِحْدَى الهبداني

مِحْدَى الهبداني – نسبه حياته – فروسيته – شخصيته القوية – طموحه – شعره هجاؤه لقومه – ابتعاده عن قومه ولد سليمان – وشعره في ذلك – اغارتهم على الشوايا – حربه مع ابن قعيشيش – بلجوءه لابن سمير – شعره فيه – انتقاله إلى آل مهيد وآل غبين – صلته بالسيد حجو وتأليبه إياه – ثورة السيد حجو – الشعر في ذلك – رحيل محدى إلى الشيخ عبد الكريم الجربا واكرام الجربا له – قصته مع الشمري في مجلس عبد الكريم – وفاء عبد الكريم معه وعدوله عن مهاجمة قوم محدى من أجله – عودته لجدعان بن مهيد بدعوة منه ورجاء للعودة – انابته وحجه .. الخ





محدى الهبداني



هو محدى بن فيصل الهبداني عاش الى تاريخ ١٣٠٠ هجرية تقريباً وهو من قبيلة آل فضيل التي يرأسها الشيخ ابن رشدان ، وهي فخذ من افخاذ قبيلة الجعافرة من ولد سليمان ، (من ضنا عبيد) من بشر ، وبشر هو ابن عنـاز بن وايل ، وهو شقيق مسلم بن عناز الذي تتفرع منه قبيلة (ضنا مسلم) .

نشأ هذا الشاعر وترعرع بين قبيلة ولد سليمان المشهورين بالشجاعة ، وكثرة العدد ، شيخها العواجي وعائلته ، والعواجية لا زالوا هم شيوخ هذه القبيلة ، نشأ في وقت التطاحن بين قبيلته والقبائل المحيطة بها ، وامه (ذكر) بنت مشل العواجي الفارس المشهور ، ووالده فيصل الهبداني ليس مرموقاً بين افراد هذه القبيلة ، ولكن ابنه (محدى) نشأ ثائراً وذكياً وطموحاً ، يطمع بالزعامة ، ولكنه لم يلق مجالا لزعامته ، مع وجود اخواله الأبطال العواجية ، وبعد ان لاحظ اخواله طموحه ، وتدخله بالقبيلة ، وتحريضه

لهم ، وترفعه عن مسلك ابيه.. ضغطوا عليه، لهذا لم يستطع ان يبرز بينهم ، وضاقت به الأرض بما رحبت ، وأخذ يتألم ، ويقول الشعر محرّضاً اقاربه من آل فضيل ، وهاجياً لهم أحياناً ، وقال قصائد كثيرة بهذا المعنى ، لم اعرف منها سوى القليل ومنها :

هَنِيِّكُم يَاهْلَ الْقُلُوبَ الْمَرِيْحَةْ
يَالدّالِهِيْنَ اللِّي عَـلَى بَرْكَةِ اللهْ

هَنِيِّكُمْ بِقْلُوْبِكُم مِسْتَرِيْحَهْ
ويَالِيْتَ قَلْبي كلْ مَا جَـاه يِنْسَاه

يَنْسَى هَوَاْجِيْس الضَّمِيْر الْمِشْيحَهْ
وْيَرضَى عَلَى غوّاْل حَلْقِهِ إلى ارْخَاه

خَطْوَ الْوَلَد يرضى العلـوم القبيحهْ
ويَقفِي ويَقْبِل كالْهَنُوفَ المرضَّـاه

وَانَا دِلِيلِي مَا يِطِيْعَ النَّصِيْحِـه
يَانَاسْ عَيَّاني دِلْيلي وَانَـا انْهَاه

ثم قال هاجياً قومه :

يَا فْضيْلْ يَا قْلُوب الْغَنَم مَا تَحَامُونْ

يَا لِيْتَها وَالله تْحَسَّنْ لِحاكُـمْ

يَا طُولْكُم يَا عِرْضكُم يُوم تَاتُوْنْ

يَا قِلْ حَمْراكُم عَلَى مِنْ بَغَاكَمْ

إلَيا اجْتَمْعْتُوا لِلْمَرَاجِل تِذِيْبُونْ

والنَّاس عَرْفَوا طِيْبِكُم مِنْ رَدَاكُمْ

الكُلّ مِنْكُمْ دَائِماً يِتْبَـع الْهُوْنْ

يَالعَنِ اَبُوكُم كِيْف تُوْخَذْ نِسَاكُمْ

تِرْضُوْن بِالذِّلَّهْ عَسَاكُم تَهَبُّوْن

واَشُوْف بِالرِّجْلِيْنِ كِلٍّ وِطَاكُمْ

يَافْضَيْل بِالْوَرْوِرْ بغِيْتُوا تِبَاعُون

ويلقى المذَلَّهْ خائف وان نصاكمْ

من عِقُبْ فِعْلَ الطِّيْبْ قُمْتُوا تَدَانُـون

واَنْتُوا مِن أَوَّلْ مَا يَقَرّب حِمَاكمْ

ثم قال هذه القصيدة متبرئاً من قومه :

لِيْتِي مِن الصِّلْبَان والاصِل مَا بِيْنْ
لاَ سَايِل عَنِّي وَلانِي بِسايِل

اقْعِد عَلَى (مُقْرٍ)[1] خَفِيّ مُوارِيْنْ
بِرَهْراهَةٍ مَا يَاصِلِهْ كُودْ حَايِل

مِنِ الوسْم رَويَانٍ مَعَ الصِّيْف مِطْغِيهْ
تَلْقَى الخَصَابْ مْكَوَّمٍ لِلزَّمَايِل

أْلوذْ عِنْ دِحْشٍ كِبَارٍ عَلابِيْـه
يِهُوْش كِنَّه بَاشِةٍ لِلقَبايِـل

مِتْبَاركين بِالمُوالِذْ بني خِيْه
عَلَى النِّزُولْ يِكَثِّرونْ الضِّوَايْـل

أَنَا انْ بَغيْت الصَّبْرْ قَلَّتْ مِشَاحِيْـه
ونَفْسي عَيُوف ولا رضَيْت الفِشَايِل

---

(١) المَقْر : هو المكان يستقر فيه الماء . من الجبل أو الأرض الصلبة .

نَوْيت أَهُومُ وكَافِل الَعْبدَ واليِه
والْبِعْدْ طِبٍ لِلقُلُوبِ الْغَلايِـل

فأجابته أمه (ذكر) اخت مثل العواجي بالقصيدة الآتية :

أَشُوف سِلْم آبْلِيْس (مِحْدَى) يِسَوِّيه
يِلْعَب عَلَى ظَهْر اللَّعِيْنِ القُوَايِـل

عِزَّى لِنُزْلٍ قَام (مِحْدَى) يِشَظِّيْه
لِعْب بِكُمْ يَا ذَاهِبِيْن الْحَمَايِـل

مِطَاوِع لِبْلِيْس وابْلِيْس مِغْوِيْـه
لاَ تِتْبِعُونَه يَا الْقُلُوبَ الهبَايِـل

هَذَا جِزَا خَالٍ يِعَزِّه ويِغْلِيْه
لاَ وَاحَسَايِف قُولِةٍ: يَا بِن وَايِل !!

لقد قرر (محدى) ان يبتعد عن اخواله ، وعن قبيلة (ولد سليمان) ورحل من نجد مع قسم من قبيلته آل فضيل الذين التفوا حوله ، واتجه الى قبيلة الفدعان من عنزة ، لأن الفدعان اقرب قبائل عنزة (لولد سليمان) ودخل الأراضي السورية ، وقد انشأ هذه القصيدة :

يَا رَكِبٍ سِرْ بالِةٍ تِقْطَعْ الْبِيْـدْ
حَمْرا وَلاَ فَوْقَه رِدِيْفٍ مَحَنْهَـا
أَوَّلْ نَهَارِهْ خَلْ مَشْيَهِ تِفَادِيْـد
وَافْهَقْ إِلَى الْبِرْ دِيْن عَقْبيْك عَنْها
مِثْلٍ النَّعامهْ يُوْم تِقْفي مَعَ الحَيْدْ
أَوْ تِقِلْ[1] شِيْهَانٍ دَنَا اللَّيْل مِنْهـا
تِلْفِي لِمَنْ جِيْشهِ سُوَاةِ المَعَاوِيْـد
كم عِزْبَةٍ ذَوّقْ رِبُوعِهْ لِبَنْهَـا
يَا خَالْ يَاللِّيْ مَا بِفِعْلَكْ مَنَاقِيْد
رِفَعْتْ نَاسٍ مَا عَرَفْنَا لَحَنْها
لاَ اكْرَاد لا هُمْ تِرْك لاَ سَلْم اجاوِيْد
يِبُوْن يِقْزُونِ الْعَرَب عَنْ وِطَنْها
يَا خَالْ لُوْلا نِصْفَ رَبْعِي لَهامِيْد
إِنْ كَان جَاكم صَادِق العِلْم مِنْها

---

(١) تقل : تقول .

آختَرِتْ عِنْ دَار اُلمهوْنَاتْ بِالْبِيْد
وَخلِّيْتْ دَارَ الذِّلْ لِلِّي سِكَنْهَـا
دَارٍ بِدارِ وَلاَ عَلِيْنَا تَحَادِيْـدْ
وَارْزَاقَنَا رَبٍّ الخَلايِقْ ضِمْنها
نِرُوْحْ عَنْ دارِ الْعَنَا لِلاجَاوِيْـدْ
لاَهَلْ بِيُوتٍ مِنْ تجَلْوَى زِبْنَهـا
عِيَالَ الْغِبَيْن الْمِنْتِخِيْن الِموَارِيد
عَلَى ظِهُوْرَ الخَيْلْ يِذْكَرْ طَعَنْهَـا
إِنْ جَانَهَارِ فِيْـه فَهْقٍ وِتوْرِيْد
يِسْني عَلَى كِـلَّ الْمُوارِدْ شِطَنْهَـا

ولما دخل الأراضي السورية قاصداً آل غبين قال هذه القصيدة :

اللهْ مِنْ قَلْبٍ بِدَا فِيْـه عَمْسِي
يِمِيْع لَوْ بَاسه حَجَـرْ قِرْطيَاني
يِمِيْعْ مَيْعَة شَمْع مِنْ حِرّ شَمْسِي
وَالاَّ الشَّحَم مِنْ فُوْقَ جَمْرِ اضَهيَاني

نِضبِخ مِكَاظِيْم وبَالْهَمْ نِمْسِي
وِكنّ الطَّعامَ مَلَوَّثٍ دِيْدِمَانِــي

يَا رَاكِبٍ مِنْ عِنْدَنَا فُوْق عِنْسِي
سِحْوَان قَطَّاع الفِيَّافي عْمَانِــي

عِنسٍ سَبْرس بِالسَّوادِ الْوَغْطِسِي
قَطَّاع دَوٍ هُوْذِلِيْ سُوسَحَانِــي

هِزْتِهِ بِعُودِ اللَّــوْزِ مِنْ غيْر لِمْس
ويَامَا قَطَع مِنْ نَازِحٍ السَّهْمِدَاني

قِطْعَى قِطَا وِمْذَيَّرَهْ حِسْ وِنْسِي
مِن اللاَّلْ وَرَّدْ دَيْــرَةِ الرّيَهَجَانِي

فُوقَهْ دِلاَلٍ نِسْج مِنْ كِــلْ جِنْسِي
القِرْمَزانْ مْخَالَطٍ بازْرَقَــانِي

يِمِدْ مِنْ حِفْــرَةِ خِنِيْصِر ويِمْسِي
لاَهَلْ بِيُوتٍ شِيَّدَتْ بِالْبِيَــانِي

يَامَا عَطَوا مِنْ سَابِقٍ قُوْد خَمْسِي
(غِبينَات) يَعْطُونَــه وِلاَ بِهِ مِثَاني

وِانْ صَار بِالْفِرْسَان طَعْنٍ وغَمْسي
مَا مِثْلِهُم يِرْكَب بَنَاتِ الْحِصَانِي

وفي أثناء طريقه هو ومن معه من قبيلة آل فضيل ، صادفوا قبائل من (الشوايا) الذين يربون الأغنام ، في حماية الشيخ ابن قعيشيش ، يأخذ على هذه القبائل الأتاوة ، ويتكفل بحمايتهم من نائبات الزمن ، وعندما رآهم (محدى) الهبداني وجماعته أرادوا نهب اموالهم لضعفهم ، فأغاروا عليهم ، واخذوا اموالهم ومواشيهم ، وعندما علم الشيخ بن قعيشيش شيخ الخرصة من الفدعان ، ثارت ثائرته ، وأغار على (محدى) الهبداني وجماعته بفرسانه ، ورجاله ، وقصدهم تخليص الغنائم التي اخذوها من (الشويان) ولكن (محدى) وجماعته أبو أن يسلموا ما غنموا فحصلت معركة بينهم وبين ابن قعيشيش هزم فيها ابن قعيشيش ، هو وقومه ، ثم انحرف (محدى) الهبداني وقبيلته عن قبيلة الغبين ، لأن قبيلة الغبين اقارب قبيلة ابن قعيشيش ، والجميع من قبيلة الفدعان من بشر الكبيرة ، واتجه (محدى) وقومه الى الشيخ محمد بن سمير الذي هو من قبيلة (ضنا مسلم) بن عناز ، وقبل ان يصل الى الشيخ ابن سمير ارسل اليه هذه القصيدة موضحاً فيها المعركة التي حصلت :

يَا رَكِبيْن مِقُوْلِمَاتَ الخَفَافِـيْ

مَا دَنَّقَوا عَنِ الْحَفَـا يِرْقِعُوْنَـهْ

يِلْفَنَّ أَخو خزنَةْ زبُون المقَـافِيْ

اللِّيْ بِوَقْت العِسْرِ تْنَدَّى صِحُونِـهْ

الرّوْم جَتْنَا جَردَةٍ يَـا السَّنَافِي

يِبُوْن سِتْرِ بِيُوتِنَا يِنْهَبُونِـهْ

صَاح الصِّيَاح وقَال: مَا مِنْ عَوافِيْ

وحَتّى جِوَاب المَنْعَ مـا يِذْكِرُونِـهْ

صَكُّوْا عَلِيْنَا نَاهِضِيْنَ الشَّـلافِي

فَزْعة وكِـلَّ مِجَرَّب يَزْهَمُونِـهْ

وصِحْنَا عَلِيْهُم صِيْحَةٍ مَعْ كِشَافِيْ

ولِغْيُونْ (صِيْتَهْ) جِيْشِهُم يِسْهَجُونِهْ

الشِّيْخ (ثامِرْ) مِرْتِكٍ تِقلْ غَافِيْ

يَا حَيْف سِلْبَتْ جُوْختِه مَعْ زِبُونِهْ

(جَعَافِرَةَ) مَا يِشْتُهُوْن الْعَوافِـيْ

والشَّرْ لَو هُوَ غَايِبْ يَحْضِرُونِـهْ

وَرْدَوا عَلِيْنَا مَـارْ صِرْنَا عِيَافِيْ
مَانَا هَمَاجْ ورَبْعَنَا يَمْلِحُونَـهْ
لا عَاذْ مَا نَاخِذْ مِنِ الحَقْ وَافِيْ
أَللِّيْ تَحَلْوَى النَّاسْ مَـا يَرْحَمُونَهْ

واتبع ذلك بقصيدة أخرى طالباً فيها من محمد بن سمير لجوءه اليه وحمايته وهي كالآتي :

دَنُّوْا بِغيدات الْمَماشي رِكَـابِيْ
عَرَنْدسَاتٍ بِقْطَعَنْ الْمَحَاوِيْـل
غرِوَاتْ لِيْن اَسْهَيْل بَيِّنْ وِغَابِيّ
حتي غَدَا فُوْقْ الابَاهِـرْ زَهَامِيْـل
يِرَعَنْ مِنِ الرِّبْلَة وِرِجْلِ الْغُرابِي
بَاطْرَافِهِنْ تَلْقَى الْخِزَامى تِقَلْ نِيْل[1]
حَثُّوا مَنَاكِبْ جِيْشِكُم بِالْعقَابِي
قَلايْصٍ مَا لاَغَمَنَّ الْمَخَالِيْـل

(١) الربلة ، ورجل الغرا ب ،والخزامى : نباتات أثيرة عند العرب في الصحراء

إنْ رَوَّحَنْ مع سِهْلَةٍ لــهْ سَرَابِيْ

عُوصٍ يِشَادِنْ رُوسْ رُبْدَ الهَرَاقِيْــل

لِمحَمَّدْ بِنْ سْمِيرٍ رِيْف التَّعَابِيْ

بَدْرٍ الدَّجَا ، تَوَّارْ عِشْبِ الْهمَالِيْل

لِصديْقِه أَحْلَى مِنْ هُتوف السَّحَابِيْ

وِ لِعْدَاهْ مَفْتُوْل الْحَدِيْدَ الـزَّنَاجِيْل

يَا شِيْخْ لُوْ شَالَ الْجَمَل مِثْلَ مَابِي

أَزْرَا بلِيْهِيّ الـرّحَايِلْ عَن الشِّيْل

ويَا شِيْخْ مِنْ دَبَّت عَلِيْه الدَّوَابِيْ

يَعَاف لَذاتِ الوَنَسْ وَالتَّعَالِيْــل

إنْ حِطَّ بِالغِلْيُونْ مِثْلَ الخِضَابِي

وصِينِيَّةٍ تِلْعَب بْوضح الفَنَاجِيْل

عَدّه مِنَ الاوْنَاس خِلَوِ الْجَنَابِي

إنْ لافِه الدَّاكُوْك بِالعَدلِ والْمِيْــل

ويَا شِيْخ يَا مِدمِي لِرُوس الحِرابِي

جِيْنَا لِكُم يَا كَاسِبِيْن التَّنَافِيْــل

نَبِي جِنَابِكَ يَــا نِزْيِه الْجنَابِــي
يَوُمَ الرِّفَاقَةَ صَار مِنْهُم غَــرَابِيْل

فاجاره محمد بن سمير هو وقبيلته آل فضيل ، وحماه من ابن قعيشيش ، ومكث فترة طويلة في جوار بن سمير ، الى ان عفت عنه قبيلة الفدعان ، بما فيهم آل قعيشيش والغبين ، بعد ان ارسل هذه القصيدة لجدعان بن مهيد شيخ قبيلة (الولد) من الفدعان :

يَا رَاكِبٍ حمْرَا كِتُوْمٍ رْغَاهَــا
مَمْشَي ثِمَان ايَّامْ تَطْوِيْــه مِشْوَار
جِذْعِيَّةٍ قَطْعِ الفَيَافي مِنَاهَــا
تِشْدِي لِشَاحُوْفٍ مَع الشَّطْ عَبَّــار
يَا رسل يَاللِّي لاَيِذٍ في قَرَاهَــا
خَلِّك مَعَ اَوَّلْ فَجَّةِ الصّبْحْ نَشَّار
وَالْعَصْرِ ابُوتِرْكِي مَحَــارِي مِسَاها
لغضى الْبِخِيْــل ، لِغَالِيَ الزَّاد دَمَّار
عِيِنيْ قَزَتْ مِنْ نَومَها وِشْ بَلاهَا
كِنَّ النُّوْيِفِجْ لايِفَهْ عِقِبْ ذَرّار

قَزَتْ وقَزّاهـا عَظَايِمَ بلاهَا
عُوْجٍ نِمَضِيْهِن وَهِنْ كَارِهِنْ كَار

وِكِبْدي مِن الرّهوْند يِخَلَط عَشَاها
أَوْ تِقِلْ يَقْرَضْ مِنْ مَعَالِيْقَهَا فَـار

عَلَى نِجُوعٍ فَرَّقَ اللهْ شَظَاهَـا
نَاخِذْ بها حَقٍّ وَنَذْرِي بِها جَـار

يَا مْدَبِّرْ السَّلَقَا عِلِيْك الْتِقَاهَا
تِفْرِجْ لِعَبْدٍ تَايهِ الْفِكْرِ مِخْتَـار

يُوم اَخْرِجُوه وقِرْبِتِه قِد مَلاهـا
عِنْدَك لَها يَاوَالي الْعَرْشِ تِدْبَـار

أَطْلِبْك نَفْسي لاَ تْخَيِّبْ رجَاهَـا
يَا عَالِمٍ باخْوالَهَـا وانْتْ جَبَّـار

والرُّوْح مِنِّي مِسِعِلات حِذَاهَـا
حَذْوَة رِجْلْ مَا قَاضبَهُ كُود مِسْمَار

نَجْدٍ بْعَزِّي عَنْ غَثَاهَـا عذَاها
لُوهِي مِقَرْ ابْلِيْس في مَاضِ الاذْكَار

نِرْكِضْ وِمِنْ صَادِ الْجَرادةِ شُوَاها

وِللنَّارْ مِنْ عَقّبْ مِنْ الْمَالْ دِيْنَار[1]

بعد ذلك دعاه شيوخ الفدعان آل مهيد وآل غبين ، فرحل من عند ابن سمير شاكراً له ، ما لاقاه من حماية واعزاز واكرام ، وتوجه لقبيلة الفدعان ، لأنها اقرب الناس اليه، وبقي بين ابن غبين وابن مهيد ، معززاً مكرماً الى ان حصل بينه وبين ابن غبين بعض الخلاف ، ويعود ذلك الى نفسه الطموح ، التي لا تقف عند حد ، فقال القصيدة الآتية في آل غبين هاجياً لهم :

عَسَاكْ يَا دَارٍ بِك الْحِيْفِ تِلْوِيْنْ

عَسَي الْوِلي يَسْعَي لِسَاسِك بالاخرابْ

يْسفِي جَنَابِك مِثْل دَارٍ بِدَارِيْنْ

سِهْسَاه رملٍ مِن سِمَهْلات وتِـرَابْ

لاَ عَاد مَا نَاخِذْ وَفَا حَقِّنَا زِيْنْ

الاَّ بِسَلْ مِصَقَّلَ الهنْدْ وِخـرابْ

---

(١) يروى هذا البيت والذي قبله لرشيد العلي من أهل الزُلْفِي .

عَسَاكْ يَا دَارَ الْمَذَلَّهْ تِخِيْبِيْنْ
وعَسَي الْوِلي يِسْعَى لِنُزِلكَ بالاذْهَابْ

نَاسٍ تَشِيْلَ الْبُغْضْ مَا هُمْ خَفِيِيْنْ
الْقَلْبْ فِيه الرِّيْبْ لَوْ يَضْحَكَ النَّابُ

يَا خْلِيْسْ وِانْ مَا شِفْت انَا شايِفٍ شين
أَشُوْفْ نَاسٍ قوم بهدوم الاصحاب

يا حليْس صاب القَلب ما تنظر العَيْن
شُوْف البِغيْض بِنُوْنَهَا تِقْل مِشْهَاب

انْ كَانْ رَبْعِكْ مَا لِحَقِّكْ وِفِيِّيْنْ
مِسْمَارَهُمْ يِبْخَصْ بِلا قَازْ وِكْلابْ

عَنْهُمْ تَنَحُّوا يَا قِلُوْبِ الْبَعَارِيْـــنْ
فِيْ دِبْرِةِ الْخَلاَّقْ فَتَّــاح الابْوَابْ

عَنَ الْمَهُونة نَجْعَلَ النَّــارْ نَارِيْنْ
نِبْعِدْ عَنِ الاصْحَابْ لِلْدْيَار الاجْنَابْ

ثم انحاز عن ابن غبين كلياً الى جدعان بن مهيد ، وبقي صديقاً حميماً لجدعان بن مهيد ، وكان هناك شخص من شيوخ الفلاحين يدعى السيد (حجو) بن غانم وله قرى

كثيرة ، وقبيلة كبيرة ورغم ذلك فهو يدفع « اتاوة » لحدعان بن مهيد ، وكان السيد حجو على جانب من القوة بقبيلته كثيرة العدد ، وحصل بينه وبين محدى الهبداني صداقة ، وبعد ان رآه محدى يدفع الاتاوة لحدعان بن مهيد ، وهو على هذا الجانب من القوة ابت نفسه الثائرة الا ان يوغر صدر سيد حجو على ابن مهيد ، وقال له لماذا ترضى هذا الخنوع وهذه الذلة ، وانت رجل عربي ، وعندك من العدد والعدة ، ما يفوق ابن مهيد ، وعندك القصور الشامخة ، التي تستطيع فيها ان تحمي نفسك ، بالسلاح وتعز قومك من دفع الأتاوة ، واتبع كلامه هذه القصيدة :

قُوْلَوْا لِ(حِجُّو) رِيف هَزْل الرّكَايِبْ

عِنْدي لِهُم عَنْ لِمْسةِ الْخَشْمِ حِيْلـهْ

قَصرٍ يشادي نَايفَاتَ الْجِذَايِبْ

ورِصَاصْ قِبَسٍ مُوْلَعٍ لَـه فِتِيْلِهْ

وَآلاَّ اصْبُروا صَبْرٍ عَلَى غِيْزْ طَايِبْ

صَبْر الجْمَالَ اللّي ثَقلْهَا تِشِيْلِـهْ

والاَّ آزْبنُوا للرّوْمْ شقْرَ الشّوَارِبْ

وفضُّوا عَنِ الوِيْلاَن طِرقا طَوِيْلِـهْ

ما يِترك الهَسّات لَوْ قَال تَايِبْ

مَا طُوْل مَسْحُونِ الدَّوى مَا عِبيْ لِهْ

انْتُم عَرَبْ مِنْ رُوسْ قُوْمٍ عَرَايِبْ
وِشْ لَوْن تَرْضون الْخَنَا والرِّذِيْلِهْ

هَذِيْ عَلَيْكُم يَالسَّنَافِيْ غلاَيِــبْ
وِشْ لُوْن تِرْضُون الرَّدى والْفَشيْلِــهْ

مِنْ مَالِكُمْ يُوخَذْ خِرَافْ وَحِلاَيِبْ
يَاخُونِكُم يَا كَاسِبِيْن النَّفيلِــهْ

لُوْ هُمْ بِنيِ عَمِّيْ ولُوْ هُمْ قَرايِبْ
مَمْشِي الخَطَا نِشُوفْ بِهِ كل عَيلِهْ

بعد ذلك ثار السيد (حجو) واعد عدته ، واطلق النار على رسل جدعان بن مهيد، الذين جاءوا ليأخذوا الأتاوة، ورفض ان يستجيب لمطالب بن مهيد ، وبعد ان عرف جدعان بن مهيد ان السبب لذلك هو محدى الهبداني عرض امره على موظفي الدولة العثمانية ، الذين يحكمون البلاد آنذاك ، وقال ان هذا رجل شرير ، جاء من نجد ليفسد البلاد ، فألقوا القبض عليه ، وزجوه بالسجن ، وبعد ان مكث مدة طويلة به ، قال هذه الأبيات بالسيد حجو صديقه الحميم :

قُولَوْا لِ(حِجُّو) قَبْلْ يَسْعَى بْنَا الدُّوْدْ

حِيْثَه فَهِيْمْ ، الطَّيِّبَــة مَا تِفُوتِــهْ

يَاللهُ يَا خَلَّاقْ يَا خِيْرْ مَعْبُوْدْ

يَا مِطْهِرِ ذَا النُّوْنْ مِنْ بَطِن حُوتِــهْ

تِرْحَمْ غَرِيْبِ دُوْنَه الْبَابِ مَرْدُوْدْ

تُوَازَنَتْ عِنْدَه حَيَاتِه وَمُوتِــهْ

اَطْلبْك تْرزْقَنَا بِيِسْرِكَ عَنِ الْكُوْدْ

هَذَا زِمَانِ شَيَّبَتْنِي وِقُوتِــهْ

أَشوْف انَا بِالنَّاس حَاسِدْ ، وَمَحْسُوْدْ

وِلقِيْت لِي نَاسٍ تِضَيِّع سِمُوتِهْ

العَدْلْ ضَاع وزَايِد الحَيْفْ مَاجُوْدْ

ومِنْ صَاح يَبْيَ الْحَقْ مَا سِمِعْ صُوتِهْ

فأخذ السيد (حجو) كمية من الذهب على غفلة ، وراح للموظفين الأتراك ورشاهم، فأطلق محدى الهبداني من السجن، ولكن محدى بعدما حصل له. ، من الشيخ جدعان بن مهيد ما حصل ، ابت نفسه ان يسكن بينهم فقال هذه الأبيات

بالشيخ محمد بن سمير صديقه القديم ، الذي اجاره من آل قعيشيش في اول الأمر وهي كما لي :

يَا رَاكِبٍ سُمْح الْمِذَرِع من الْقُوْد
أَشْعَلْ طِوِيْلَ الَمتْنْ نَبْه شْنَاحِي
يِشْدِي لِهِيْقٍ جَفَّلهْ حِسّ بَارُوْد
علِيْنْ زغر مَنُوْمَلٍ الْمِلْح فَاحِيْ
وشْدِيَّده مِنْ عَاج وِالنَّطْعْ مَاهُوْد
ومِنَصّلٍ باجْوَاز رِيْشٍ الْمِدَاحِيْ
تِلْفِي (أَخُو عَذْرَا) مْنَ الرّبْع مَقْصُوْد
زَبْنَ الْهَلِيْب اللِّي لَه المَنْع شَاحِيْ
قلْ لِهْ تَرَى دِنْيايْ مَا تَازَن العُوْد
مَرٍّ بِيَاتْ وَمَرّ كُونَه صِبَاحِيْ
وافْطَنَ تَرَى دِنْيَاك خَوَّانة عِهُوْد
صَفَّاقَةٍ غرقُوْبَهَا بِأْرتِمَاحِيْ
ويَا شِيْخْ مَا دَامَتْ لِكِسْرى ودَاوْد
كَمْ دُوْر رَبْعٍ كَيَّفوا به وَراحِيْ

يَامَا صَبَرْنا يَاخُوْ عَذْرَا على الْكُوْد
نضْبِرْ ولاَ نطْلب ايْديْنٍ شِحَاحِيْ

عِزِّي لِمَنْ مِثْلِي مِنَ الْغبنْ مَلْهُوْد
وعَمَّا تِرِيْدَ النَّفْس يقْصِرْ جَنَاحِيْ

مِنْ يُوْم بَانَنْ الْمَغَاتِيْر بِالسُّوْد
بِطلْ جَهَلْنَا يُوم بَـــان الْوِضَاحِيْ

ويَاشِيْخ يَا مِبْعِدْ عَنا كِلْ مَضْهُوْد
يَا مْزَبْنَّهْ وانْ ضَاقِ فِيْــه البِيَاحِيْ

يَامَا لِجِيْنَابِك عَنِ الْحِيْف والزُّوْد
يُوْم انَّها قَلَّتْ عليْنَـــا المِشَاحِيْ

وَاللهْ مَادَامِــي عَلَى الْقَاع مَاجُوْد
مَنْسَاك يَا طِيْرَ السَّعَدْ والفَلاحِــيْ

ثم قال قصيدة أخرى بالشيخ عبد الكريم الجربا شيخ قبائل شمر بالعراق :

يَاللهْ يا خَلاَّقْ صِبْحٍ بَثَرْ لِيْلْ
بِاذْنِكْ عَسَي تسْمَعْ لِعَبْدِك سَوالِهْ

تفزَع لِمَضهُوْدٍ وِطَا رَاسِهِ الشَّيْلْ
مَا بيْنْ كَافْ ونُونْ تِنْعَشْ حَوالِـهْ
يَا دَارِنَا عِفْنَاكْ مِنْ زَايِدْ الْمِيْلْ
عَيْفَةْ عَدِيْمٍ شَافْ نَقْصِ الْجَلاَلِـهْ
يَا دَارْ يَا دَارِ الخَطَا والتَّهَاوِيْلْ
حَقَّكْ لِمَقْلُوْلْ الرَّفَاقَة نُوالِـهْ
يَا دارْ مَا يَسْكِنْ بْكْ إلاَّ قِوِيّ حِيْلْ
يَقْضِي لِحَاجَاتِه بْسِيْفِهِ لِحَالِـهْ
يَا رَبْعِنَا هَيَّا نُورِيْنَا الْمَحَاوِيْـلْ
نَرُوْحْ عِنْ دَارَ الْعَيَـا وَالضَّلاَلَـهْ
سَمّوا وطِيْعُوْني عَلَى الزَّمْلْ وِنْشِيْلْ
لَعْبْد الْكَرِيْم اللِّي تِذَكَّر فَعَالِـهْ
لِلشِّيْخ نَطَّاحَ الْوِجِيْهَ الْقَابِيْلْ
وِمِنْ صَكَّتِهْ غِبْـرَ اللَّيَالِيْ عَنالَـه
الدَّارْ دَارْ وِكلْ دَارٍ بْهَا كَيْلْ
والرّزْق عِنْد اللِّي عِظِيْم جَلاَلِـه

ثم رحل الى الشيخ عبد الكريم الجربا ، والتجأ اليه فاكرمه الشيخ عبد الكريم اكراماً بالغاً ، وذات يوم وهو جالس عند الشيخ عبد الكريم في مجلسه ، وأهدى الى الشيخ عبد الكريم جواد من الخيل اصيل وقبلها ، وفي الحال قدمها الى محدى الهبداني ، وكانت جواداً من احسن جياد العرب ، فقام واحد من الجالسين من شمر الى محدى الهبداني وقال له أسألك بالله يا محدى الهبداني أن تخبرني اي عبد الكريم الجربا ، وجدعان بن مهيد ، احب الى نفسك ؟!
فقال محدى الهبداني ويحك ، لا تسألني بالله ، فكرر عليه الشمري ثلاث مرات ، ومحدى يتهرب منه، وبعد ان اكمل السؤال الثالث قال محدى اقسم لك بما سألتني به ان (غليون) جدعان بن مهيد عندما ينفث منه الدخان ، ويعطيني آخذه وأمزه يسوى عندي عبد الكريم الجربا وقبيلة شمر ، وعندما سمع ذلك الشيخ عبد الكريم الجربا ثارت ثائرته ، وقال للشمري الذي سأل محدى : أنا أجرم عليك ان تسكن منازل شمر ، وان علمت انك ساكن في منازل شمر سوف اقطع رأسك ، وطرده من مجلسه ، والتفت الى محدى الهبداني ، وقال له اشكرك على ما قلت ، ولو قلت غير ذلك لاستهجنتك ، فأمر رجاله ان يحضروا خمسة عشر ناقة من الابل الوضح ، اي البيض ، وقال هذه هدية مني لك ، مع الجواد الأبيض ، تقديراً لموقفك مع شيخك جدعان بن مهيد ، الذي هو شيخ الفدعان ، وبقي عند الشيخ عبد الكريم معززاً مكرماً ،

وذات يوم كان الشيخ عبد الكريم الجربا غازياً قبيلة عنزة التي هي قبيلة الهبداني ، وكان محدى برفقته، واثناء سيرهم لحق بهم شخص من شمر ، على قلوصه ، مبشراً عبد الكريم الجربا انه رزق بمولود ، فقال له بعض اصحاب عبد الكريم ، اذهب وبشر محدى الهبداني ، صديق الشيخ عبد الكريم بشره بابنه ، وكان محدى منتحياً في طرف القوم ، وعندما بشره الرسول ، اجابه قائلا لا بشرك الله بخير ، واسأل الله ان المولود الذي بشرتني به لا يبلغ سن الفطام ، فقال البشير ويحك يا محدى لماذا تقول هذا بابن الشيخ عبد الكريم ، فقال نعم اقول ذلك لانني اخشى ان يترعرع وينمو وتكمل رجولته ثم يكون مثل ابيه فيقضي على البقية الباقية من قبيلة عنزة ، فضحك القوم من قول محدى الهبداني ، ففي الكلمة نكتة واعجاب ، وعندما سمع الشيخ عبد الكريم الجربا كلام محدى الهبداني مع الذي جاء يبشره بالمولود ضحك كثيراً ، وقال ما يقوله محدى الهبداني مقبول عندي ، وقد دار الحديث هذا وهم في مواطن عنزة ، وكانت قبائل عنزة قبل سنة تقطن هذه الاماكن ، وصدفة امر عبد الكريم الجربا على القوم بأن يحطوا الرحال ، ويناموا ليلتهم ، لانهم كانوا آخر النهار ، وعندما نزلوا لاحظ الشيخ عبد الكريم ان محدى لم يقر له قرار ، وكان يسير على قدميه من حول القوم وكأنه يبحث عن ضالة ، فدعاه الشيخ عبد الكريم قائلا له تفضل يا محدى لأن القهوة

والشاي قد حضرا فأتى محدى عابس الوجه ، تبدو عليه علامات التفكير ، والذهول ، لاحظ منه ذلك الشيخ عبد الكريم ، فقال ما بك يا محدى ، فقال لا شيء يا سكران المجانين ، وكان هذا الاسم يطلق على الشيخ عبد الكريم عند قبيلة شمر ، وقبيلة عنزة ، فكرر عليه الشيخ عبد الكريم السؤال ، فقال ياسيدي هل تعرف هذه الأماكن التي نحن الآن بها ، فقال نعم اعرفها ، قال انها منزل عنزة ، بالعام الماضي ، وهذه حدودهم ، وكنت بالعام الماضي اقطنها معهم ، وقد عرفت منزل كل شيخ منهم حولنا ، فقال الشيخ عبد الكريم الجربا ، وهل قلت شيئاً يا محدي بذلك ، فقال نعم لقد قلت فقال ما قلت فانشد هذه الأبيات :

يَا دَارْ وِيْنَ اللِّي بِك الْعَامِ كَالْيُوْمْ
مَا تِقِلْ مَرَّكْ عِقْبْ خِبْرِي نْجُوْعِيْ
خَالٍ جَنَابِكْ بِسْ يلْعِيْ بِكَ البُوْمْ
مَاكِنْ وَقَّفْ بِكْ مِنِ النَّاس دُوْعِيْ
شِفْتَ الرّسُوْمْ وصَارْ بِالْقَلْبِ مَثْلُوْمْ
وهَلَّت مِنَ الْعَبْرَة غرايِب دِمُوعِـي

وِيْنَ الجَهام اللِّي بِكِ الْعَام مَزْدُوْمْ
وِظْعُوْن مَعْ قِدْوَة سَلَفْها تِــزُوْعِيْ
أَهْل الرِّبَاعْ مْزَبَّنَةْ كِلٍّ مَضْيُوْمْ
وِأَهْلَ الرِّمَاح مْظَافِرِيْن الدَّرُوْعِيْ
رَاحُوا لِنَا عِدْوَانْ وَحِنَّا لْهُم قُوْم
ولاَ ظَنَّتي عِقْبَ التَّفِرّقْ رِجُوْعِيْ
وِانْ صَاحْ صَيَّاحٍ مِن الضِدْ مَزْحُوْم
تِجِيْكَ دَقْلاتِ السَّبَايَا فْزُوْعِــيْ
صِفْرٍ يِكَاظِمْنَ الاعِنَّةْ بِهِنْ زُوْم
يخِلِّنْ سَكْرَانَ الْمِجَانِيْنْ يُوْعِــيْ
يَرْكَبْ عَلِيْهنْ بِاللِّقَى كِلَّ شِغْمُوْم
فِرَّيْس ، واللهِ مَا تَهابِ الْجِمُوعِيْ
خَيَّالْهُمْ يَنْطَحْ مِنِ الْخَيْل حِثْلُوْم
يُوْم الاسِنَّةْ بِالنَّشامَى شْرُوعِــيْ
وَيَاشِيْخ انَا عِنْدَك مَعَزَّزْ ومَحْشُوْم
وِيِمْضي عَلَّى الْعَــامٍ كِنَّهْ سْبُوعِيْ

لاَ شَكٌّ قَلْبي بِالوَفَا صَار مَاسُوْم
لِرّبْعِي وَنَا يَا شِيْخ مِنْهُم جِزُوْعِيْ
وِعْيني لِشُوْف الْجِيْفْ مَا تِقبَل النُّوْم
وِالْقَلْبْ يَجْزَعْ بِيْن هِذْفَ الضَّلُوعِيْ
وَيَا شِيْخْ ابا وَصّفْكَ يَا مِفْني الْكُوْم
يَالصّاطِيَ القَطَّاعْ حَسْن الطِّبُوعِـــيْ
حِلْيَاك حِرٌ يفني الصِّيْدْ مَلْحُوْم
مِتْفَهِّق الجِنْحَان حِرّ قِطُوْعِـــيْ
حِرِّ عَلَم بِالصِّيْدْ مِنْ غِيْر تَعْلومْ .
يِوْدِع بْدَاذْ الرِّيْش شَتٌّ مِزُوْعِـــيْ

وعندما اكمل الهبداني قصيدته ، قال الشيخ عبد الكريم اطمئن يا صديقي ، اننا في الصباح راجعون الى ديارنا لانني لا أحب ان اجد قبيلة عنزة ويحصل بيني وبينهم اصطدام وانت معي ، لأنك منهم ، ولانك جار عزيز عندنا وانني اقدر هذه الحمية فيك ، ولا الومك بما قلت بقومك ، وعندما بلغ الشيخ جدعان بن مهيد ما حصل من سؤال الشمري في مجلس الشيخ عبد الكريم الحربا ، وعن هذه القصيدة الأخيرة ، التي قالها عند عبد الكريم الحربا ، ارسل الى محدى وفداً يدعونه ليرجع اليهم ، وان له كل ما

يطلبه ، وانه سيبقى عندهم معززاً مكرماً ، ولن يعصوا له امراً ، ولا توجه اليه اهانة ، فاعتذر محدى من الشيخ عبد الكريم الجربا ، واستأذنه للرحيل ، فسمح له بعد انه أنعم عليه واكرمه ، ورجع الى الشيخ جدعان بن مهيد شاكراً لعبد الكريم الجربا فضائله وكرمه واخلاقه ، وبقي عند جدعان طويلا مكرماً معززاً الى ان تذكر بلاده نجد وحن اليها ، واشتاق ان يحج لبيت الله العتيق ، ويزور مسجد نبيه الكريم ، فاستأذن من الشيخ جدعان بن مهيد ورحل من بلادهم الى بلاد نجد ، مع قبيلته آل فضيل ، ورجع الى موطنه ومسقط رأسه نجد العزيزة وحج بيت الله وزار مسجد نبيه بعد ان قال هذه الأبيات :

يَا اللهْ يَاللِّيْ مَا دِخِيْلِكْ يْنضَامِيْ
يَاللِّي عَفِيْتْ ، وَحْل لِطْفَكْ عَلَى ايُّوْب

أطْلُبْك يَا مِحْيِي هَشِيْمَ الْعِظَامِيْ
وَالِي وَلا غِيْرَك ولِيّ وَمَطْلُــوْب

يَاللهْ تَجْمَعْ شَمْلِنا بِالتَمَامِــيْ
يَاعَاقِلٍ يُوسُفْ عَلَى ابُــوهْ يَعْقُوبْ

بِجَاه (مِنْ صَلَّى) لِوَجْهِكْ وِصَامِيْ
تفْتَحْ لِنَا مِنْ بَابْ لِطْفِكْ لِنَا بُوْب [1]

وِبجَاه (مَنْ) لَبَّى وَلَبْسَ الْحِرَامِيْ
ورِقِي عَلَى رَاس الْجِبَلْ قَاضِي النُّوْبْ

يَاعَالِمٍ بِاللِّي خَفَى مِـن كَلاَمِيْ
تَبْهَجْ فُوادٍ اللِّي عَلَى الْبِيْتْ منْعُوْبْ

يَاللهْ يَا مسقِي كِبُودِ ظُوَامِـيْ
مِنْ مِيّ (زمْزَم) نَافِلٍ كُلّ مَشْرُوْب

هَيَّا ودَنُّوْا لِي رِكابٍ هْمَامِـيْ
نِبِيْ نِزُوْر اللِّي عَلَى الْقَلْب مَحْبُوب

---

(١) الدعاء بجاه مخلوق : بدعة ، ولكون هذا معروفاً عند اكثر القرّاء الآن ، وكون الشاعر يجهل ذلك ومحافظة على نصّ القصيدة ، تركنا اللفظ بدون تغيير ، والله يغفر للشاعر فقد عاش في البادية في ناحية لم ينتشر فيها العلم في عهده .

نِبِيِّنَا نِضْفِي عَلِيْــه السَّلامِيْ
وِحِنَّا عَلِيْنا الحَجْ فَرْضٍ وَمِكْتُوْبْ[1]

هذه ترجمة محدى بن فيصل الهبداني استقيتها من الطاعنين بالسن من رجال قبيلة عنزة وغيرهم وكم بها من جوانب عامرة وفضائل معجبة :

---

(١) يقصد زيارة المسجد النبوي الشريف لأن شدّ الرحل للقبر المطهر ليس مشروعا .

خَلَفْ الأُذُنْ

خلف الأذن ـ نسبه ـ فروسيته ـ شعره ـ الوضيحي مع خلف وشعر في ذلك ـ الشاعر ابن قويفل ـ خلف الأذن مع مشائخ قومه آل شعلان ـ حروب قبيلته مع ابن مهيد ـ قتل تركي بن مهيد ـ ابن مهيد من ابرز الشخصيات وأكرمها ـ الشعر في مقتل ابن مهيد ـ أسر محدى ـ شعر في ذلك ـ الخلاف بين صطام بن شعلان وبني صخر وحروبهم وشعر خلف في ذلك ـ قتل مشائخ بني صخر ـ فهد بن هزاع وعداوته لخلف الأذن ـ قصة جواد خلف ـ خلافه مع النوري ـ شعره في ذلك ـ وفادته على سعود بن رشيد ـ قصته مع زامل وشعره فيه ـ قتله من قبل غزاة من شمر ـ لجوء ابن عدلان من شمر الى خلف واكرامه له وهو مقطوع الأيدي ـ إغارة آل زيد من آل شعلان قبيلة خلف على التومان من شمر وقتلهم فيصل بن سند الربع زعيم التومان .. الخ



خلف الأذن

هو الفارس الصنديد ، والشاعر المجيد ، خلف الزيد الأذن الشعلان ، من عائلة آل شعلان الكبيرة ،رؤساء قبيلة الرولة المشهورة من عنزة ، هذه العائلة تنقسم الى اربعة أفخاذ ، آل نائف والرئاسة متسلسلة فيهم الى الآن ، وآل مشهور ، وآل مجول ، وآل زيد الذين منهم خلف الأذن ، وعائلة الشعلان مشهورة بين القبائل ، وقد برز منهم عدد من الأبطال ، كانوا مضرباً للأمثال بالشجاعة ، وقد قال شاعر شمر بصري الوضيحي متحدياً معرضاً ، هذه الأبيات وذكر فيها مجولا والدريعي ، مجول جد آل مجول ، والدريعي جد آل مشهور ، والأبيات كما يلي :

أَبَا اتَمَنَّى كَانْ هِي بِالتِّمـــانِيْ
صَفَرا صَبهاة اللُّون قَبَّا طلِيْعـــيْ

وسِرْوَالْ تُوْمَان ومِثْل الشِّطانِيْ
ومْصقَّلٍ مِثْل الثَّغَب لَـــه لِمْيعِيْ

أَبِي لِيَا لَحْقَ الطَّلَبْ لَه غَـوانِيْ
والْخَيْلْ معْهَا (مجْوِل) و(الدرِيْعيْ)
أَرُدَّها وإنْ كَـانْ ربِّيْ هَدانــيْ
منَ الْمعرقة ياتِيْ عَلَى الخدّ ريْعِي
أَرِدَّهَا لِعْيُونْ صافِيْ الثَّمانِي
بيضَ النُّحُوْرِ مِهْلَّكاتْ الرّضِيْعِي[1]
قِدَّامْ شمَّرْ مِثْلْ زَمْل الصَّخـانِيْ
اللِّي يِخَلوْن الْمخَالفْ بِطِيْعِـي

وقد قدر للوضيحي ان يغزو مع (بنية) الجربا ، شيخ شمر ، يغزو قبيلة الرولة من عنزة ، قبيلة آل شعلان التي منها مجول والدريعي ، فقد اغار (بنية) هو وفرسانه على ابل للرولة ، وأخذوها ، ولحقهم الدريعي ومجول ، كما تمنى الشاعر بصري الوضيحي ، ومعهم فرسان من قبيلة الرولة ، ليخلصوا الابل من شمر ، ففكوا الابل ، وراحوا يطاردون الجربا ، وفرسان شمر ، وقد حمي الوطيس بينهم ، ويقال ان الدريعي بن شعلان ضرب فارساً من فرسان شمر بالسيف ، وطار رأسه من على منكبيه ، وعندما رآه الشاعر

---

(١) كناية عن صغر ثُديّهن .

بصري الوضيحي . دهش من هول الضربة ، فولى هارباً ، وترك قومه . وقد دافع ابطال شمر دفاعاً بطولياً . وتخلصوا من فرسان الشعلان . وعندما وصل (بُنَيَّة) الجربا مضارب عشيرته ، كان غاضباً على بصري الوضيحي . لما رآه من جبنه . وفراره .. فدعـاه ليحقق معـه وليؤنبه . على فراره ، وعندما سأله أجاب الوضيحي بهذين البيتين على بحر وقافية الأبيات التي قبلها

أنَا بلايَهْ لأَبِسِيْنَ القِطَانِــيْ
اللِّي يِخلوْن المخالِفْ بِطيْعي
منْ فُوْقْ قبٍّ مكْرِمات سمانِي
يِشْدنْ شِياهِيْن تخطَّفْ مرْيَعِي

وبعد ان سمع كلامه . حكم عليه ان يغسل جواده بالصابون ثلاث مرات ، بين فرسان شمر . ليطهر جسمها ، لانه لا يستحق ركوبها . وكانت هذه الفرس من الخيل الخاصة (لبنية) الجربا : ثم قال فيهم احد شعراء شمر المسمى ابن قويفل :

يا مُزنة غرًا تقافَى رعَدْها
تِمْطِرْ على دار الدّرِيْعِي ونايِفْ

خلَّه على الوِدْيانْ تِذْهَبْ ولدها

بِدْيارْ مِكدِيْنَ الْمْهَارَ العَسايِفْ

تمْلاَ الخَبارِي لِلدرِيْعِيْ يرِدْها

بِقْطْعَان عجْلات على الْمَا ، زَهايِفْ

يا ذِيْبْ يا شاكٍ مِنِ الْجوع عِدْها

كان انْتْ لرماح الشَّعالِيْنْ ضايِف

تَلقى الْعَشا صفْراً صِخِيْفٍ جسدْها

مِنْ كفّ سِتْر مْعطرات العطَايِف

وكمْ سَابِقٍ بِالْكَف عاقوْا جهدْها

مِضْرَابَها بِالْجُوْف ما هو مْسَايِف

مِنْ كفّ شغْمُوم ورَدْ مِن هدَدْهَا

أَو شَايِبٍ شيْبِهْ مِن الْخَيْل هَايِف

كمْ قالةٍ قَفَّوا بِها مَا بعدْها

رَاحْ يْتُولاها الدّرِيْعِيْ ونَايِف

حالُوا وراها ودُوْنَها هم لِددْها

وقد عوَّضوا طِلاَّبَها بِالْحسايِف

تنشّبتْ محدٍ[1] بِحلِّلْ عَقَدْها
ومِنْ دُونَها يِرْوُوْن بِيْضَ الرهَايِف

ثم قال فيهم ابن قويفل ايضاً هذه القصيدة وذكرهم جميعــاً :

اللِّي يِكَفُّونَ الشَّوارِبْ بالايْمَــانْ
هبيْتْ يَاحَظٍ تَنَحيْت عَنْهُــمْ
أَقْفَيْتْ عَنْ رَبْعِكْ عْيَال ٱبِنْ شِغْلانْ
اللِّي كِما شَلْ الـــرُّوَايا طعَنْهُمْ
ما يْنِتخُون إلاَّ بِعلْيَا وعَلْيــانْ
وانَّ حَلّ ضَرْبَ مْخَلِّصٍ جِيزْ مِنهُمْ
لَبَّاسةٍ عِنْد المِظاهِيرِ شيْلاَنْ
صديق عِيْنِك ما يِطيح بِحضْنهُمْ
نزْل الخَلاَ ما هُمْ فَراقيْن سكسَانْ
مَا سقْسقَوْ[2] للْعَنْزْ تَتْبعْ ظعْنهمْ

(١) محد : ما أحد .
(٢) السّقْسَقة كلمة تُدْعى بها المعزى : سِقْ ، سِقْ – وتكرّر .

قطعانهُمْ وِانْ شرّقَتْ تقل غزْلاَنْ
وِانْ غرَّبتْ مثْلَ الْبَرْدْ هاكْ عَنْهُم [1]
الْقلْب ما يَنسي طوِيْليْن الايْمَانْ
اللِّي يِقزُّونْ الْعدُو عن وطنْهُمْ

وقد قيل في آل شعلان اشعار كثيرة ، ولهم تاريخ حافل بالبطولات والكرم الفياض .

ونرجع إلى الشيخ خلف الأذن ، فالمذكور عاصر ثلاثة من ابناء عمه آل نائف ، الذين فيهم الرئاسة ، وهم صطام الحمد ، وفهد الهزاع ، والنوري الهزاع ، وقبل هؤلاء المشائخ ، وفي مطلع ، شبابه كان قد ادرك آخر حياة الشيخ فيصل بن نائف الشعلان شيخ قبيلة الرولة ، وغزا معه مرة واحدة ، قتل فيها الشيخ العواجي ، وكان هؤلاء المشائخ لم ينسجم معهم خلف الأذن ، ودائماً والخلافات قائمة بينهم ، والسبب لذلك هو شخصية خلف الفذة ، وطموحه وشجاعته ، فأبناء عمه الرؤساء يأمرون أحياناً بأوامر لا يستسيغها ، ويرفضها ، ولذلك فهم يحقدون عليه ، وليس باستطاعتهم ان ينفذوا اوامرهم عليه بالقوة ، لانه لا يمكن ان يتجرأ عليه أحد ، ثابت الجنان ، وشجاع فذ ، وصارم

(١) هاك عنهم : ينطق الكاف قريبة من مخرج السين . والمراد هناك هكذا عنهم .

فتاك ، ويلتف حوله ابناء عمه آل زيد ، وكلهم ابطال ، ومن ناحية أخرى ، فهم يحترمونه لهذه الخصال التي ذكرناها . ويذخرونه للملمات ، لانه برز بشجاعة ، وتفوق بفروسيته . وجندل من اعدائه عدداً كبيراً ، وكان لا يقتل الا الفارس الذي له شهرة ، وقد قتل عدداً من شيوخ القبائل ، وسوف نأتي بذكرهم ، وبعد أن قتل هؤلاء المشائخ سمي بأبي الشيوخ . أي قاتل الشيوخ ، ولا زال معروفاً بنجد بهذا الاسم ، فاذا قيل الشيخ خلف الأذن ، اضافوا اليه أبا الشيوخ .

وفي عهد مشيخة صطام بن شعلان ، اغار الشيخ تركي بن مهيد ، شيخ قبيلة الفدعان ، على ابل عائلة الزيد الشعلان . وهم غائبون عنها ، واخذ ابلا كثيرة منهم ، ومن ضمنها ابل ابن عم خلف الأذن ، المسمى (عرسان ابو جذلة) آل زيد ، وهذه الابل مشهورة بنجد ، وتسمى (العنْليْ) والوانها وضح أي بيض ، وقد تأثر عموم الشعلان لهذا الأمر ، الا ان الشيخ صطام بن شعلان رئيسهم يعارضهم بذلك ، لأنه مصاهر للشيخ تركي بن مهيد ، وزوجته تركية اخت الشيخ تركي بن مهيد ، ولا يحب ان يقع بينه وبين اصهاره خلاف ، ويود ان يفاوض تركي بن مهيد ، ويحل القضية حلا سلمياً ، ولكن تركي بن مهيد رفض كل عرض عرضه صطام بن شعلان ، وتأزمت القضية ، واصر خلف الاذن ، وابن عمه عرسان ابو جذلة وبقية آل زيد على أن يأخذوا ثأرهم من ابن مهيد بالقوة .. واخيراً انضم اليهم عموم آل شعلان ،

وانضم اليهم عموم مشائخ الرولة ، وقد تحير في الأمر الشيخ صطام ، لأنه يكره ان يهاجم صهره ، الشيخ تركي ابن مهيد ، بصفته هو رئيسهم ، وان لم يعمل بذلك فليطلبوا من النوري بن شعلان ان يقودهم لمهاجمة تركي بن مهيد ، واخذ الثأر منه ، واسترجاع الابل المذكورة ، ولا بد من تنفيذ احد الأمرين .. وعندما أتوا الشيخ صطاماً وعرضوا عليه ما قرروه ، وعرف ان الأمر جد ، وكان الشيخ صطام من أدهى الرجال وا ذكاهم ، ومن احذرهم واحذقهم وكان مخفياً لأسراره .. وقد قال به ابن عمه محمد بن مهلهل بن شعلان قصيدة هذا بيت منها :

يمْشي مع الضَّاحيْ وِيْخفي مُواطيْهْ
ويكْمَى السحابَة وِانْتْ تُوْحيْ رَعَدْها[1]

بعد ان لاحظ تصميم عموم آل شعلان ابناء عمه ، قرر أن يكون معهم ، وأن يكون زخفهم بالصباح ، وكان ابن مهيد على مقربة منهم ، وأرسل شخصاً بصفة سرية لينذر ابن مهيد ، ولكن ابن مهيد عندما وصل اليه الرسول واخبره بكلام صهره ، صطام قال له ارجع الى صطام ، واخبره بانني لست ممن يقعقع له بالشنان .. فلن ابرح مكاني هذا

---

(١) مبالغة في حفظ الأسرار والا فأي أثر لا يبين في الرمل وهل تخفى السحابة عندما يدمدم فيها الرعد؟ . وتحمل الأشعار الشعبية من مثل هذا البيت أفانين شتّى .

حتى اردهم خاسرين ، وكان شجاعاً ومقداماً ، وقد سبق السيف العذل ، وحصل الهجوم الكبير ، من قبائل الرولة ، وظهرت كراديس الخيل ، وفي مقدمتهم فرسان آل شعلان ، وأولهم النوري الهزاع ، وخلف الأذن ابا الشيوخ ، وحصلت المعركة ، وحمي الوطيس ، وكان تركي بن مهيد لابساً درعاً وخوذة ، وقد وقف بالميدان موقف الأبطال ، وعجز الفرسان ان يتغلبوا عليه ، وقد اختار خلف الأذن تلا عالياً ووقف عليه ، على صهوة جواده ، المسماة « خلفة » ولم يشترك بالمعركة ، الا بعد ان لاحظ عجز الفرسان عن التغلب على تركي بن مهيد ، عندها انقض عليه ، واختطفه من فوق ظهر الجواد ، وترجل به على الأرض ، وضربه بسيفه (شامان) على انفه ، الى ان طار انفه ، وتركه وراح يطارد بقية الفرسان ، بعد أن قال لمن حوله من فرسان قبيلة الرولة : ان هذا تركي بن مهيد ، وقصده من ذلك ان يقتله من كان حاقداً عليه ، وقد تداعى عليه فرسان الرولة ، وقتلوه وكان خسارة كبرى على قبيلة الفدعان ، وهو من اشجع الرجال ، وكان يضرب به المثل بالكرم الحاتمي ويسمونه « مصوت بالعشا » اي انه بعد المغرب يأمر احد رجاله فيعلو مرتفعاً من حوله ، ثم يرفع صوته منادياً ، من كان يريد العشا فليتفضل ، هذه من خصال المرحوم الشيخ تركي بن مهيد وبعد انتصار الشعلان ، وقتلهم ابن مهيد ، واخذهم جميع امواله ، واموال قبيلة الفدعان ، واسترجاع الابل (العلى) ، ابل (عرسان ابو جذلة) ابن عم خلف الاذن قال خلف

هذه القصيدة ، مفاخراً بها ، وملمحاً بها عن الموقف :

حنا عصيْنا شيخنَا مــنْ جهَلْنا
الشّيْخْ شيَّال الْحمُول الثقيلــهْ

وأرْخَصْ غلاهُم واشْتري بِه زعلنا
اللهْ يِمهِّلْ بِه سنِيْنٍ طِوِيْلِــهْ

وانا اَحْمِدَ الله طَارْ عنّــا فِشلْنَا
جعَل مِصبه فوْقَ رَاسَ الغَلِيْلِــهْ

إنْ قِدّمٍ الْمَركَبْ وِعِنْدَه حَقلْنَا
كَمْ رَاسْ شِيْخٍ عَنْ كِتُوْفِهْ نِشِيْلِهْ

هٰذِي فْعُوْل جْدُودِنَا هُمْ واهْلَنــا
بِالسّيْف نِقَدّي تَايِهِيْنَ الدّلِيْلِــهْ

مَا نَنْعشِقْ لَلْبِيْض لُوْ ما فعلْنا
ولا تِلْكِدْ بِعْقُوْبِنَا كِــلْ اَصِيْلِــهْ

وعندما علم محدى الهبداني الشاعر المشهور، بمقتل الشيخ تركي بن مهيد ، وكان محدى الهبداني من اصدقاء والد تركي، الشيخ جدعان ، قال هذه القصيدة يتوعد خلفاً الأذن بأخذ الثأر :

يا خلف الآذَانْ بالِك تَغبّا

يِذْكرْ لِنَا عِنْدكْ قِعُوْدِ جلاَبَهْ

بالْحَرْبِ عِنْدي لَك خمُولٍ تْعَبا

وِبِيْني وِبينْكَ يالرّوُيْلِي طْلابَهْ

انْ ما خَذيْنَا الثّارْ وَالاّ نْهَبّا

وِيبْقَى علِيْنَا عِقْبْ تِرْكِي جَنابَهْ

نَصْبِرْ ولا بِدّ الْهبايِبْ تِهِبّا

وِنجِيْك فُوْق القِحْصْ مِثْل الذيَابَهْ

نريْدْ ثارَ اللّي بِبطْنِك مْسَبّا

شِيْخَ الشّيُوخَ اللّيْ عزِيْز جِنابَهْ

فأجابه خلف الأذن بهذه القصيدة :

كانَ اَنْتْ يَا مِخْدَى لِعِلْمِي تَنَبّا

عِيْبٍ عَلَى اللّيْ مَا بِثَمّن جِوَابهْ

اَنشِدْ وِتِلْقَانِي عَلَى سَرْجْ قَبّا

مَعْ سِرْبة الآذانْ وِالاّ الشّيابهْ

قِب لِعَضْمِيْنَ الشَّوارِبْ تْرَبّى

يَامَا غدَا بِظْهُورِهِن مِنْ طلاَبَـهْ

كمْ شِيْخ قُوْمٍ مِنْ طَعَنَّا تِكَبّـا

وعدُوّنَا سِمْ الأَفاعِيْ شَرَابَـه

أَشْبِـعْ غيالِكْ جِعْلْ قِيْلِك يْهَبَّا

شَاعِرْ نَوَر تَلْعَبْ عَلَىَ اْبُو عَتَابِـهْ

لَوْ أَنتْ مِنْ حِصْنَ الرَّمَك ما تْشَبَّا

مِنْ عِذْرَةِ الساجُوْرْ واللِّي رِبابَـهْ

ومن الصدف الغريبة ان محدى الهبداني، غزا قبيلة الرولة مع غزية من قبيلة الفدعان ، وهاجموهم ، واخذوا منهم عدداً من الابل ، وهبت قبيلة الرولة لتخليص ابلهم ، وفعلا هزموا فرسان قبيلة الفدعان المغيرين ، وخلصوا ابلهم ، واسروا عدداً من فرسان الفدعان ، ومن بين المأسورين (محدى) الهبداني ، أسره أحد فرسان الرولة ، واخذ جواده منه، وكان محدى الهبداني صديقاً للشيخ محمد بن سُمير شيخ قبيلة (ولد علي) من عنزة ، وبعد ان علم بذلك خلف الأذن ، ارسل الى محمد بن سمير هذه القصيدة :

يا رَاكِبِيْن أكْوَارْ حِيْــلٍ عَرامِيْس
يَقْطَعْنْ مِيْذْ مْساهِمَاتَ الْحِزُوِيْ
حِيْلٍ تِذِبْ أكْوَارها بِالنسَانِيْسْ
يَا حِلْوِ مْرواح النِّضَــا عِقْبْ نوْمِيْ
إنْ رَوَّحَن مِثْلَ الحمَامَ الْمِمارِيْسْ
ركَّابِهِن مَا يْستِضِفّ الْهِدُوْمِــيْ
صِبْح أرْبَع في غِيْبة الجِنْ وآبْلِيْسْ
يِلْفِنّ لِبْيُوت الرّفَاقهْ لِزُومِي
يِلْفنّ مِحمَّد زَبْنْ خِيْل المَراويْس
الوايلي زَبْن الحصَانَ الْعُزُومِــيْ
قِل لِهْ ترى حِنَّا خَذيْنا النَّوامِيْسْ
بِسْعُود مُوْلانَا قويّ الْعِزُومِــيْ
وتْجَارتِكْ يَا شِيْخ ضاعتْ مْنَ الْكِيْسْ
تِفَرَّقَت لِمْقَطِّعِيَن الْخُرُوِمِيْ
وَراحَنْ غْلَيْمات الْهِبَيْدِي بِسَابِيْس
خَلّوْه بِقيَاعِ الشَّجَرْ تِقِلْ بُومِــيْ

كَيْفَ الوَهَمْ يَرْمِيْ عَرُوْدَ الْقَرانِيْسْ

ما بِهْ صُوَاب وعَـاجِزٍ لاَ بِقُومِيْ

عَاقُوه ربْع يِبِغْدُون الْمَناطِيْسـنْ

أَهْل الْمهار مْنَزَّحِيْن الْخُصُومِـيْ

وانْ جَا نهـارٍ فِيْه جذْعَ الْملابِيْسْ

يا بِنْتْ عَنْ مِثْله هاك الْيُوم شُوْمِيْ

وحيث ان الخلاف بين خلف الاذن والشيخ صطام ابن شعلان لا زال قائماً ، وبالرغم مما بينهم من جفوة ، فعندما حصل بين الشيخ صطام بن شعلان ، وبين مشائخ بني صخر خصام أدى الى ان زحف عليهم صطام ، بقبائل الرولة من الأراضي السورية ، وكان مشائخ بني صخر مع قبائلهم بأراضي البلقا ، والسبب لذلك ان آل فايز رؤساء بني صخر ، اخذوا ابل النيص عبد ابن شعلان ، بطريق الغدر ، ومشائخ بني صخر كانوا أعداء الداء للشيخ خلف الاذن ، فقد اعجبه تصميم ابن عمه صطام على زحفه على بني صخر ، وكان به شيء من تحقيق رغبته وقد حصلت المعركة بين آل شعلان وبني صخر وهزم بنو صخر وشردوا عن بلادهم ، وبعضهم هرب إلى جهات الغور ، وفي هذه المعركة قتل خلف الاذن عدداً من مشائخ بني صخر ، ومن

المعروفين منهم الشيخ طه ، والشيخ مناور ، والشيخ سطعان ، وقد قال خلف الاذن بهذه المعركة قصيدتين ، الأولى اثنى فيها على الشيخ صطام بن شعلان ، رغم ما بينهما من الجفوة ، ولكنه كان راضياً عنه ، لانه شفى غليله من اعدائه آل فايز ، وآل زبن رؤساء بني صخر ، وهذه القصيدة الأولى :

عيًا الفهدْ ، ما كلَّ الاشْوار طاعَهْ

قصَّارْ مِنْ شَارِبْ خصِيمِهْ لِيا زَادْ

مِنْ صَافي البَالُوْد فِيْــه القِطاعَهْ

وِفْرَاصْ بُولاد الدّوَلْ هُم والأَكْرادْ

علْمَانْ زاع ، وسمّح الله ذِرَاعَــه

قَوْطَرْ يِهِزَّ الرّيْشْ مِنْ غِيْرْ قــوادْ

بِيْن (الفِديْن) وبِيْنْ (بُصْرى) مِزاعِهْ

غضْبٍ عَلَى شبْلي ، وعَسْمٍ على طْرَاد

نبِيْ نْدورْ اغْويسْ راع البِيَاعــهْ

إنْ جَوْ مْن الْكرْوهْ عَلَى الْملْحْ مدَّادْ

يَا غْوَيِّسْ لَكْ عنْديَ بالايامْ سَاعَهْ

يُوم يِعيفْ سابِقكْ كِلَّ الافْــوادْ

اللِّيْ نحرْ (خَوْران) حَطَّ الرّتاعه

واللِّي تِقلع مِنْ وَرا (الهيشْ) مِنْ غاذْ

أَبا الظُهُوْر اللِّي يحَفْظَ الْوِدَاعـهْ

مِثل صِباح آرْمِيْخْ والطرْشْ ما قَاذْ

سِرنا عـلَىَ نَزْلٍ تَلافَحْ رِبَاعِـهْ

لِلطَّرْش قهَّارٍ ولِلِّزِلْم جَـلاذْ

باْوْلاذْ عمٍّ كل آبُوهُم جِمَاعَـهْ

عَادَاتَهُمْ بِالْكوْنِ ضكَّات الاضْداذْ

كمْ سابِقٍ جِتْنا بِالايْـدِيْ قْلاعـهْ

وكمْ راس شِيْخ طاحْ بِسيُوفَ الاوْلاذْ

وِقْطعَانِهُم صارتْ لِربعِي طِماعـهْ

وقِمْنا نْعَزِّل بينِنَـا شقْح الاذْواذْ

اما القصيدة الأخرى ، فقد ذكر فيها مقتل الشيوخ من بني صخر ، وقال: انكم يا بني صخر شجعان ، وكرماء ولكنكم تمتازون (بالبوق) والغدر والخيانة ، وهذه صفات غير محمودة بين العرب، ثم قال: ان جديكم فرج ، واسعد ، عثر حظهم وما افادوكم رغم انكم تتباركون بهم ، وهاهم

شيوخكم قتلى على الارض ، ولم ينجدكم اجدادكم ، وهو يقصد من ذلك ان بني صخر كانوا يعقرون العقائر على قبور اجدادهم ومنهم فرج واسعد ، ويتباركون بهما ، ويدعونهما بالملمات ان يفرجوا كربهم، ويستنصرون بهم على اعدائهم ، وهذا شرك ولا شك فالمعين هو الله سبحانه وتعالى ، وهذه هي القصيدة :

يَا زْمِيْح لَوْلاَ البوْقْ مَا انتمْ رِدِيِّيْن
بِذبْح الْعدِيْمْ وصبُّكُم لَلادَامِــيْ

يارمِيْخْ وِضْح النِّيْصْ ما عَقَّبْن شِيْن
هِنْف الْخشوْمْ ونــابِيات السَّنامِيْ

بِنْيتْ بيُوْت الْحَرْبْ حد (اللَّبابِيْنْ)
وِشقْحٍ تنــازَى بِالمشاتي مِظامِــيْ

وثارَ الدّخَنْ مَا بينْ كِلَّ الْقِبْيلِيْن
بِمْزْربط يِكْسر مِتِيْن الْعِظامِيْ

وِجِبْنا حلِيَّ الرِّيْشْ زِينٍ عَلَى زِيْن
وبِنْتَ الشِّيُوخ تِصدّغِهْ بِالْخِزامِــيْ

وطه ومْنــاوِر والشُّيُوخَ المِسمّيْنْ
ذبَّاخْهُم مــا هُو بْحال الاثــامِيْ
يَا ذِيبْ صوّتْ للنُّسُوْر المُجْيعِيْن
ازْع الشيُوخ مجدّعــهْ بِالْكَزامِي
وفرَج مع اسْعدْ لايعُوْهُم شياطِيْن
ويا زْمَيْخ حظّاً اجْدودكم بانْخدامِيْ
جوكمُ هل (العْليَا) عِيَال الشَّعالِيْن
فُوْق الْمْهَارِ مْثورات العسامِيْ
يامَا فِجوْا غِرَّاتْ بذْوِ عزِيْزيْــنْ
ويامَا وِقْع بِنْحُوْرهُمْ مِنْ غْلاَمِــيْ
علَى طرادَ الضَّدْ يَا زْمِيْخ قاسِيْن
وِ مكلّلِيْن اسْيُوفهم بِالْهوامِيْ
دِجْنَا بِوسْط اذْيارِكُمْ يا مِسَاكِيْنْ
ومِنَّا تِقَلَّدْتُمْ قِلُوب النِّعـامِيْ[1]

(١) كناية عن الذل ومنه البيت المشهور :
أسد علي ، وفي الحروب نعامة
فتْخاء تنفر من صفير الصافر

تِقلَّعوا لِلْغُوْر يَمّ العداوِينْ
وعْيُونْكُم وِنْ همّنا ما تنامِيْ

وبعد هذا لم يترك شيوخ بني صخر خلف الاذن ، بل اخذوا يتربصون به ، لعلهم يأخذون ثأرهم منه ، لانه ذبح عدداً من شيوخهم ، وكان من عادة الشعلان اذا رحلوا من نجد إلى الأراضي السورية ، لا يمشون مجتمعين بل كل عائلة منهم يكون معهم قسم من قبيلة الرولة ، وكان من عاداتهم ان أول من يتقدم بالمسيرة هم عائلة آل مجول ، ومعهم قسم من الرولة ، ثم عائلة المشهور ، ومعهم قسم ، منهم ثم عائلة آل نائف الرؤساء ومعهم قسم منهم ، ثم عائلة آل زيد ، ومعهم قسم منهم ، وهذه العائلة هي عائلة خلف الاذن ، وكان شيوخ بني صخر بقيادة الشيخ طراد بن زبن ، قد فهموا عنهم هذه الطريقة في المسير فكمنوا في موقع قرب آبار ميقوع ، المنهل المعروف في وادي السرحان لأخذ الثأر من خلف الأذن ، وقد استنجد طراد ن زبن بفرسان قبيلة السردية ، بقيادة الشيخ الجنق ، ومعه الشيخ شلاش بن فايز ، وشلاش المذكور شجاع مقدام ، وسمى الضهان أي انه يضمن ابل قبيلة بني صخر من الأعداء، اذا كان حاضراً عندها ، وعندما قرب خلف الأذن من الماء المذكور ، في طريقهم الى سورية ، سبقتهم الابل لتشرب وكان الشيخ خلف على إثرها بالظعينة ، ومعه ابناء عمه آل

زيد ، ومن معهم من قبيلة الرولة ، وكان كل واحد منهم على هجينه مستجنباً جواده ، آمنين وهم يتقدمون الظعائن ، وقد مروا بنسر قشعم ، نازل على الأرض ، وعندما قربوا منه راح يمشي على رجليه عاجزاً عن الطيران ، من الجوع فالتفت اليه خلف الأذن ، وقال كم اتمنى لو يكون معركة ، قرب هذا النسر العاجز عن الطيران ، من شدة الجوع ، ليعتاش من القتلى . ليطير ، فضحك رفاقه ، وبعد مضي دقائق من كلام خلف . اشرفوا على آبار ميقوع ، واذا بالخيل قد اخذت ابلهم . وحالت بينهم وبين الابل ، فنزلوا عن هجنهم ، وراحوا يلبسون دروعهم وركبوا خيولهم ، واغاروا على الفرسان الذين اخذوا ابلهم وتبين لهم انهم من بني صخر ، وآل سردية غرمائهم المشهورين ، وقد حمي الوطيس ، ودارت رحى المعركة بضراوة ، وكان يوماً عبوساً ، وبعد عناء طويل ، خلص الشعلان ابلهم من العدو ، وراحوا يطاردونهم ، الى ان قتل خلف الاذن الشيخ شلاش ، ثم قتل الشيخ الجنق ، اما الشيخ طراد فقد نجا ، لان جواده كان سريعاً جداً ، فلاذ بالفرار . وعجز الشعلان عن اللحاق به . وقد غنموا خيولا كثيرة ، وقد انتصروا انتصاراً رائعاً على بني صخر ، واعوانهم ثم قال خلف الاذن هذه القصيدة بعد انتصارهم :

الله ياكُوْن جرى عِنْدْ ميْقُــوْعْ

كُوْنٍ ينَشرْ بهْ غيَاراتْ واقْماشْ

يُوْمْ الْتهِيْنَا نلْبِس الْجُوْخْ وِدْرُوْع

واغْرضْ لنا الطَّابُوْر مِن دُوْن الادباش

المنع يا ركَّـابة الخيْــلِ مَرْفُوْعْ

بِن نِيْشْ باطْراف الْمِزَارِيْخْ مَا عَاشْ

كمْ راس شيْخ مِنْ تَرَاقِيهْ مَشْلُوْعْ

وَاَوَّلْ سعدْنَا وطيةِ الْحُمُرْ لِشْلاَشْ

والْجنق اخَذْ مِنْ رايب الدَّم قِرْطُوعْ

مِنْ عِقْب شِرْبه لِلقهاوي على فْرَاشْ

خِلِّي عَشاً لِمْهرْفِل الذِّيْبْ مَجْدُوع

والضَّبْعَةَ العرْجَا تِدُورْ بِــهِ اعْراش

والشايِبْ اللِّي قَفْوِنَا يِشْكِي الْجُوعْ

لُو هُو حَضرْنا نَفضَ الريْش واَعْتَاشْ

زيْزُومُهم عِقْبَ الصَّعَالة غدَا طُوْعْ

عِقْب الْهَدِيْر اَسْتَنْفَرَ الذِّيْلْ وانحَاش

وانا على اللِّي تكْسر الذِّيْل مَرْفُوْعْ

تِشُوْش وِانْ سمعَت مع الخيْلْ شُوْباش

لقد تحققت امنية الشيخ خلف الاذن ، حينما تمنى ان تقع معركة ، حتى يأكل منها النسر القشعم ، وفعلا قد سقطت الضحايا على الأرض ، وما اكثرها ، ومن بينها بعض الشيوخ :

اما الشيخ طراد بن زبن فهو لم ييأس ، من اخذ الثأر ، وقد تابع عدوانه على قبيلة الرولة ، ويقال انه غزا وهاجم الرولة في اراضي الحماد ، بالقرب من حرة عمود الحماد ، التي تقع شرقاً من وادي السرحان ، وصادف ان غارته في صباح احد الأعياد ، وقد هزمه الرولة ، وأثناء رجوعه صادفه النوري بن شعلان ، وخلف الاذن ، ومعهم عدد من الفرسان ، فطاردوه ، وقتلوا وأسروا قسماً كبيراً من الفرسان ، اما طراد فقد نجا في المعركة الأولى ، وقد قال بهذه المناسبة خلف الاذن هذه القصيدة :

ياالله يالْمطْلُوبْ يَاعادِل الصاعْ

إنْ كانْ عِنْدِك لِلاَجاوِيْد ثابَـهْ

إنَّكْ تْمشِّينا على درْبَ الاسْنَاْعْ

ياللّي لِداع الْخِيْرْ ما صَكّ بابَـهْ

الضِّرْسْ يِعبالهْ عن السَّهر مِقْلاع

حتي تنام الْعين ما هي طلابـهْ

ياطْرادْ حلُّوا بِك موارِيْث هزّاع
عايدت قُوْم وعايِدُوْك الشَّيابه
صغِيْرهُمْ لُوْ هُو على الدِّيدْ رضّاع
سنهْ شِطِيْرْ يِكْسِر العظُمْ نابـه
ياطْراد راحتْ بِك طِوِيْلاتَ الابواع
والشِّيْب حلْ بِسِرْبِتِك والْتهى به
ووردوْا هل العلْيا كِما وِرْد الاقْطاع
على غدِيْرٍ مـا كِفاهُم شرابـهْ
ذِيْب المْحَيْضِر مِخصب عِقْب ما جَاع
مِكيِّف يِلعب علَى ابُـو عتابه
يِبُونْ جِلْ ابْكارْنا شِقح الأَقطاع
وشرْهوا علَى هاك الْبِيُوت المَهابـهْ
وِصِحْنَا علِيْهُمْ صِيْحَةِ تْبرِي الاوْجاع
وصارتْ قلايِعهُمْ بالايدِيْ نِهـابه
وطِرادْ عِقبِ سيُوفِنا صـار مطْواع
ضاعتْ عزُوِه عِقْب هاك الصعابه

ياما عَملنا الطيْبْ لا شَكٌ بِهْ ضاع
ماشٍ عَلَى دربِ الردا والْخيابـهْ

واردف خلف الاذن قائلا هذه القصيدة :

حِرٌ شلْع مِنْ راسِ عال الطّويلاتْ
لِلصيِدة اللِّي حطّ خمْسِهِ وراهـا
غزٍّ الْمخالِبْ بِالثنادِيْ السمِيْناتْ
وتَلٍّ القِلُوب وبِالضّمايِرْ فَراهَا
يِلعَنْ أَبُوهَاكَ الْوَجِيهَ الرّدِيَّاتْ
أَبْرَدْ مِنِ الزَّرْقـا عَلَى صِقْعٍ ماها
وِفنْخُور أَبُو جبْهه كِبِيْر الْمِطِيْرَاتْ
رجلٍ قِطعْ مِنْ شِقَّتِه واكْتِساهـا
بايِـعْ مِنيْعِهْ بِالثمـنْ لِلحُويْطاتْ
مْنَ العِيْب وافِـر لِحيتِه ما حماها
وابْنْ جْرَيِّدْ من هل الْمقعدِيـاتْ
ما حاشَتْ الصَّفْحه لِعِينٍ ثُواهـا

ياطْراذْ ما عيّت ذُوْد التصيْراتْ
عتْ سُواعدْ لِخْيتكْ مــنْ ر داهَا
أجيْكْ بالــلِّي يذْركون الجمالاَتْ
رَبْعٍ مْعَادينْهُمْ طــوَالٍ خطاها
إلى تنـــادوْا بيبِنهُمْ بالمِثارات
كمْ قالة وَقْفَوا علَى مِنْتهاها
شعْلانْ فاجُوكم علَى الْخيْل عجْلاتْ
فوْق الْمِهار اللِّي تِساعَلْ حِذاهــا

وبعد هذه المعركة ، لم تقم لطراد وجماعته قائمة ، خاصة مع قبائل الرولة .

وبهذه الفترة تولى الشيخ فهد بن هزاع شقيق النوري ، بعد ان توفى الشيخ صطام بن شعلان ، وورث كراهية خلف الاذن عن صطام ، وقد حصل بين خلف الاذن وجماعة من الرولة خلاف ، استفحل الى ان قتل خلف منهم اثنين ، ولم يستطع غرماؤه ان يتجرأوا عليه ، ويأخذوا ثأرهم منه ، عجزوا عن ذلك ، واخيراً توسط الشيخ فهد الهزاع على ان يدفع خلف دية لأقارب المقتولين ، واشترط فهد ان يدفع علاوة على الدية جواده « خلفه » وقبل خلف

ان يدفع ديتين ، ولكنه رفض ان يدفع فرسه « خلفه » ولاحظ خلف من ابن عمه فهد ميلا مع غرمائه ، وانه لم يشترط دفع الفرس « خلفه » الا ليأخذها هو لنفسه ، عندما حصل ذلك وهم بالأراضي السورية ، امر خلف جماعته آل زيد ، بأن يرحلوا لنجد ، وبعد ان تحرك ظعنهم من سورية الى نجد ، ركب جواده « خلفه » بعد ان لبس لباس الحرب ، وجاء الى بيت الشيخ فهد الهزاع ، وكان فهد جالساً في مجلسه ، فوقف على جواده ، امام البيت ، وارتجل هذه الأبيات ، موجهها الى الحارس المقرب للشيخ فهد ، وهو (ابو دامان) وقال :

الْبدوُ عنَّا شرَّقوا يابُو دامــانْ
وكلّ مِن النقْرة تِقَضى حوالِــهْ

إنْ جيْت ملْعُوْنَ الْكِذْيد ابن جَدْلاَنْ
إنْ مَا رضي والله فلاني بِحالِــهْ

أَدخِل علَى اللّهْ يومْ مَكْنُونَها بانْ
ورزِقيْ علَى اللّي سامكات جبالِــهْ

مانيْب انَا وِلْد الْحدبْ وابْن ضبَّانْ
اللِّي يِتالُونِهْ علَى شانْ مالِهْ

ربعي هل الْعليا طِوِيلِيْن الايْمانْ
أهل النَّقا والطِّيْب إنْ جا مِجالِـهْ
مَعْهُمْ بني عمِّي عِيالْ ابنْ شِعْلانْ
يَامَا كلوا مِنْ عينْ قالَهْ وقالَـه
فهُوْد الزَّراج لْيا غشي الجوّ دخّان
إنْ ضيَّعتْ وِضح العشايِر عِيالَـهْ
(خلْفه) مِعَدِّيْنها مع اوْلادْ جِمْعانْ
اللِّي يَعرْفُون الثَّنا والْجِمَالِـهْ
بَاغ عليْها يُوم رُوغَاتَ الأَذهانْ
وكِلٍّ هفا بِه فِعْل جدّه وخالِـهْ
أَلْكِد علِيْهَا واجْعلَ الْعِمرِ ما كَان
والشِّيْخ وِانْ شافنْ يِصِيبِهْ جِفالـهْ
أَنَا عَلَى (خَلْفَه) وبِالْكَفْ (شامانْ)
وكم راسْ شيْخٍ عَنْ تراقِيْهْ شَالَهْ

قال هذه القصيدة ليس مبالياً ، ثم لحق بظعينته ، وقد سكت الشيخ فهد كأن شيئاً لم يكن

هذه من نوادر خلف الاذن وما اكثرها ، وعندما عرف غرماء خلف انه تجرأ على الشيخ بهذه القصيدة ، وعرفوا ان الحق ليس بالسهل تحصيله من خلف ، أرسلوا له صاغرين ، وطلبوا منه ان يدفع دية رجالهم ، بالطريقة المتبعة بين قبائلهم ، وتنازلوا عن طلبهم للجواد « خلفه » فدونها خرط القتاد .

وفي بعض الأيام مرضت جواده (خلفه) واخذ مدة لم يستطع ركوبها فأنشد بها هذه الأبيات :

أَنَا برْجَوى الله وَرْجوَى الْغَبَيّـــهْ
أنا عَلَى رِكْبَه غَشَيْشٍ رعا كِبْسْ

وبالْكَفْ مِن صَنْعِ الْهَنَادي قضِيَّهْ
عَلَيْهْ مِنْ دَمّ الْمِخالِفْ تِقِلْ دِبْس

أَجي مع أوَّلْ سِربةٍ مِرعضيَّـــهْ
وَاصيْر بِنْحُورِ النَّشَامَىْ لِهُمْ حِبْسْ

قِدام رَبْعٍ كل ابُوْهُم دِنِيَّـــهْ
الْكِذْ مَلاكِيْدٍ لِفارِس بني عَبْسْ

اللهْ عَلَى يُـــومٍ ضحاه اغْشِوِيَّـــهْ
عَج السَّبَايا في نهَارِه تِقلْ قِبْسْ

قلبيْ علِيْهُمْ وارِداتِ دلِيّــهْ

والْكبدْ مِن ضيْم الرِّفَاقهْ بَها يِبْسْ

ولا بد للقارىء ان يلاحظ آخر بيت في القصيدة حيث يقول :

قلبيْ علِيْهم وارِداتِ دِليــه

والْكبدْ مِنْ ضِيْم الرِّفاقة بْها يبْس

فهو بذلك يشير الى الشيخ فهد ، لانه يشعر بحيفه عليه ، ولذلك فهو يحس بالضيم منه ، لقد طالت الكراهية والجفوة ، بين فهد الشعلان ، وابن عمه خلف الاذن ، الى ان اخذ خلف يبتعد عن الشيخ فهد ، حتى تولى الشيخ النوري الشعلان رئاسة قبائل الرولة، واستمر الخلاف والكراهية بينه وبين خلف الأذن ، وعندما رأى خلف ان الشيخ النوري بن شعلان يبتعد عنه ولا يأخذ الرأي منه قال هذه القصيدة :

يا شِيْخ يا شِيْخ الشُّيُوْخ ابِنْ شعْلانْ

عِنْدك صِلِيْب الرايْ ما تِسْتِشِيْرِهْ

خمْسِيْن سيْف ما يِسِدِّنْ بِشَامَانْ

خلِّهْ لِعَجّاتِ السَّبايا ذِخِيْــره

إنشِد هل الْعادات ذرْبيْن الايْمانْ

ويِخْبرْك عنِّي مِـن يَعرْفَ السّرِيْرهْ

إنْ ثار عَج الْخِيْل في كِل ميْدان

تِلقى عِلومِيْ يابْـن عمي كِبيْره

أَقْلِط عَلَى الفارِسْ بِرُوْغَات الاذْهان

واخُوْضْ غِبَّات البحور الخطِيْرهْ

أَشِيلْ رَاسه مِنِ مِزابِيْرَ الامْتَـانْ

ولا عاذْ يِذْكر كِل شره وخِيْـره

السِّيْفْ يِشْهدْ لِي ويِشهد لِي الزان

ويِشْهَد بِفِعْلِي مِنْ سَكنْ بِالْجزِيْره

ما يِخْتِفِيْ فعْلٍ تِقفـاهْ بِرْهَانْ

والعَيْنَ ما شَافَتَ بليّـا نِظيْره

رِبْعي هلِ العَلْيَا اْليَا ثَار دَخّانْ

مِثْل الزِّمْوْل اللِّي تِقاصفْ هدِيْـرهْ

إن ردِّدَوا بالْكونِ عليـا وعليّان

حرِيْبِهمْ تِرْجعْ عِلُومِه صْغِيْـرهْ

رِبْعٍ عَلَى جِرْد الرَّمِكْ شانهُمْ شانْ
وِيِرْعُون بِخدُوذْ النَّمشْ كِلَّ دِيرهْ

وقد تطور الخلاف حتى ان احد ابناء خلف الاذن المسمى ذياباً اطلق النار على النوري ابن شعلان والأسباب هي كما يلي:

ادعى الشيخ النوري ان خلف الاذن تعدى على شيء كان بوجهه ، وأخذ يطالب خلف الاذن بارجاعه ، وخلف أصر على العصيان ، ثم جاء النوري ومعه جماعة على خيولهم جاء الى خلف وهو في بيته ، ولم يكن عنده احد من ابنائه ، أو أبناء عمه ، وقد وصل اليه النوري بدون ان يشعر به ، وغير متأهب له ، فوقف النوري على جواده ، بالقرب من خلف ، وأخذ يوبخ خلفاً ويتهدده ، وكان ابنه منتحياً بعيداً عن البيت ، ولكنه عندما رأى الخيل واقفة بالقرب من بيت أبيه ، ولاحظ ان الرجال الذين على ظهورها لم يترجلوا وانهم مسلحون فقد ارتاب منهم وجعل البيت بينه وبين اهل الخيل ، متقياً به ، واسرع الى ان دخل البيت ، من خلفه ، وتناول بندقيته ، وسمع توبيخ النوري الشعلان لوالده ، وكان والده بغاية من الحرج فظهر عليهم من البيت وعندما ابصره والده ناداه ناخياً له ، وقال اذبح الرجال يا ذياب ، فأطلق النار على النوري مصوباً البندقية الى جبينه ، ولكن الطلقة اصابت عقال النوري من فوق رأسه ، فولى النوري على جواده مسرعاً ،

واتبعه رفاقه ، ومر بخيل خلف الأذن وأولاده ، وهن يرعين بعيداً عن البيت ، فأخذهن وذهب بهن ، وعندما اراد ذياب ان يلحق بالنوري مسلحاً ، قال له ابوه لا تلحق بالنوري ، لاننا لا نحب مداماة ابناء عمنا ، ويمكن ان نسترجع الخيل بطريقة اسهل من هذه ، وعندما وصل النوري الى بيوته ، ارسل بعض خدامه بالخيل التي اخذها من خلف الى خيوله، لترنع معهن، وكان ذياب بن خلف قد لاحظ ذلك عن بعد ، وعندما رأى خدم الشيخ النوري ذهبوا بالخيل ، تقدم قبلهم واخذ لهم الطريق الذي يمكن ان يسلكوه ، هذا وهم لم يشعروا به ، وعندما قربوا منه رفع رأسه اليهم ، وقال هل تعرفوني ؟ قالوا نعم انت عمنا ذياب ، وكان مشهورا بالشجاعة ، وباصابة الهدف ، فقال لهم اقسم عليكم بالله ، ان تنزلوا مع مؤخرة الخيل مرغمين ، واذا حاول احد منكم ان ينزل مع جنب الجواد ، فسيلقى منيته ، فاعتمدوا اوامره ، ونزلوا مع مؤخرة الخيل وذهب بها لوالده خلف ، وبعد هذه المشكلة ، ابتعد خلف عن النوري ، وبقي اكثر من ثلاث سنين لم ير النوري ولم يجتمعوا بمنزل وقال هذه القصيدة :

الْبارِحَهْ والعِيْنْ عيت تِغَفِّـــي
عَيتْ تِذوْق النـوم لا وَاغلِيْلَهْ

النارْ شبت ما لِقت مِن يِطفِّي
اَوْجِسْ علَى كبْدِي سواة الْملِيْلـــه

تِبَينت ما عاذْ فِيْهـا تخفـِّيْ
ومنْ ربعنا شفْنا بالايَّامِ عيلـهْ

خسرانْ منْ يَتْبعْ رِفيق مْقفـي
والْقلب يِجفلْ كلْ مَا شافْ ميلهْ

ما ينْفع الخايِفْ كثير التخَفي
واللِّي قسم لِلْعَبْدْ لازم يِجِي لـهْ

كمْ سرْبةٍ خلَّيْتها تستْخفِّيْ
وارويْت عطْشان السِّيُوف الصقيْلهْ

واقلط علَى اللِّي بيْن ربْعهْ مْشفيْ
والْخيْلْ منْ فْعَلي تزايدْ جِفيلـهْ

يَالله لا تْقطعْ مْرادي بِشفِّي
صفْرا صهاة اللوْنْ تنهضْ شليلـهْ

ومْخضّرٍ صَنْع الْعَجمْ ما يِعفِّيْ
الرَّاس منْ فوْقَ المَناكب يِشِيلـهْ

ومزرَّجٍ يَالْقرمْ يصلحْ لِكفِّـي
منقِّيْهْ من سبع الْكعوبِ الطَّوْيلـهْ

مع ربَعةٍ بِالْبيْت دائم تهفّــيْ
يِجُوْزِ لِلرَّبع النَّشامى مقيْلــهْ
وِ ذْلالْ مَا عَنهِنْ سنا النارْ كفيْ
حميْلهِنْ بالْبِيْت مثل النثيْلِــهْ
وذَودٍ مَغاتِيْرٍ علَى الْحُوْض صفيْ
بِينَ الاباهِر خطَّطوْهِن بِنِيْلِــهْ
معْ بِنْت عمٍّ اصلها ما يِهفّيْ
إن درْهم الْمظْهُور فانا دِخِيْلــهْ

وفي آخر أيام خلف الاذن ذهب الى الأمير سعود بن عبد العزيز بن رشيد امير حائل ، ليزوره ، ويتعرف به ، وكان سعود بن رشيد حديث السن ، وكل الأمور بحايل يديرها الأمير زامل بن سبهان المعروف ، وقد اكرم آل رشيد خلف الاذن الشعلان ، اكراماً جيداً ، وصدفة جاء شاعر من احدى القبائل زائراً لابن رشبد ، وعندما كان ابن رشيد في مجلسه ، وعنده زامل السبهان ، وكان خلف الاذن بين الجالسين ، وكان الشاعر الذي جاء لابن رشيد ايضا جالسا معهم ، وكان زامل السبهان هو كل شيء لابن رشيد ، وهو الذي يتكلم بالمجلس ، التفت زامل السبهان

الى خلف الاذن ، وقال نحب ان تساجل هذا الشاعر ، لنعرف مقدرتك يابن شعلان بالشعر . فغضب خلف الاذن ، واعتبر هذه اهانة له من زامل ، لانه يرى نفسه اكبر وارفع من ان يساجل شاعراً في مجلس ابن رشيد ، خاصة وان هذا الشاعر ليس بمستواه ، فقام من المجلس ، وارسل هذه القصيدة لزامل يهجوه فيها ، ويطلب احضار هجينه ليسافر الى بلاده وقومه بالشمال . وقد حاول ابن رشيد كثيراً ان يسترضي خلف، ولكنه رفض واصر، والقصيدة كما يلي :

زَامِل يِنشِّدْنِي وانا وِيْنْ وِيْنِي
هَبَيْتْ يَا هرْجٍ بْلَيَّا لِبَاقَـهْ

الشِّيْنْ شِيْن وماكَر الشِّيْنْ شَينِيْ
عدُوّ جدٍّ ، ولاَ بِقَلْبك صِداقَـهْ

اللهْ بخُونَكْ كَانْ مـا تِشْتهيْنِيْ
لَو تَحَكِيْ لِيْ بِالْعِلُومِ الدّقَاقَـهْ

غَدِيْتْ مثلْ مْعايِد الْقَرْ يِتِينيْ
لاجِبْت خيْر ولا تبْعَتَ الـرّفَاقهْ

أَنا بلاَيَـهْ مِنْ صِديـقٍ بْطيْنِيْ
بقْعَا تصَفِّقْنِي عَلَى غيرْ فَاقَه

فِنْجَالْ طِيْنْ ولا نْتَ فِنْجَالْ صِيْنْي
تَبْرِكْ مبَارِيْكَ الْجِمَلْ وانْتَ نَاقهْ

إرْخِصْ لَنَا وِارْسلْ لِسَمْحَةُ تِجِينْي
اغْتَاقْ عَبْدِ مِشْتَهِيْنِنْ فْرَاقــهْ

وبعد مدة غير طويلة كان خلف الاذن نازلا في اطراف الحرة التي بين الحماد ووادي السرحان ، وعندما كان نائماً في بيته هاجمهم غزاة من قبيلة شمر ، في منتصف الليل ، وقبل ان يعلموا اطلقوا عدداً من العيارات النارية على خلف ، في فراشه داخل بيته ، فقتل هو وزوجته وهما نائمان ، وكان مريضاً وقد طعن بالسن .،. وهكذا انطوت صفحة (ابــا الشيوخ) ، الفارس المغوار خلف الاذن ، وكان هذا في النصف الأول من القرن الرابع عشر ، وكان خلف الاذن رحمه الله مشهوراً بالكرم ، وحسن الضيافة ، واكرام الجار ، وقد اثنى عليه الشيخ عجلان بن رمال الشمري بهذه القصيدة وبين فيها ان جار خلف دائماً عزيز مكرم وهي كما يلي :

يَا رَاكبٍ حَمْرا علْيها الْهَتيمي
حِطّ القِطيْمِي فُوْق ســاقِهْ وِدارَه

حَمْرا تضِيم الدوْ مــا تستضِيْمِيْ

تَلْقى العَتاري حَاشْيات عِذارَه

مَشْتاه مِنْ (عذْفَا) إلى (امْ الصَّريِمِيْ)

ومِرْبَاعها (اللبَّةْ) تِقَطِّف قرَارَهْ

تمْشي مِن (الَمرْكُوْز) وَقْت الجِهْيمِيْ

والظِّهر حط رْعُوْن (كَبْدِ) يِسَارَهْ

حمْراً وِكنْ ظْلاَلْها له جرِيْمِيْ[1]

تَخطَّفْ (الثَّايَهْ) بِتَـالي نهــارهْ

ملْفَاكْ صيَّادَ الشِّيْوُخ الْعَدِيْمِــيْ

إن ضَيعَتْ شِقْحَ الْعَشَايِر خْوارَهْ

اللِّي قِصِيرْهْ كِلٍّ يُــوم حَشِيْمِيْ

ما يقْهر الرَّخْــلى إلى جــا ، مدَارَهْ

والضِّيْفْ عِندَه فِيْ جِنَانَ النَّعِمِيْ

يِلْقَى الْكَرَامَهْ قَبْلِ يبْدِي خبَــارهْ

---

(١) كأن ظلالها عدو لها .

وِانْ صارْ بِالَمشْتَى لَيــالِ الصّرِيْمِيْ

ذَبَّاحْ نابِيْــة الْقرَا مِنْ بكَـارهْ

وعُوْقَ الْعَدِيْمْ وَلا يَهاب الْغرِيْمِيْ

كمْ فَارسٍ اهْفَـاهْ ما وخِذْ ثَـارهْ

عِيالَ الشِّيُوخْ مْنوّخينَ الْخصِيْمِيْ

يِزِيْنْ طَبْعِهِ عِقْبِ هاك الصطارهْ

وِقِبٌ الى جَا الصِّبْحْ جَالَه رهِيْمِيْ

عَلِيْهنَ الـلِّيْ يذْحمُـوْن السمَارَهْ

وعائلة الزيد مشهورة بالكرم واعزازهم لجارهم ، وقد التجأ عندهم شخص من شمر يقال ان اسمه ابن عدلان وهو مبتور اليدين ، ويقال ان الذي بترهما هو احد حكام آل الرشيد ، وبقي جاراً لهم فترة طويلة ، وكان مستجيراً بالشيخ خلف الاذن ، واخويه ضامن وشاهر ، وقد اعزوه ، واقسموا على انفسهم ان يقوموا باطعام جارهم بايديهم ، وعندما يحضر الطعام لجارهم يأتون بملعقة ويناولونه طعامه ، ويشاركونه بأكله ، وقد اشار عنهم الشيخ (عجلان بن رمال) في قصيدته المذكورة اعلاه : ومما يبدو لي ان نهاية حياة خلف الاذن تشابه نهاية حياة الشاعر الكبير أبي الطيب

المتنبي ، والمكان الذي قتل به خلف الأذن قريب من الموقع الذي قتل به المتنبي ، وفي مقتلهما نوع من التشابه . الا ان خلفا الاذن يمتاز بالشجاعة . وحسبما فهمته من الرواة ان عدد المشائخ الذين قتلهم الشيخ خلف الاذن بحومة الوغى كما يلي :

الشيخ (تركي بن مهيد) من الفدعان
الشيخ (شلاش) بن بخيت بن فايز من بني صخر
الشيخ (الجنق) شيخ قبيلة السرديه
الشيخ (مناور) من شيوخ بني صخر
الشيخ (طـه) من شيوخ بني صخر
الشيخ (سطعان) بن زبن من شيوخ بني صخر
الشيخ (دريبي) من الزبن
وشيخ من آل هذال
والشيخ العواجي

حيث قال احد شعراء الرولة المسمى (مغب الدريعي) هذه القصيدة بالمعركة التي حصلت بين الشعلان ، والعواجي (بنقرة الحيران) وكان قائد الشعلان فيصل بن شعلان وبهذه المعركة قتل الشيخ خلف الاذن العواجي والقصيدة .

حِرٌّ شلعْ يُوْمَ الْبُوَاشِق مخامِيْرْ

عَدْلَ الْمَناكِبْ مِسْفهِلٍّ الْحجَاجِــيْ

شهرْ مِن الْوديانْ وَاسْنَدْ مَع (الشِّيْر)

وفي (نِقرة الحِيْرانْ) صَادَ الْعُواجِيْ

أَيْمنْ مِكَاسِيبه وُطَا (الجُوف) و (صْويْرْ)

وايْسَرْ مِكَاسِيْبه وطنّ (النِّبَاجِــيْ)

بشرْقِيْ جِبال (غْنِيْم) جِبْنَا الْمغاتِيْر

وِضحٍ تَلاعج كنَّها عظُمْ عاجِــيْ

راجُو بِروْس الشِّلْفْ مِثْلَ الْعصافِيْر

وعلَى صنَمْهمْ مِحْملَ الخَيْلْ راجِيْ

واذْلَى خَلَف فِيْهُم كَما يْدلِي الطِّيْرْ

وصاد الْعواجِيْ في مِثَار العَجاجِيْ

داجتْ عليْه معسْكرات الْمِسامِيْرْ

قِبٌّ تعلّوهِن فهُود الزَّراجِــي

ومن اجل ذلك سمي بأبي الشيوخ .

ولم يترك آل زيد الشعلان اقارب خلف الاذن ثأرهم ، فعندما علموا ان التومان من شمر قتلوا خلفاً ، ذهبوا الى الأمير نواف بن النوري الذي كان مضطلعاً بشئون قبائل الرولة ، ويخلف والده النوري بقيادة القبيلة ، ذهبوا اليه وطلبوا منه ان يقودهم الى مهاجمة شمر ، لأخذ ثأر الشيخ خلف الاذن ، وفعلا اجاب نداءهم ، والتف حوله قبائل الرولة ، وغزا من اراضي الحماد قاصداً مهاجمة قبائل شمر ، الذين يقطنون بالقرب من منهل (الدويد) المعروف ، وفعلا اغار على قبائل شمر هناك ، وكان يرأسهم فيصل بن سند الربع ، من مشائخ قبيلة التومان شمر ، وقد اخذ الشعلان ابلهم ، وقتل قريطان بن شاهر الزيد ، الذي هو ابن اخي الاذن ، قتل فيصلا بن سند الربع زعيم التومان ، وغنم جواده ، واخذ ابله ، وكانت هي ابل والده من قبله سند الربع المعروف ، وبهذه المعركة شفى آل زيد غليلهم وثأروا للشيخ خلف الاذن ..

هكذا حدثنا الرواة من الرولة ومن عنزة وشمر عن حياة هذا البطل المغوار والشاعر المبدع .. وهكذا طويت صفحة مشرقة حية من نماذج فرسان العرب المعلمين ..



الفهارس

١ - فهرس الموضوعات العامة

٢ - ساجر الرفدي :

٣ ـ شالح بن هدلان :



٢ - فهرس الاعلام

(الرجال والنساء)

[احذف ابن ــ ابو ــ عند البحث عن الاسم]

ح

خ

د

ذ

ر

ن

و

هـ



٣ - اسماء العشائر والافخاذ

[احذف كلمات بني ــ ضنا ــ ولد ــ عند البحث عن الاسم]

غ

ف

ق

م

ن

٤ ـ اسماء الامكنة

٥ ـ ايضاح معاني بعض الكلمات

(كثير من القراء من غير أهل نجد قد يصعب عليهم فهم كثير من الكلمات الواردة في هذا الكتاب وهذا بيان قد يوضح أغلبها ، وسيلاحظ القارىء بأن كتابة كثير من كلمات الكتاب لم تُراع فيها الطريقة الاملائية، بل جرت حَسْب النطق ، وما يتطلبه الشعر من اللحن ، فيرجى ملاحظة هذا) .

الاجراد جمع جرد وهي الفلاة الواسعة .

أحشم بحشمتهم : اكرم باكرامهم .

اضرب على الكايد : اقتحم الصعاب .

أفختٌّ : فقدت .

ألعي مُلاَعَى الوُرْق : انوح نوح الحمام .

إلى : بمعنى : اذا ــ تتكرر كثيراً .

اللي : الذي ــ تتكرر كثيراً .

اليا : اذا ، ويقال فيها : الى ، ليا .

انحر : اقصد ، وهي فصيحة .

انكس : ارجع .

ب

بِلاَّس : واشي وجاسوس .

بالْعون : استعمال يحمل معنى القسم اي والله .

بْعاد معاديك : بعيدة عدواتك على الأعداء .

بَلاَيَة : بلائي ، مصيبتي وما أخشاه .

البلهاء : من أسماء الابل المعروفة .

ت

تايه : تائه .

تحسَّن لحاكم : تحلق لحاكم ، وكان حلق اللحي عقوبة يجازى بهـا المجرمون .

تُحَورف : تستعد .

تزوع : تسير .

تشادي : تشابه .

تقهويت : شربت القهوة

تكالت : تدافعت .

تودَّرْ : ابتعد وفيها معنى الزجر .

ج

الجازي : صفة من صفات الظباء .

جرودهم : جموعهم .

جِنَبْها : حرسها .

ح

حَبْس الظعن : حصن الظعن .

حرش العراقيب : الابل .

حقلنا : رقصنا للحرب .

حمراكم : غيرتكم وانفتكم .

حميلهن بالبيت : الحميـل رواسب القهوة وهو ما ينفيه . السيل ومنه الحديث «كما تنبت الحبـة في حميل السيل» .

حمو : شدة الحرارة .

حنا : نحن .

خ

خانة الدنيا : فائدتها .

خايع : الخايع النبات الملتف .

خبل : ناقص العقل .

خرايمه : جمع خريمة وهي مجـرى السيل الملتف بالشجر .

خُلُج : جمع خلوج وهي الناقة تفقد ولدها .

خَلفة : فرس خلف الأذن .

د

الدحش : الحب اللئيم .

دَلَّـه : سلا ، ومنه ادله : اسـلو وأسر .

دَلىّ : جعل .

دُوعي : احد .

الديدحان : نبت زهزه اصفر .

ذ

ذرنوح : حشرة سامة يستخرج منها مادة سامة تسمى باسمها .

ر

ربد المراقيل : النعام .

ربعنا : رفاقنا .
الرملك : جمع رمكة : الخيل .
رواي : هو من يأتي بالماء .

ز

الزلم : الناس .
الزول : الشخص .

س

ساموح : قلق وألم .
سباياك : خيلك .
السَّبيب : ذيل الفرس .
السناعيس : نخوة شمر .
سُمُو القبايل : عموم القبائل .

ش

شاف : رأى .
شايف شين : راء شيء وتلك لهجة سكان شمال الجزيرة العربية .
شبَّاب ضَو المنارة : النار يوقدها في المرتفع لضيوفه .
شبب يابه : اي الصيد شبب يا ابي ، ولعله مأخوذ من الشبب : الثور الوحشي الذي انتهى شبابه وبلغ قوته وتمامه .
شبوحه : جمع شبح .
شَدَّه بالي : اشغال فكري .
شلفا : رمح قصير .
شمشول : قليل .
شملا : اسم ابل لقبيلة لحرب .
شوفته : رؤيته .
شِين : شيء .

ص

الصابور : الطابوروزنا ومعنى .
الصطارة : الحنق والشراسة .
صديق بطيني : صديق داخلي يظهر الصداقة ويخفي سواها .
الصعانين : الحجارة الناتئة .

ط

الطرش : النعم .
طلعه بعيد : اطلاعه ومدى نظره .

ع

عاضبت : تلكأت .
العتاري : جمع عِترى ، مؤخر الراس
العديم : المعدَّم المثل .
عرجدن المظاهير : التمَّت الظعائن .
عرود القرانيس : الصقر المسن .
العِزْبة : فرس ذيب بن هدلان .
عسَّاس : رائد .
عشير : حبيب .
عِكف المخاليب : كناية عن الصقور

عَلْيا : اسم ناقة مشهورة تجمع علي العُلى وعليات وهي لآل شعلان .

العياسيب : اليعاسيب جمع يعسوب ذكر النحل .

عيرات النضا : الابل القَوية الصلبة .

غ

الغلامين : الغلمان .

ف

الفراريع : الذين يحولون بين المتضاربين

الفِطّر الشيب : جمع فاطر ، الابل المذللة المروضة زمناً طويلاً على السير .

فِلاّت : تنابلة لا يقومون بواجب إخوانهم .

فلحا : اسم بنت فرس عقاب .

ق

قِدْني : انني .

قُذيلته : تصغير قذلة لمة شعره .

القرانيس : جمع قرناسة من الصقور ما نسل ريشه وخرج لـه ريش جديد .

قُرّح الخيل : جمع قارح وهو المتكاملة سنه .

قرّطن : القين .

قَزَت عيني : سهرت .

قَصيرهُ : جاره .

القلاعة : الفرس يقتل فارسها وتؤخذ .

قوطر : انهزم .

ك

كراديس السبايا : دفعات الخيل .

كَزّته : طرحته .

كِنّه : كأنه .

ل

لابة : جماعة .

لا شك : تستعمل بمعنى لكن ء

لانيب : لا انا بفاعل كذا وبعضهم يقول لاناب .

لاَلي : لعله من الآل وهو السراب وهو يكثر في شدة الحر .

لدّدها : عوقها .

لمسة الحشم : كناية عن الذلة .

لوح : جبل .

ليا : اذا . مثل : اليا .

لَيْن تسمع : الى ان تسمع .

ليهْ شالت : لماذا درجت .

م

مار : لكن .

المحاوم : الامكنة التي يحومون حولها .

المداريع : لابسو الدروع .
مساري : جمع مسرى وهو السير في الليل .
مُسَيّر : زائر .
مصطّور : نزق لا ينام على ضيم .
مصلوح : فائدة .
معسكرات المسامير : يعني الخيل .
المظاهير : جمع مظهور الابل تحمل الظعائن والامتعة .
المغاتير : اسم يطلق على الابل البيض الألوان ويقابلها : المجاهيم : السود
ملفاك : مقصدك .
ملهوفة الحشا : ضامرة البطن .
ممرور : ابيّ .
مناتلات المصاريع : الخيل تجاذب الأعنة .
المناعير : الرجال الكمل .
المنع : الاسر بعد الاستسلام وانقاذ المأسور من القتل .

ن

النادر : نادر المثل .
نبي : نبغي مثلها : نبا .
النثيلة : تراب البئر او نحوها .
النساس : الخفيف السريع من الابل .
النشامَى : الكرماء الشجعان واحدهم نَشْمِي .
نشوف : نَرَى .
النويفج : داء يصيب العين .

و

وُجيه : وجوه يقال : لوجيه الخفرات أي فعلت هذا من اجلهن . ولوجيه المداريع أي لأجل وجوه لابسي الدروع من الفرسان .
ودارَهْ : بُعْداً لَهُ .
الوسم : من فصول السنة ، وفيه تجود الأرض بالنبات اذا امطرت .
وش لون يامن : كيف يأمن .
الولاعِة : الشيء الهامد يسرع فيه الاشتعال .
ونّات قلبي : أنات قلبي .

هبّة الريح : كناية عن الغنائم .
الهبيدي : محدى الهبداني تصغير تحقير .
هدّتك : انطلاقتك .
الهذاريم : الهذيان .
الهراقيل : النعام .
هَل : اهل يسقطون الهمزة تسهيلاً للنطق .

الهُمَّلالي : المداعبة للشعر ، او نوع من اللعب .

الهَيق : ذكر النعام .

ي

يانافدا اللى : أنا فداء الذي

يُخلّون : يتركون .

يدحمون السمارة : لا يهابون ما امامهم

يَرضى على غَوّال جلقه الى ارخاه : يرضيه من عدوه ان يسلم من شره

يزايمني : ينوء بحملي .

يسنِد : يرجع .

يَشْدي : يشابه .

يَطرم : يترك الكلام من الكبر والغطرسة

يلكد : ينطلق ويغير على الاعدا .

يهملج : ينام .